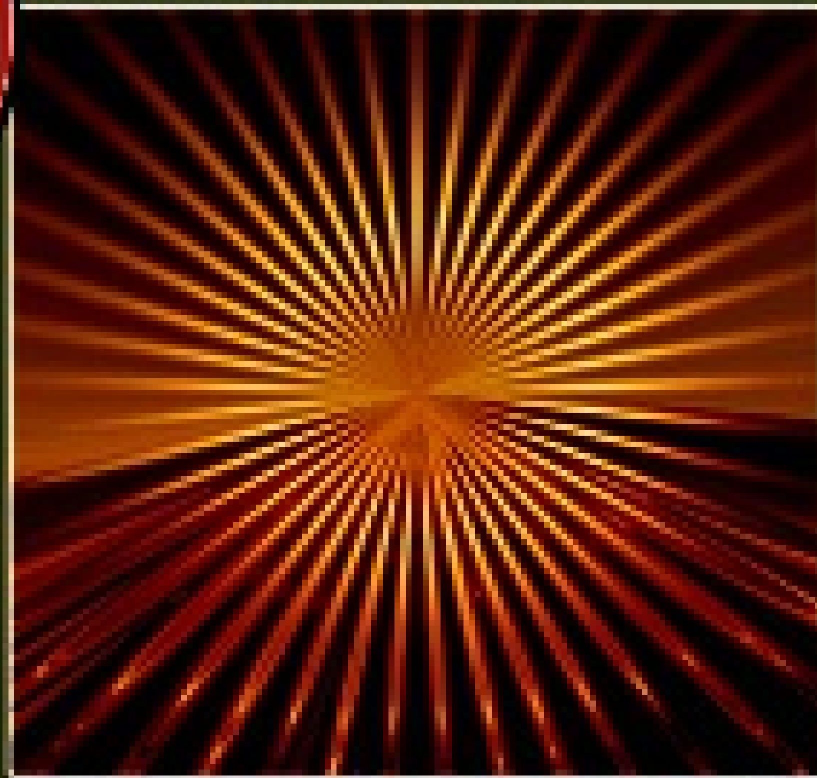
ميقات الحج

[illegible]

[illegible]

٣٣



بسم الله الرحمن الرحیم

دو فصلنامه « میقات الحج »

کاتب:

محمدی ری شهری

نشرت فی الطباعۀ:

مشعر

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

میقات الحج-المجلد ۳۳

اشارة

عنوان و نام پدیدآور : میقات‌الحج : مجله نصف سنویه، تعنی بالشوون الثقافیه .....محمد محمدی‌ری‌شهری.

مشخصات نشر : [بی‌جا: بی‌نا، ۱۴۱۷ق = ۱۳۷۵.

مشخصات ظاهری : ۳۰۰ص.:نمونه، عکس.

شابک : ۵۰۰۰ ریال

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی توصیفی

یادداشت : عربی.

یادداشت : شماره پنج این مجله بنام میقات الحج است.

یادداشت : پشت جلد به انگلیسی: Mighat al - Haj.

یادداشت : کتابنامه.

شناسه افزوده : محمدی ری‌شهری، محمد، ۱۳۲۵ -، مدیر مسئول

شناسه افزوده : قاضی‌عسکر، سیدعلی، ۱۳۲۵ -

شماره کتابشناسی ملی : ۱۵۴۲۸۹۶

ص: ۱

اشارة

ص: ۲

ص: ۳

ص: ۴

ص: ۵

وجيزة حول الكعبة الشريفة

ص: ۶

آية الله الشيخ عبدالله جوادی آملی

ألحمدُ للهِ الذی جعل الكعبة قياماً للناس، و الصلاة والسلام علی جميع الأنبياء، سيّما الخليل (ع) الذی رفع قواعدها، و الحبيب (ص) الذی طهّرها من الصنم، و عترته المعصومين، سيّما خاتمهم المهدی الموجود الموعود (عج) الذی به يملأ الله الأرض قسطاً وعدلًا، بعد ما ملئت ظلماً وجوراً؛ بهم نتولّی ومن أعدائهم نتبرأ إلی الله.

إنّ الله سبحانه خالق كلّ شیءٍ ممكنٍ و يكون خلقه إيّاه بالتجلّی كما قال مولانا أميرالمؤمنين علی‌بن‌ابی‌طالب (ع): «ألحمدُ لله المتجلّی لِخَلقه بِخَلقه». (۱) أی فتجلّی الله سبحانه بالخلق لكل مخلوقٍ فكل مخلوقٍ يعرفُ الله سبحانه و يسبّحه و يحمّده و يسجد و يأتيه طائعاً كما فی غير واحدة من الآياتِ، فلا الخلق بالتجافی بل بالتجلّی، و لا المخلوق محجوب عن خالقه المتجلّی له، إذ ليس المتجلّی له هو خصوص الانسان، و إن كان هو أقوی مخلوقٍ تجلّی الله له.

فهذا أصل إلهی، و هو أنّ الله مُتجلٍّ فی خلقه و أنّ مخلوقة متجلّی له بلا استثناء فی شیء من هذين المطلبين.

إنّ كمال الخالق و حُسنه الوجودی (لا ـ الاعتباری) يتجلّی فی خلقه و إنّ كمال المخلوق و حسنه الوجودی يكشف كمال الخالق و حُسنَه الوجودی، و لا يختصّ ذلک فی خلق الإنسان الذی له أحسن تقويم؛ فما ورد

۱- نهج‌البلاغه، الخطبة: ۱۰۸.

ص: ۷

فیه من قوله تعالی: فَتَبارَکَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِینَ. (۱) إنما هو تمثیل لا تعیین، لأنه جارٍ بعینه فی إنزال القرآن الحکیم الذی هو أحسن الحدیث و أبلغ الموعظة، و حیث إنّ الله سبحانه نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِیثِ کِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِیَ. (۲) فهو أحسنُ المتکلّمین وأحسنُ المحدّثین، وما إلی ذلک من الأشباه والنظائر.

إنّ الله سبحانه رفیعُ الدرجات ذو العرش، و یرفع الذین آمنوا درجةً والذین أوتوا العلم درجات، و یرفع الأوحدیّ منهم مکاناً علیّاً.

فجمیع ذلک مصداق خلقه المتجلّی به للمخلوق، فأیّ مخلوقٍ عَرَفَ نفسَه یعرف ربّه بمقدار معرفته، و لا ـ خصیصة لهذا الأصل بالإنسان، و إن کان له حظٌّ وافرٌ، و لا یمکن أن لا یعرف مخلوقٌ أیّ مخلوقٍ کان نفسه إلّا بسوء عمله الذی یختلف باختلاف المخلوق شدةً و ضعفاً، و کلّ مخلوق عرف نفسه یعرف خالقه المتجلّی له بالضرورة.

و حیث إنّ درجات التجلّی متفاوتةٌ فکلّ مقدارٍ نَقَصَ منه ینتزع من القدر الناقص عنوان التجافی المقابل للتجلّی، إذا المیز بینهما بأنّ المتجلّی یکون جامعاً بین الدرجات بنحوٍ إذا هبط إلی الأرض یکون موجوداً فی السماء أیضاً، و إذا نزل إلی السِفل یکون موجوداً فی العلو و یصیر مظهراً لله الذی هو دان فی علوّه و عالٍ فی دنوّه، بلا اتّحاد و لا حلولٍ، و بأنّ المتجافی لایکون کذلک، حیث إنّه إذا کان عالیاً لم یکن سافلًا، وإن کان هابطاً لم یکن

۱- سورة المؤمنون: ۱۴.

۲- سورة الزمر: ۲۳.

ص: ۸

صاعداً، و ذلک کالمطر حیث إنّه مادام فی سحاب السماء لا یکون فی بحر الأرض أو نهرها، و مادام هبط إلی البرّ أو البحر لا یکون فی سحابها.

مع أنّ کل شیءٍ مسبوقٌ بوجوده فی خزائن الله سبحانه، و أنّ هبوطه إلی الأرض لیس بمعنی خلوّ المخزن عما اختزن فیه؛ فما أفاده سبحانه بقوله: وَإِن مِّنْ شَیْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُوم. (۱) حقّ لا ریب فیه، إلّا أنّ بین أنحاء التنزیل فرقاً.

إنّ القرآن قد نزل من لدن علیّ حکیم، و إنّ المطر أیضاً نزل من مخزنه، و لکن بینهما تفاوتاً من البدء إلی الختم، و من کیفیة الانزال و ما إلی ذلک؛ فالقرآن نزل بالتّجلی الخاص کما أفاده مولانا أمیرالمؤمنین (ع): «فتجلّی لهم سبحانه فی کتابه مِن غیر أن یکونوا رأوه». (۲) والمطر نزل بالتّجافی فالقرآن بمثابة الحبل الممدود من الصدر إلی الساقة بلا طرحٍ و لانبذٍ، و المطر مُلْقیً و مَنْبوذٌ فأین أحدهما من الآخر؟

فالقرآن من أدلّه الذی یکون بید الله إلی آخره الذی بأیدی الناس کلام الله حیث قال تعالی: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِیّاً لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتَابِ لَدَیْنَا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ. (۳) والتفصیل موکول إلی موطنه المعدّ لبیان کیفیة نزول القرآن و مَیْز نزوله عن نزول غیره.

۱- سورة الحجر: ۲۱.

۲- نهج‌البلاغه، الخطبة: ۱۴۷.

۳- سورة الزخرف: ۳ و ۴.

ص: ۹

إنّ الكعبـة التى هى قبلـة المسـلمين، و مطاف الطائفين، و مزار الزائرين، قد نزلت إلى الأرض قرب نزول القرآن إليها، لا كنزول المطر إليها، و يشـهد له ما ورد فى شأن الحجر الأسود، من أنه يمين الله فى الأرض، فمن اسـتلامه فكأنه بايع يمين الله الـذى كلتا يديه يمين، مع نزاهته عن الجسم، و برائته عن المادة، و طهارته عن لوث الجسمية، و ما إلى ذلك؛ سبّوحٌ قدّوسٌ ربنا و ربّ الملائكة و الروح.

إنّ الكعبـة هى متن القبلـة فمن دَخَلَها فهو فى عين القبلة بحيث أينما يتوجّه فثَمّ وجهُ الله و لا مَيْز هناك بين الأمام و الخلف و اليمين و اليسار والفوق والتحت إلّا بالاعتبار، و إلّا فالجميع قبلـة و البيت الـذى هذا شأنه فهو مَجْلىً لله المتجلّى فيه، لأنّه تعالى يكون مع الإنسان أينمـا كـان، و كيف كـان، و حيث كـان، و لا يعمر هـذا البيت إلّا الموحّـد الخالص: إِنْ أَوْلِياؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ. (۱) و لاـ يطوف حوله إلّا العتيق عن حُبّ غير الله، و لا يستقبله إلّا المستدبر ما سوى الله.

إنّ الكعبة رقيقةٌ للبيت المعمور الذى يَعْمره الملائكة الذين لايعصون الله ما يأمرهم و هم بأمره يعملون، و لا يسـبقونه بالقول و يخافون ربّهم من فوقهم، و يسبّحونه و يقـدّسونه، و هم المـدبّرون العـالَم بـأمره تعـالى، و حيث إنّ الـبيتَ المعمور بالملائكـة أقوى درجـة من الكعبة فهو بتمامه أى داخله و سطوحه الخارجة كلها بحيث أينما يتوجّه إليه مَلكٌ مِن الملائكة فثمّ وجه الله.

۱- سورة الأنفال: ۳۴.

ص: ۱۰

والسرّ فی تماثل الکعبـة و البیت هو أنّ ذلک البیت حقیقةٌ لرقیقة الکعبة، و هی رقیقة لتلک الحقیقة صوناً للتجلّی عن التّجافی، فجمیع ما فی البیت المعمور حاصلة للکعبة ضعیفاً، و جمیع ما فی الکعبة حاصلة للبیت المعمور شدیداً.

إنّ البیتَ المعمور رقیقةٌ للعرش الإلهی، و ذلک حقیقة لهذه الرقیقة کما أشیر فی التماثل بین الکعبة و البیت المعمور، و العرش معمورٌ بمن یستولی علیه و هو الله سبحانه: الرَّحْمنُ عَلَی الْعَرْشِ اسْتَوَی. (۱) و لکنه تعالی إنما یَعمر عرشه بأسمائه الحسنی، و أوصافه العلیا، و کلماته التامّة التی تحکیها التسبیحات الأربع و هی:

سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلّا الله و الله أکبر

کما دلّت علیها الروایـة الدالّـة علی أنّ تربیع العرش و کونه ذا أرکان أربعة إنّما هو لأنّ تلک الکلمات التی بنی علیها العرش أربع، فلو أمکن لأحـدٍ أن یَصْعَد إلیه بـإذن الله تعـالی فهـو یری نفسه محفوفـاً بالتوحیـد المشـار إلیه تـارةً بالتسبیـح، و أخری بالتحمیـد، و ثـالثةً بالتهلیل، و رابعةً بالتکبیر، و هی و إن کانت کثیرة لفظاً و مفهوماً و لکنّها متحدة مصداقاً.

فهذا الصاعد الذی عرج بروحه إلی ذلک المستوی، فهو یری قلبه، إنّه أینما توجّه فثمّ وجه الله، و حیث إنّ هذا السعید الصاعد ذو قلب سلیم لیس فیه غیر حُبّ الله، فیصیر بذلک بمنزلة العرش، الذی مبناه، و بناؤه، و

۱- سورة طه: ۵.

ص: ۱۱

جداره، و سقفه، و بابه، و ميزابه، و كلّ ما يتعلّق به توحيداً خالصاً لله الذى ليس كمثله شىء.

ثمّ إنّ تلك الكلمات الطيّبة حقيقة العرش الذى هو رقيقتها، و يكون العرش حقيقة البيت المعمور الذى هو رقيقته، و يكون البيت المعمور حقيقة بيت الله فى الأرض (الكعبة) الذى هو رقيقته، و من هنا يتبين أنّ نزول الكعبة إلى الأرض بالتجلّى الخاص لا التجلّى العام الذى يصحبه التجافى أحياناً، و أنّ معنى ما قد يقال: إنّ الكعبة من تخوم الأرض إلى عنان السماء قبلةٌ، له معنى دقيق فى الفقه الأكبر و الأوسط، كما أنّ له معنى رائجاً فى الفقه الأصغر، و أنّ صغر الفقه و كبره يرجعان إلى المحتوى الناظر إلى الجهاد الأصغر و الأكبر، إذ لا يمكن الفتح فى الجهاد الأكبر بسلاح الفقه الأصغر، لأنّ لكلّ جهادٍ سلاحاً، و ظَفَراً، و غنيمةً، كما أنّ له هزيمة و غرامة، و أنّ قلبَ المؤمن إنّما يصير عرش الرحمن، إذا التزم بجميع ما فى الفقهين الأصغر و الأكبر، و عرفه واعترف به، و آمن بذلك، و عمل به خالصاً لله، البرىء مِن الرّياء، و السمعة، و ما إلى ذلك من هوى النفس، فلابدّ من تضحيتها، و تزكية الروح، و تذكية العقل، حتى يليق بأن يصعد، و يصير بنفسه بمنزلة عرش الرحمن، فحينئذٍ إذا أفيض على قلبه شىءٌ من المعارف العلمية، أو العملية، يصير ذلك كلمةً عرشية، لأنّها أفيض على عرش الرّحمن و استقرّ عليه، و كلّ ما يستقرّ على العرش يصير عرشياً، فتلك المعارف تصير حكماً عرشية، كما هو المعهود لدى أبناء التحقيق؛ لا أنّ كل مطلبٍ عريقٍ عميقٍ دقيقٍ يستحقّ بأن يُعبّر عنه بالحكمة العرشية؛ لأنّه أفيض على

ص: ۱۲

قلب الغير، و أىّ مطلبٍ أفيض على الغير فهو عاريـة ترجع إلى صاحبهـا، و لا ـ مسـاس لهـا بالمسـتعير، فليس له أن يتفوّه بـذلك إلّا بعد التصـريح بالاعـارة و الاسـتعارة، لأنّ ذلـك المطلب السـامى، و إن كان مشـهوداً للعارف، أو معقولًا للحكيم، إلّا أنّ نقله ليس عرفاناً و لافلسفةً، إذ الناقل المستعير لا يكون عارفاً شاهداً، و لا حكيماً عاقلًا، إذ نقل الشهود و العقل أجنى عنه منقوله.

فكمـا أنّ قارىء القرآن له أنْ يقرأ و يرقى، حيث يقال له: «إقرأ وارقَ». (۱) ولا يختصّ ذلك بالآخرة، و إن كان هنالك بنحو أتم، بل يجرى فى الأولى أى الـدنيا أيضاً، فكل الحاج و المعتمر و الزائر، و كل من يتّجه إلى الكعبة و يصـلّى نحوها يقال له: طُفْ، زُر، صَلّ و أرْقَ من الكعبـة إلى البيت المعمور، و منه إلى العرش، و منه إلى محتوى التسبيحات الأربع، و صـير عبداً خالصاً ذا قلبٍ سـليم ليس فيه شىء سوى حُبّ الله، و حُبّ آثـاره القيّمـة من القرآن، و العترة (هم) الـذين ورد فيهم أنّهم بمثابـة الكعبـة تُؤتى و لاتأتى؛ لأنَّ الإمام لا يكون إلّا كذلك.

إنّ الكعبـة التى لم يـذكر إلّما بَضْعَهٔ ممّـا ورد فيهـا هى مـدار حيـاة الأمّـة و ممـاتهم وجوبـاً أو نـدباً، من الصـلاة، و الذبـح، و النَحر، و الاحتضـار، و التصـلية، و الـدفن، و ما إلى ذلك؛ فلـذا يقال حيّاً و ميتاً: إنّ الكعبـة قبلتى، كما يقال فى الحالتين: إنّ القرآن كتابى و إنّ محمـداً (ص) نبيّى و رسولى، و إنّ عليّاً و أولاده المعصومين الأحد عشـر (هم) أئمّتى، و ما إلى ذلك من الأمور الدينيّة؛ فيلزم معرفتها بحيث لايضيع شىء من حقّها أوّلًا، ثمّ تجعل

۱- الكافى، ۶۰۶: ۲.

ص: ١٣

سلّماً للصعود إلى البيت المعمور هكذا ثانياً، و من هنا يصح أن يقال: «الكعبة! و ما أدراك ما الكعبة؟! حيث إنّ الطائف لا يرى منها إلّا حجراً لا- يضرّ و لا-ينفع» كما أنّ قارئ القرآن لا يسمع إلّا لفظاً عربياً، و لكنه لا يدرى من أين تجلّى؟ و من أين نزل فى القوس النزولى؟ و إلى أين يصعد و يترقّى فى القوس الصعودى؟

إنّ كلمة «ياء» التى أضيف إليها لفظ البيت فى قوله تعالى: طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ .... (١) ليست إضافةً اعتبارية، بل تحكى الإضافة الإشراقية التى يكون المضاف فيها تابعاً للإضافة، بخلاف ما فى الاعتبارية منها، حيث إنّ الإضافة فيها تابعة للمضاف، كما أنّها تابعة للمضاف إليه.

والحاصل أنّ إضافة البيت إلى الله تشريفية، تحكى شرافة المضاف تكويناً لا اعتباراً صرفاً، و أنّ التشريف التشريعى يساوق التكوين، إذ الشريعة الإلهية عين الحكمة بلا جزافٍ، و متن الواقعيّة بلا تسامحٍ و لاتساهلٍ.

و إن شئت فقارن هذه الإضافة و الإضافة التى فى قوله تعالى: وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي. (٢) إذ المضاف هناك أى الروح موجود مجرّد ملكوتى من أمر الله، و له شأوٍ قاصٍ تحكيه الإضافة المذكورة و إن يكن بين الروح الإنسانى المنفوح فيه من الله، و بين ظاهر الكعبة المنبة من أحجار

١- سورة البقرة: ١٢٥.

٢- سورة الحجر: ٢٩.

ص: ۱۴

لاتضرّ و لا تنفع (۱) فرق، و لكن بعد التدبّر فى باطنها يعترف بإمكان التشابه، و من هنا قِيل فى نعتِ الكعبة باللغة الفارسية المقاربة للعربية فى غير واحد من المعارف و الحِكَم عدا ما فيها من القرآن الحكيم و كلام أهل بيت الوحى:

كعبه را جامه كردن از هوس است ياء بيتى جمال كعبه بس است

(۲) أى لا ـ تحتاج الكعبة إلى تزيينها بالثوب الحريرى و نحوه؛ لأنّ جمالها إنّما هو فى لفظة الياء فى كلمة بَيْتى فى قوله تعالى: طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ. (۳) حيث إنّ جمال المخلوق بإضافته إلى الخالق الجميل الذى كلّ جماله جميل، و إن نسأله بأجمله فى «دعاء السحر» حسب ما عَلّمنا مولانا أبوجعفر الباقر (عليه و على آبائه الأطيبين و أبنائه الأنجبين آلاف التحيّة و الثناء).

إنّ الكعبة سبب قيام الناس للتوحيد و العدل، على الإلحاد و الظلم، فهو موجب لمقاومتهم تجاه الباطل، أىّ باطلٍ كان، و سببٌ لإقامة الحقّ، أينما كان، فهى أى الكعبة تهدى الناس إلى أن يدوروا مع الحق حيثما دار، و تهدموا الباطل أينما ظهر، لأنّ معها لا يُبدئ الباطل و لا يعيد: قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ. (۴) والدليل على كونها أى الكعبة

۱- نهج‌البلاغة، الخطبة: ۱۹۲.

۲- ديوان الحكيم السنائى الغزنوى.

۳- سورة البقرة: ۱۲۵.

۴- سورة سبأ: ۴۹.

ص: ۱۵

عاملة للقيام هو قوله سبحانه: قِيَاماً لِلنَّاسِ. (۱) فهى محور المقاومة والوحدة الإسلامية من مشارق الأرض و مغاربها، و من يُرد فيها بظلم أو إلحاد يذقْه الله عذاباً أليماً.

و لعلّ بناء الخليل (ع)- الجذّاذ للأوثان و الأصنام- جعل الكعبة سبباً للقيام على كسر أصنام الجاهلية بإذن الله، و الشاهد على أنّ هذا البيت الرفيع بناؤه، هو استقرار مقامه فيه من أبعد عهدٍ إلى اليوم كما قال سبحانه: فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ. (۲) والعربى الجاهلى جعله مأمناً للقاتل و كان يحفظه مادام هو فيه، و ليس ذلك لكونه معبداً للصنم، إذ لم يعهد إجْلال معبده أصلًا، حيث إنّه كم من معبد فى شرق الأرض و غربها للصنم و الوثن لا يعهد فيه مثل ذلك؛ والحاصل أنّ الكعبة سبب قيام الناس للاعتقاد.

وأنّ المال سبب قيام الناس للاقتصاد حسبما يستفاد من قوله تعالى: وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِى جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً. (۳) فإذا قام الناس بالكعبة للاعتقاد، يتمّ لهم القيام بالمال للاقتصاد، و إذا قعدوا عنها و لا يقوموا بها للاعتقاد صار المال وبالًا و دولةً بين الأغنياء منهم، و يصيرون شيعاً يستضعف الغنىُّ منهم الفقير، و يستأثرون لأنفسهم ما الناس فيه شَرَعٌ سواء، و يخضمون مال الله خضم الإبل نَبْتَةَ الربيع، و يحومون حوم النثيل والمعتلف، أعاذ الله الأمة الإسلامية من هؤلاء، و من يحذو حذوهم.

۱- سورة المائدة: ۹۷.

۲- سورة آل‌عمران: ۹۷.

۳- سورة النساء: ۵.

ص: ۱۶

فالحج و العمرة سير إلى سبب القيام للاعتقاد، و تعديل لما هو عامل القيام للاقتصاد، إذ: ما جاع فقيرٌ إلّا بما مُتّع به الغنىّ.

إنّ التحقيق حول معنى التجلّى الممتاز عن التجافى، و حوم الحقيقـة و الرقيقـة يزيح أى شكٍّ يمكن أن يختلج ببال مَن لا يؤمن إلّا بما يراه جَهْرةً، فيقول: لو كـانت الكعبـة بحـذاء البيت المعمور للزم سـكون الأرض و السـماء معاً، أو حركتهما من مبـدإ خاص إلى منتهى مخصوص على سـرعة خاصّـة، حفظـاً للمحـاذاة، ذهولًـا عن معنى التحاذى المعنوى، و غفلـةً عن التقابل الملكوتى، و ما إلى ذلك مما يناسب تحاذيهما كمحاذاة البيت المعمور العرش المحاذى للكلمات الأربع.

إنّ الإنسـان المطبوع على قلبه، المختوم على سـمعه و بصـره، كمـا يُبَـدل هويّته، ويجعل فؤاده كالحجر أو أشـدّ قسوةً، يجعل أوّل بيتٍ وُضع للناس بيت العنكبوت، و لا تكون عبادته لديه إلّا مكاءً و تصديةً، فمن دسّى نفسَه و خاب بتدسيسها، يُبَدل أقوى البيوت بأوهنها، و أمّا من عرف نفسه و زكّاها، يعرف قـدرها و ينفتـح له بذلك أبواب المعارف و الحِكم، و ينكشف له سـرّ التعبير عن الكعبة بالبيت، مع أنّه لا ـ بيتوتـة هنـاك لأحـدٍ، والسـرّ هو أنّ عنوان البيت يحكى الليل التى إليها بركات، لاتوجـد فى النهار كما قال تعالى: إِنَّ نَاشِـئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلًا. (۱) و المرجوّ أن تتبرّك الأمّة الإسلامية على اختلاف مذاهبها ببركة الكعبة ما هو خير لها.

آمين يا ربّ البيت الحرام

۱- سورة المزمل: ۶.

ص: ۱۷

مقالة و رسالة

آية الله الشيخ جعفر السبحانی

۱. التبرّک

على ضوء الكتاب والسنّة

لا يشك ذو مسكة فی أنّ التقريب بين المذاهب الإسلامية وقادتها وأتباعها، هو بغية كلّ مسلم عارف بما يسودهم من الظن السيِّئ والتباعد بينهم، وأنّ أعداء الإسلام على سعی حثيث، فی زرع العداء والتباغض بين أبناء الأُمّة الواحدة، وإغراء طائفة على طائفة أُخرى بصور مختلفة، وبين ظهرانيهم آذان صاغية للنعرات الجاهلية، كما أنّ بينهم أقلاماً مستأجرة تلعب بحبل الأعداء لإشعال نار الفتنة بين الإخوة، الذين تجمعهم وتربطهم أُمور شتّى من الإيمان بالله ورسله وكتبه وخاتم أنبيائه وسنّته وشريعته إلى غير ذلک من أواصر الوحدة.

والطريق الوحيد لتقريب الخُطى بين الإخوة هو الدعوة إلى الأخذ بالمشتركات، وتبيين أنّ ما يوحِّد المسلمين على اختلاف فرقهم أكثر ممّا يفرقهم ويشتّتهم، فاللازم هو التأكيد على أواصر الوحدة، والإغماض عما

ص: ١٨

يسبِّب الفُرقة، خصوصاً إذا كانت المفرّقات مسائل كلامية أو فروعاً فقهية ممّا لا تمتّ إلى الإيمان والكفر بصلة.

ولأجل أن نجسّد كيفية الدعوة إلى الوحدة الإسلامية نضع أمام القارئ الكريم (سنّياً كان أم شيعياً) رسالة التبرّك بآثار النبي (ص) الّذي هو من الأُصول المشتركة بين عامّة المذاهب الإسلامية، عسى أن نُسكت الصوت المخالف لهذا الأمر الّذي دعا إليه الكتاب والسنّة، ونساهم في تعزيز الروابط بين المسلمين، حتّى يصبح الجميع في كلّ موطن وموقف إخوة متحابّين متمسّكين بحبل الوحدة، الّذي أرشد إليه سبحانه بقوله عزّ من قائل: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً. (١) إنّ من ينطلق من الكتاب والسنّة وأحاديث أئمة أهل البيت (هم) والسيرة الرائجة بين المسلمين لا يخالف في أمر التبرّك قدر شعرة، وإنّما يخالف فيه ويناقش في مشروعيته مَن يأبى التحرّر من أسر تقليد بعض مَن لم يُمعن النظر في هذه المصادر، ولم يُرزَق التوفيق في التبرّك بآثار النبي، الّذي يعبّر عن غاية مودّته وتوقيره وتعظيمه (ص).

التبرّك لغةً

التبرّك مأخوذ من «برك» وله معنيان:

١- آل عمران: ١٠٣.

ص: ۱۹

۱. الثبات والدوام، كما يقال: وبارك على محمد وعلى آل محمد، أى أثبت وأدم ما آتيتهم من التشريف والكرامة.

۲. الزيادة والنمو. (۱) ويناسب المعنى الثانى قوله تعالى: وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ. (۲)

، وقوله سبحانه: الذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ. (۳)

ويقال فى المثل: بارك الله الشىء وبارك فيه وعليه؛ ففى الموارد المشار إليها، خير مكنون يزيد وينمو على مرّ الزمان، ويقصده المتبرِّك.

التبرّك اصطلاحاً

التبرّك اصطلاحاً هو طلب ثبوت الخير الإلهى فى الشىء. (۴)

وعلى هذا فالمتبرِّك بالقرآن وبالآثار المتبقية عن الأنبياء والأئمة، يطلب الخير الإلهى، لا ـ بمعنى أنّها تحمل خيراً فى ذاتها، وإنّما يتوسّل بها لطلب الخير من الله سبحانه وتعالى، وعلى هذا فالأحرى أن يعدّ التبرّك من فروع التوسّل، فكلّ خير من الأثر المتبرّك به فإنّما هو من الله سبحانه وهو الّذى أعطاه هذا الأثر، فطلب الخير منه طلب خير من الله وهو كعملة ذات وجهين، فهو يطلب الخير من الأثر ظاهراً ولكن يطلبه من الله حقيقة؛ لأنّ ما للسبب من الأثر هو من الله سبحانه وليس منه بالذات، وهنا كلمة قيمة لبعض الأعلام نأتى بنصّها:

۱- مقاييس اللغة ۲۲۷: ۱؛ النهاية فى غريب الحديث ۱۲۰: ۱.

۲- الأنعام: ۱۵۵.

۳- الإسراء: ۱.

۴- الموسوعة الكويتية ۶۹: ۱۰.

ص: ۲۰

إنّ التبرّک لیس إلّا توسّلًا إلی الله تعالی بذلک المتبرّک به، سواء أکان أثراً أو مکاناً أو شخصاً.

أمّا الأعیان فلاعتقاد فضلها وقربها من الله سبحانه وتعالی مع اعتقاد عجزها عن جلب خیر أو دفع شر إلّا بإذن الله.

وأمّا الآثار فلأنّها منسوبة إلی تلک الأعیان فهی مشرّفة بشرفها ومکرّمة ومعظّمة ومحبوبة لأجلها.

وأمّا الأمکنة فلا فضل لها لذاتها من حیث هی أمکنة، وإنّما لما یحلّ فیها ویقع من خیر وبرّ، کالصلاة والصیام وجمیع أنواع العبادات ممّا یقوم به عباد الله الصالحون، إذ تتنزّل فیها الرحمات وتحضرها الملائکة وتُغشِّیها السکینة، وهذه هی البرکة الّتی تطلب من الله فی الأماکن المقصودة لذلک.

وهذه البرکة تطلب بالتعرض لها فی أماکنها، بالتوجّه إلی الله تعالی ودعائه واستغفاره، وتذکر ما وقع فی تلک الأماکن من حوادث عظیمة ومناسبات کریمة تحرّک النفوس وتبعث فیها الهمّة والنشاط للتشبّه بأهلها أهل الفلاح والصلاح. (۱) إذا عرفت ذلک فلنذکر النصوص الدالّة علی جواز التبرّک بین الأُمم السالفة، والأُمّة الإسلامیّة.

۱- مفاهیم یجب أن تصحّح، للسید محمد بن علوی المالکی: ۲۱۹، الطبعة العاشرة.

ص: ۲۱

۱. التبرّک فی الأمم السالفهٔ

یظهر من الآیات والروایات أنّ التبرّک بآثار الأنبیاء کان رسماً شائعاً عند الأُممّ السالفهٔ، فکانوا یطلبون الخیر تارهٔ من الأسباب الطبیعیهٔ، وأخری من الأسباب غیر الطبیعیهٔ.

وبعبارهٔ أخری: أنّ الخیر فی کلا الموردین بید الله تعالی لقوله تعالی: بِیَدِکَ الْخَیْرُ. (۱)

ولکنّه ینزل ضمن أسباب خاصّهٔ، تارهٔ عادیهٔ طبیعیهٔ، وأخری علی خلاف العادهٔ، وطالب الخیر تارهٔ یقصده من القسم الأوّل وأخری من الثانی والسیرهٔ جاریهٔ علی هذا فی أکثر الأُمم.

ذکر صاحب تاریخ الخمیس فی خلافهٔ «المتقی لله» القصهٔ التالیهٔ: فی سنهٔ إحدی وثلاثین وثلاثمائهٔ أرسل ملک الروم یطلب منه- المتقی لله- مندیلًا زعم أنّ المسیح مسح به وجهه، فصارت صورهٔ وجهه فیه، وکان هذا المندیل فی کنیسهٔ الرهبان، وأرسل ملک الروم یقول: إن أرسلت هذا المندیل أطلقت لک عشرهٔ آلاف أسیر من المسلمین.

فأحضر المتقی لله الفقهاء واستفتاهم فقالوا: أرسل إلیهم هذا المندیل، ففعل وأطلق الأسراء. (۲) وما نقله الدیاربکری یکشف عن وجود التبرّک عند المسیحیّین وقد ورثوا الفکرهٔ عن آبائهم وأجدادهم.

۱- آل عمران: ۲۶.

۲- تاریخ الخمیس: ۳۵۲: ۲.

ص: ۲۲

وقد ورد لفظة «بارك» ومشتقاتها كثيراً فی الكتاب المقدس ومنه: «بركة هارون وبنيه لبنی إسرائيل» (عد ۲۳: ۶– ۲۷) وقد بارك المسيح تلاميذه قبل أن يصعد. (انجيل لوقا ۵۰: ۲۴– ۵۱). (۱) ۲. التبرّك فی القرآن الكريم

وقد ذكر القرآن الكريم التبرّك فی العديد من الآيات نذكرها تباعاً:

۱. هذا هو نبی الله يعقوب الّذی تبرّك بقميص يوسف، قال تعالی حاكياً عن يوسف: اذْهَبُوا بِقَمِيصِی هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَی وَجْهِ أَبِی يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِی بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ. ثم قال تعالی: فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَی وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّی أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. (۲) فالله سبحانه هو الّذی جدّد بصر يعقوب بعدما كُفَّ، لكن بسبب خاص وهو قميص ولده يوسف.

وأمّا ما هی الصلة بين القميص المنسوج من القطن وإعادة البصر إلی يعقوب؟ فغير معلومة لنا، وعلی كل تقدير فللقميص وإرادة يوسف مدخلية فی إعادة البصر بإذن من الله سبحانه.

۲. تبرّك بنی إسرائيل بصندوق العهد، أی التابوت، والتابوت هو الصندوق الّذی صنعه موسی (ع) بأمر الله تعالی، وقد وصفه فی قاموس الكتاب المقدس بأنّ طوله كان ذراعين ونصفاً وعرضه ذراعاً ونصفاً وارتفاعه

۱– قاموس الكتاب المقدس: ۱۷۱.

۲– يوسف: ۹۳، ۹۶.

ص: ۲۳

ذراعاً ونصفاً، وكان فى التابوت الوعاء الّذى يحتوى على المنّ، وعصا هارون الّتى أفرخت، ولوحا العهد وكان عليهما وصايا الله العشر المكتوبة. (۱) ويصفه سبحانه بقوله: فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ. (۲) قال الطبرسى: إنّ التابوت كان] هو [الّذى أنزله الله على أم موسى فوضعت فيه ابنها وألقته فى البحر، وكان فى بنى إسرائيل معظّماً يتبرّكون به، فلمّا حضر موسى الوفاة، وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة، وأودعه عند وصيه يوشع بن نون، فلم يزل التابوت بينهم، وبنوا إسرائيل فى عزّ وشرف ما دام فيهم. (۳) وقال السيوطى: كان فى التابوت عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ولوحان من التوراة والمّن وكلمة الفرج: «لا إله إلّا الله الحليم الكريم، وسبحان الله ربّ السماوات السبع وربّ العرش العظيم، والحمدلله ربّ العالمين». (۴) وعلى كل تقدير فقد كان بنو إسرائيل يتبرّكون به ويحملونه عند مواجهة الأعداء فينتصرون، وكفى فى قداسة التابوت أنّه سبحانه يقول: تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ وقصة التابوت وكيفية غلبة العمالقة على بنى إسرائيل

۱- قاموس الكتاب المقدس: ۲۰۹.

۲- البقرة: ۲۴۸.

۳- مجمع البيان ۶۱۴: ۱، ط. بيروت.

۴- الدر المنثور ۷۷۸: ۱.

ص: ۲۴

وأخذ التابوت منهم، مذكورة فى التفاسير، والله سبحانه وعدهم بأنّهم لو قاتلوا مع ملكهم طالوت، يسترجع إليهم التابوت وتحمله الملائكة إليهم؛ يقول سبحانه: إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ. (۱) أى أنّ آية ملك (طالوت) هو أنّه يحارب الأعداء، ويسترجع التابوت الّذى تحمله الملائكة فيرونه بنو إسرائيل عياناً. (۲)

۳. التبرّك بأصحاب الكهف، فعندما يذكر الله سبحانه وتعالى أصحاب الكهف والرّقيم فى سورة الكهف، يبتدئ ببيان قصتهم بالآية ۹ ويختمها بالآية ۲۶.

وقد نزلت هذه الآيات لتشدّ قلوب المؤمنين وتثبت الإيمان فيها، وذلك بالوقوف على مصير أصحاب الكهف الذين تركوا متاع الحياة الدنيا وزينتها وهجروا مجتمعهم الغارق فى الوثنية والتجأوا إلى كهف ضيّق موحش من أجل أن تبقى قلوبهم عامرة بالعقيدة الصحيحة، متوهّجة بحرارة الإيمان.

فلمّا علم سبحانه صدقهم وثباتهم فى طريق التوحيد شملتهم عناية الله تبارك وتعالى فالتجأوا إلى الكهف، فأطبق الله سبحانه على آذانهم فناموا سنين طويلة، وبذلك خلصوا من مكائد الملك وأعوانه الذين كانوا يروّجون الوثنية ويحاربون الموحّدين، فلمّا بعثهم الله سبحانه بعد مضى ثلاثة قرون وانكشف أمرهم للناس، وثبت أنّ وعد الله حق حيث إنّ إيقاظهم الّذى

۱- البقرة: ۲۴۸.

۲- مجمع البيان ۶۱۵: ۱.

ص: ۲۵

يشبه البعث والإحياء بعد إنامتهم الّتى تُشبه الموت، أقوى دليل على قدرته سبحانه على أن يبعث الناس يوم القيامة ثم إنّه بعدما تبيّن ما هو الغرض من إنامتهم وإيقاظهم أماتهم الله سبحانه، واختلف الناس فى حقّهم وفى شأنهم، فذهب فريق منهم إلى إغلاق باب الكهف وسترهم عن أعين النـاس وجعلهم وراء البنيان وإلى هـذا يشـير قوله سبحانه: ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا. (۱) والقائلون بـذلك هم الأقلية الوثنية، أرادوا بذلك أن يخفوا أمرهم لكى ينساه الناس ولا يتحدّثون به، وقالوا- تحقيراً بشأنهم-: رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ. (۲) وقال الفريق الآخر، أى: الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ. (۳) أى على أمر القائلين بالاقتراح الأوّل: لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا. (۴) تتعبّدون فيه لله سبحانه تبركاً بتربتهم، وهذا يدل على أمرين:

۱. جواز بناء المساجد على قبور الأولياء.

۲. جواز التبرّك بتربة القبور، لأنّ القرآن يذكر ذلك من دون ردّ واعتراض، بل يظهر منه التأييد والموافقة.

۱- الكهف: ۲۱.

۲- المصدر السابق.

۳- المصدر السابق.

۴- المصدر السابق.

ص: ۲۶

تبرّک الصحابة بآثار النبی (ص)

ذکر أصحاب السیر والتاریخ تبرّک الصحابة بأنواع متعددة من آثار النبی (ص) نظیر: «التبرّک بماء وضوئه، وبریقه، وبنخامته، وبدمه، وبشعره، وبسؤره، وبطعامه، وبأظافره، وبلباسه، وبأوانیه، وبما لمسه، وبمصلاه»؛ هذا ما جاء فی الموسوعة الفقهیة الکویتیة: ۷۰: ۱۰– ۷۱، ولکن الموارد أوسع ممّا ذکر هناک، ولأجل الإشارة إلی شیء منها، نذکر بعض النصوص:

۱. التبرّک بماء وضوئه (ص)

أرسلت قریش عروة بن مسعود الثقفی لیمثّلها فی صلح الحدیبیة مع رسول الله (ص)، وکلّمه رسول الله (ص) بنحو ما کلّم به أصحابه، وأخبره أنّه لم یأت یرید حرباً، و بعد ما تمت المذاکرة بین الطرفین قام عروة من عند رسول الله (ص) وقد رأی ما یصنع به أصحابه، لا یتوضّأ، إلّا ابتدروا وضوءه، ولا یَبْصق بُصاقاً إلّا ابتدروه، ولا یسقط من شعره شیء إلّا أخذوه، فرجع إلی قریش، فقال: یا معشر قُریش، إنّی قد جئت کسْری فی مُلکه، وقیصر فی مُلکه، والنجاشیِّ فی مُلکه، وإنی والله ما رأیت مَلِکاً فی قوم قطّ مثلَ محمد فی أصحابه، ولقد رأیت قوماً لا یُسلمونه لشیء أبداً، فَرَوا رأیکم. (۱) ۲. التبرّک بقدحه

۱– السیرة النبویة لابن هشام ۳۲۸: ۳.

ص: ۲۷

أخرج البخاری فی صحیحه عن أبی حازم، عن سهل بن سعد، أنّه قال: فأقبل النبی (ص) یومئذ حتّی جلس فی سقیفة بنی ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: «اسقنا یا سهل!»، فأخرجت لهم هذا القدح فأسقیتهم فیه] وقال أبوحازم [فأخرج لنا سهل ذلک القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبدالعزیز بعد ذلک فوهبه له. (۱) ۳. التبرّک بسؤره

روی أحمد بن حنبل عن أبی صالح، عن أم هانی أنّالنبی (ص) دخل علیها یوم الفتح، فأتته بشراب، فشرب منه، ثم فضلت منه فضلة، فناولها فشربته، ثم قالت: یا رسول الله، لقد فعلت شیئاً ما أدری یوافقک أم لا؟ قال (ص): «وما ذاک یا أمّ هانی؟»، قالت: کنت صائمة فکرهت أن أرد فضلک فشربته، قال (ص): «تطوعاً أو فریضة؟» قالت: قلت: بل تطوُّعاً، قال (ص): «فإنّ الصائم المتطوع بالخیار إن شاء صام، وإن شاء أفطر». (۲) ۴. التبرّک بمنبره

سأل عبدالله بن أحمد عن أبیه قال: سألته عن الرجل یمسّ منبرالنبی (ص) ویتبرّک بمسّه، ویقبّله، ویفعل بالقبر مثل ذلک، أو نحو ذلک یرید بذلک التقرب إلی الله جلّ وعزّ، فقال: «لا بأس بذلک». (۳)

۱- فتح الباری ۹۸: ۱۰، برقم ۵۶۸۷.

۲- مسند أحمد ۳۹۱: ۱۰، برقم ۲۷۴۵۴. ط. دارالفکر، بیروت.

۳- العلل ومعرفة الرجال ۴۹۲: ۲، برقم ۳۲۴۳.

ص: ۲۸

وعلّق محقّق كتاب (العلل ومعرفـة الرجال) على هـذا الحـديث وقال: أمّا مسّ منبر النبى (ص) فقـد أثبت ابن تيمية- فى الجواب الباهر لزوّار المقابر- فعله عن ابن عُمر، دون غيره من الصحابة، وروى أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنّف (۱۲۱: ۴) عن زيد بن الحباب قال حدّثنى أبو مودود قال: حدّثنى يزيد بن عبدالملك بن قسيط، قال: رأيت نفراً من أصحاب النبى (ص) إذا خلا لهم المسجد قاموا إلى رُمّانة المنبر القرعاء فمسحوها ودعوا؛ قال: «ورأيت يزيد يفعل ذلك».

وقـال الكرمانى حول قول عمر: عنـدما جاء إلى الحجر الأسود فقبّله فقال: إنّى أعلم أنّك حجر لا تضـرّ ولا تنفع ولولا أنّى رأيت النبى يقبلك ما قبلتك: «وأمّا تقبيل الأماكن الشـريفة على قصـد التبرّك وكذلك تقبيل أيدى الصالحين وأرجلهم فهو حسن محمود باعتبار القصـد والنيـة؛ وقد سأل أبو هريرة الحسن (رض) أن يكشف له المكان الّذى قبّله رسول الله (ص) وهوسـرته فقبّله تبركاً بآثاره وذريته (ص)، وقـد كـان ثـابت البنـانى لا يـدع يـد أنس (رض) حتّى يقبّلها ويقول: يـد مسّت يـد رسول الله؛ وقال أيضاً: وأخبرنى الحافظ أبو سعيد ابن العلائى قال: رأيت فى كلام أحمد بن حنبل فى جزء قديم، عليه خط ابن ناصـر وغيره من الحفاظ، أنّ الإمام أحمد سئل عن تقبيـل قبر النبى (ص) وتقبيـل منبره فقـال: لاـ بـأس بـذلك؛ قال: فأريناه للشـيخ تقى الـدين بن تيميـة، فصار يتعجّب من ذلك ويقول: عجيب أحمـد عنـدى جليل يقوله هـذا كلامه أو معنى كلامه. وقال: وأى عجب فى ذلك وقد روينا عن الإمام أحمد انّه غسل قميصاً للشافعى وشرب الماء الّذى غسله به، وإذا

ص: ۲۹

کان هذا تعظیمه لأهل العلم فکیف بمقادیر الصحابهٔ وکیف بآثار الأنبیاء (هم)؟! ولقد أحسن مجنون لیلی حیث یقول:

أمرّ علی الدیار دیار لیلی أقبّل ذا الجدار ولا الجدارا

وما حبّ الدیار شغفن قلبی ولکن حب من سکن الدیارا

(۱) ۵. التبرّک بالدنانیر الّتی لمسها النبی (ص)

أخرج أحمـد فی مسنده عن جـابر بن عبـدالله قال: کنت مع النبی (ص) فی سـفر- إلی أن قال:- وکنت علی جمل فاعتلّ قال: فلحقنی رسول الله (ص) وأنا فی آخر الناس قال: فقال: «مالکَ یا جابرُ؟» قال: قلت اعتلّ بعیری، قال: فأخذ بذنبه ثم زجره قال: فما زلت إنّما أنا فی أوّل الناس یهمنی رأسه فلمّا دنونا من المدینـهٔ قال: قال لی رسول الله (ص): «ما فَعَلَ الجملُ؟» قلت: هو ذا، قال: «فبعنیه» قلت: لا بل هو لک، قال: «بعنیه» قال: قلت: هو لک، قال: «لا، قـد أخـذته بأوقیهٔ، ارکبه فإذا قدمتَ فائتنا به» قال: فلمّا قدمت المدینهٔ جئت به فقال: «یا بلال زن أوقیـهً وزده قیراطاً» قال: قلت: هذا قیراط زادنیه رسول الله (ص) لا یفارقنی أبداً حتّی أموت قال: فجعلته فی کیس فلم یزل عنی حتّی جاء أهل الشام یوم الحرهٔ فأخذوه فیما أخذوا. (۲) ۶. التبرّک بالعصا الّتی أعطاها النبی (ص)

۱- عمدهٔ القارئ ۵: الجزء ۲۴۱: ۹.

۲- مسند أحمد: ۵۱: ۵- ۵۲، برقم ۱۴۳۸۳.

ص: ۳۰

روی أحمد فی مسنده عن عبدالله بن أنیس فی حدیث فلمّا قدمت علی رسول الله (ص) فرآنی فقال: «أفلح الوجه».

قال: قلت: قتلته یا رسول الله قال: «صادقت».

قال: ثم قام معی رسول الله (ص) فدخل فی بیته فأعطانی عصاً فقال: «أمسک هذه عندک، یا عبدالله بن أنیس».

قال: فخرجت بها علی الناس فقالوا: ما هذه العصا؟ قال: قلت: أعطانیها رسول‌الله (ص) وأمرنی أن أمسکها، قالوا: أو لا ترجع إلی رسول الله (ص) فتسأله عن ذلک؟

قال: فرجعت إلی رسول الله (ص) فقلت: یا رسول الله، لم أعطیتنی هذه العصا؟ قال: «آیة بینی وبینک یوم القیامة، إنّ أقل الناس المتخصّرون یومئذ یوم القیامة». فقرنها عبدالله بسیفه فلم تزل معه حتّی إذا مات أمر بها فصبت معه فی کفنه ثم دفنا جمیعاً. (۱) ۷. التبرّک بقمیص النبی (ص)

روی ابن عبد البّر فی ترجمة فاطمة بنت أسد بن هاشم، قال: أسلمتْ وهاجرتْ إلی المدینة وتوفیت بها، وقال الزبیر: هی أوّل هاشمیة ولدت لهاشمی.

۱- مسند أحمد: ۴۳۱: ۵، برقم ۱۶۰۴۷.

ص: ۳۱

قال: وقد أسلمت وهاجرت إلى الله ورسوله وماتت بالمدينة فى حياة النبى (ص) وشهدها رسول الله (ص).

قال أبو عمر: روى سعدان بن الوليد السابرى، عن عطاء ابن أبى رباح، عن ابن عباس قال: لمّا ماتت فاطمة أم على بن أبى طالب ألبسها رسول الله (ص) قميصه، واضطجع معها فى قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه، فقال: «إنّه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبرّ بى منها، إنّما ألبستها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضطجعت معها ليهون عليها». (۱) ۸. التبرّك بالبردة المهداة

قدم كعب بن زهير على الرسول (ص) وأنشد قصيدته اللامية المعروفة الّتى مستهلها:

بانت سعاد فقلبى اليو م متبول متيّم إثرها لم يُفد مكبول

وجاء فيها قوله:

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

أنبئت أنّ رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول

إنّ الرسول لنور يستضاء به مهنّد من سيوف الله مسلول

قال الدياربكرى: رمى عليه رسول الله (ص) بردة كانت عليه، وأنّ معاوية بذل له فيها عشرة آلاف مثقال، فقال: ما كنت لأُوثر بثوب

۱- الإصابة ۳۶۸: ۴؛ والاستيعاب بهامش الاصابة ۳۷۰: ۴.

ص: ۳۲

رسول‌الله (ص) أحداً، فلمّا مات كعب بعث معاوية إلى ورثته بعشرين ألفاً فأخذها منهم. قال: وهى البردة الّتى عند السلاطين إلى اليوم. (۱) ۹. التبرّك بجبّته (ص)

روى مسلم عن أسماء بنت أبى بكر أنّها أخرجت جبّة رسول‌الله (ص) كانت عند عائشة، فلمّا قبضت قبضتها، وكان النبى (ص) يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى ونستشفى بها. (۲) ۱۰. التبرّك بالقبر الشريف

أخرج الحاكم فى مستدركه عن داود بن أبى صالح، قال: أقبل مروان يوماً فوجد رجلًا واضعاً وجهه على القبر، فأخذ برقبته وقال: أتدرى ما تصنع؟ قال: نعم، فأقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصارى (رض) فقال: جئت رسول الله (ص) ولم آت الحجر، سمعت رسول الله (ص) يقول: «لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله».

ثم قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه (يعنى البخارى ومسلم). (۳) وروى السمهودى عن أبى الجوزاء قال: قُحِطَ أهلُ المدينة قحطاً شديداً، فشكوا إلى عائشة، فقالت: فانظروا قبر النبى (ص) فاجعلوا منه كُوَّةً

۱- تاريخ الخميس ۱۳۱: ۲.

۲- صحيح مسلم، برقم ۲۰۶۹، باب النهى عن لبس الحرير، كتاب اللباس والزينة.

۳- مستدرك الحاكم ۱۱۵: ۴، كتاب الفتن والملاحم.

ص: ۳۳

إلى السماء حتّى لا يكون بينه وبين السماء سقف، ففعلوا، فمطروا حتّى نَبَتَ العُشْبُ وسمنت الإبلُ حتّى تفتقت من الشحم، فسمى عام الفتق.

قال الزين المراغی: واعلم أنّ فتح الكُوَّة عند الجَدْب سُنَّةُ أهل المدينة حتّى الآن، يفتحون كوة فی سفل قبة الحجرة: أی القبة الزرقاء المقدسة من جهة القبلة، وإن كان السقف حائلًا بين القبر الشريف وبين السماء.

قلت: وسنّتهم اليوم فتحُ الباب المواجهِ للوجه الشريف من المقصورة المحيطة بالحجرة، والاجتماع هناك، والله أعلم. (۱)

وروی البخاری: لمّا حضرت الوفاة عمر بن الخطاب، قال لابنه عبدالله: انطلق إلى اُم المؤمنين عائشة، فقل: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، قال: فاستأذن وسلم، ثم دخل عليها وهی تبكی، فقال: يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه.

فقالت: كنت اُريده لنفسی ولأُوثرنّه اليوم على نفسی، فلمّا أقبل قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين. قال: ما كان شیء أهم من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملونی ثم سلّموا ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لی فادفنونی، وإلّا فردّونی إلى مقابر المسلمين. (۲) ۱۱. التبرّك بالمواضع الّتی صلّى فيها الرسول (ص)

أخرج البخاری عن مولى بن عقبة قال:

۱- وفاء الوفا ۵۶۰: ۱.

۲- صحيح البخاری، برقم ۱۳۹۲، كتاب الجنائز.

ص: ۳۴

رأيت سالم بن عبـدالله يتحرّى أماكن من الطريق فيصـلّى فيها ويحدّث أنّ أباه كان يصـلّى فيها، وأنّه رأى النبى (ص) يصـلّى فى تلك الأمكنـة، وحـدثنى نافع عن ابن عمر أنّه كان يصـلى فى تلك الأمكنة، وسألت سالماً فلا أعلمه إلّا وافق نافعاً فى الأمكنة كلها إلّا أنّهما اختلفا فى مسجد بشرف الروحاء. (۱) ۱۲. التبرّك بخاتم النبى (ص)

روى عبـدالرزاق عن معمر، قال: أخرج إلينا عبدالله بن محمد (بن) عقيل خاتماً نقشه تمثال، وأخبرنا أنّ النبى (ص) لبسه مرّة أو مرّتين، قال: فغسله بعض من كان معنا فشربه. (۲) ۱۳. التبرّك بالمسح واللمس

كانت الصـحابة يطلبون من النبى (ص) أن يمسح على رؤوسـهم ويبارك لهم، ومن هؤلاء زياد بن عبد اللّه بن مالك الهلالى، قال ابن حجر: فـدخل زياد منزل ميمونـة أمّ المؤمنين وكانت خالته ... فقالت: يا رسول‌اللّه (ص) إنّه ابن أختى، فـدعاه فوضع يده على رأسه ثمّ حدرها على طرف أنفه، فكان بنو هلال يقولون: ما زلنا نعرف البركة فى وجه زياد.

ثمّ قال ابن حجر: وذكر ابن سعد القصة مطولة عن هشام بن الكلبى ... وقال الشاعر لعلى بن زياد المذكور:

يا ابن الذى مسح الرسول برأسه ودعا له بالخير عند المسجد

۱- صحيح البخارى، برقم ۴۸۳، باب المواضع الّتى صلى فيها النبى ص.

۲- المصنف لعبدالرزاق الصنعانى ۳۴۷: ۱.

ص: ۳۵

مازال ذاك النور فی عرنينه حتی تبّوأ بيته فی ملحد

(۱) هـذه ثلاثة عشـر مورداً تبرّک فيها الصـحابة ولم يعترض عليه أحد، وکانوا يتلقون التبرّک بأنّه غير مناف للتوحيد الّذی بعث لأجله النبی (ص) والموارد کثيرة نکتفی بهذا المقدار، ومن أراد التفصيل فليراجع إلی الکتابين التاليين فقد بلغا الغاية:

۱. «تبرّک الصـحابة بآثار النبی والصالحين» للعلّامـة المحقّق والمؤرّخ الخبير محمد طاهر بن عبدالقادر بن محمود المکی، طبع الکتاب فی القاهرة، مطبعة المدنی، عام ۱۳۸۵ ه-. ق.

۲. «التبرّک» بقلم المحقّق الخبير آيـة اللّه علی الأحمـدی الميانجی (۱۳۴۴- ۱۴۲۱ ه-)، فقـد تتبع فی کتابه هـذا- وبنحو يثير الإعجاب حقّاً- المسألـة من جميع أبعادها التاريخيـة والحديثيـة و ...، وأثبت بما لا مزيد عليه وبنحو لا يدع للترديد أو الشکّ مجالًا فی أنّ سـيرة المسلمين عامّة والصحابة والتابعين خاصة کانت قائمة علی التبرّک بآثار النبی (ص) والصالحين.

۱- الإصابة ۵۳۹: ۱- ۵۴۰، رقم الترجمة ۲۸۵۶.

ص: ۳۶

التبرّک فی روایات أهل البیت (هم)

قد ذکرنا فیما مضی التبرّک فی السنة النبویة ومصادر التاریخ، والآن نذکر ما ورد عن أئمة أهل بیت رسول الله (ص)، وهم أعلم بما فیه.

۱. التبرّک باسم الله جل وعلا

روی الإمام الحسن بن علی العسکری (ع)، عن آبائه، عن علی (هم)- فی حدیث- أنّ رجلًا قال له: إن رأیت أن تعرّفنی ذنبی الّذی امتحنت به فی هذا المجلس، فقال: «ترککک حین جلست أن تقول: بسم الله الرحمن الرحیم، إنّ رسول الله (ص) حدّثنی عن الله عزّوجلّ أنّه قال: کلّ أمر ذی بال لا یذکر بسم الله فیه فهو أبتر». (۱) ۲. التبرّک بالقرآن الکریم

روی الکلینی بسنده عن ابن القدّاح، عن أبی عبدالله (ع) قال: «قال أمیرالمؤمنین (ع): البیت الّذی یقرأ فیه القرآن ویذکر الله عزوجل فیه تکثر برکته وتحضره الملائکة وتهجره الشیاطین، ویضیء لأهل السماء کما تضیء الکواکب لأهل الأرض، وإنّ البیت الّذی لا یقرأ فیه القرآن ولا یذکر الله عزوجل فیه تقلّ برکته وتهجره الملائکة وتحضره الشیاطین». (۲) ۳. التبرّک بماء وضوء النبی (ص)

روی الصدوق فی «عیون أخبار الرضا (ع)»، عن الإمام الرضا (ع) قال: «سمعت أبی یحدّث عن أبیه، عن جدّه (هم)، عن جابر بن عبدالله قال:

۱- تفسیر الإمام العسکری ع: ۲۴ و ۲۵؛ الوسائل: کتاب الصلاة، الباب ۱۷ من أبواب الذکر، الحدیث ۴.

۲- أصول الکافی ۶۱۱: ۲، کتاب فضل القرآن.

ص: ۳۷

كـان رسول الله فى قبّـة من أدم وقـد رأيت بلالًا الحبشـىّ وقـد خرج من عنـده ومعه فضل وضوء رسول الله (ص) فابتـدره الناس، فمن أصـاب منه شـيئاً تمسّـح به وجهه، ومن لم يُصب منه شـيئاً أخـذ من يـدى صـاحبه فمسـح به وجهه، وكـذلك فعـل بفضل وضوء أمير المؤمنين (ع)». (۱) ۴. التبرّك بقبر النبى (ص)

روى الكلينى بسـنده عن على بن جعفر، عن أخيه أبى الحسن موسـى، عن أبيه، عن جـدّه (هم) قـال: «كان على بن الحسـين (ع) يقف على قبر النبى (ص) فيسـلم عليه ويشهد له بالبلاغ، ويدعو بما حضره، ثمّ يسند ظهره إلى العروة الخضراء الدقيقة العرض ممّا يلى القبر، ويلـتزق بـالقبر ويسـند ظهره إلى القـبر، ويسـتقبل القبلـة فيقـول: «أللّهم إليـك ألجـأت ظهرى، وإلى قـبر نبيّـك محمّـد (ص) عبـدك ورسولك أسـندت ظهرى، والقبلة الّتى رضـيت لمحمّد (ص) اسـتقبلت، أللّهم إنّى أصـبحت لا أملك لنفسـى خير ما أرجوه، ولا أدفع عنهـا شـرّ ما أحـذر عليها، وأصـبحت الأُمور بيـدك فلا فقير أفقر منّى، ربّ إنّى لما أنزلت إلىّ من خير فقير، أللّهمّ اردنى منك بخير فإنّه لا رادّ لفضلك، أللّهم إنّى أعوذ بك من أن تبدّل اسمى، أو تغيّر جسمى، أو تزيل نعمتك عندى، أللّهمّ كرّمنى بالتقوى، وجمّلنى بالنعم، وأعمرنى بالعافية، وارزقنى شكر العافية». (۲)

۱- عيون أخبار الرضا ع: ۲۲۷؛ بحار الأنوار ۳۳: ۱۷، برقم ۱۵.

۲- الوسائل ۱۴: كتاب الحج، الباب ۶ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ۲.

ص: ۳۸

وروى الكلينى- أيضاً- عن ابن فضّال قال: رأيت أبا الحسن (الرضا) (ع) وهو يريد أن يودّع للخروج إلى العمرة فأتى القبر من موضع رأس رسول الله (ص) بعد المغرب فسلّم على النبى (ص) ولزق بالقبر، ثمّ أتى المنبر، وانصرف حتّى أتى القبر فقام إلى جانبه يصلّى، وألصق منكبه الأيسر بالقبر قريباً من الأسطوانة الّتى دون الأسطوانة المخلّقة الّتى عند رأس النبى (ص) فصلّى ستّ ركعات- أو ثمانى ركعات- فى نعليه. (۱) وروى الكلينى بسنده عن معاوية بن عمّار قال: قال أبوعبدالله (ع): «إذا فرغت من الدعاء عند قبر النبى (ص) فائت المنبر فامسحه بيدك وخذ برمانتيه، وهما السفلاوان، وامسح عينيك ووجهك به فإنّه يقال: إنّه شفاء للعين، وقم عنده فاحمد الله وأثن عليه وسل حاجتك فإنّ رسول الله (ص) قال: ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنّة، ومنبرى على ترعة من ترع الجنّة- والترعة هى الباب الصغير- ثمّ تأتى مقام النبى (ص) فتصلّى فيه ما بدا لك». (۲) شبهة القائلين بحرمة التبرّك

لما وقف القائل بمنع التبرّك على هذه الروايات الهائلة الحاكية عن تبرّك الصحابة بآثار النبى (ص)، حاول أن يتخلّص من ذلك بالوجهين التاليين:

۱- الوسائل ۱۴: كتاب الحج، الباب ۱۵ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ۳.

۲- الوسائل ۱۴: كتاب الحج، الباب ۷ من أبواب المزار وما يناسبه، الحديث ۱.

ص: ۳۹

الأوّل: التبرّک مخصوص بآثار النبی (ص) فی حال حیاته لا بعد رحیله. (۱) ولسائل أن یسأل القائل: هل کان التبرّک بآثار النبی (ص) فی حال حیاته أمراً عبادیّاً یتقرّب به إلی الله سبحانه أو کان عملًا عادیّاً- لا عبادیّاً- نظیر الأعمال الّتی یقوم بها الناس حسب فطرتهم؟ فعلی الأوّل یکون التبرّک عندئذ شرکاً یعدّ نوع عبادة للغیر فلا یجوز للنبی أن یقرّه فیسکت عنه أو أن یدعمه بدفع العصا وغیرها، کیف وقد وصف سبحانه الشرک بأنّه ظلم عظیم؟ قال سبحانه مخاطباً لنبیّه: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ. (۲) وعلی هذا فلا محیص من ردّ هذا الفرض.

وعلی الثانی أی کون التبرّک أمراً عادّیاً یطلب المتبرک الخیر من مورده کما یطلب الخیر من سائر الأُمور فلا یصحّ تخصیص الجواز بآثار النبی (ص)، لأنّ المفروض أنّه خارج عن إطار العبادة وداخل تحت الأُمور العادیّة.

إنّ التبرّک بآثار الأولیاء والعلماء والأخیار أمر فطری للناس، ولذلک تبرکت بنو إسرائیل بتابوت موسی، کما تبرّک الموحدون بأصحاب الکهف ببناء المسجد علی قبورهم والعبادة فیه، وقد مرّ أنّ إمام الحنابلة أحمد

۱- التبرّک والتوسل والصلح مع العدوّ الصهیونی: ۴۰، والقائل عبدالعزیز بن باز مفتی السعودیة سابقاً.

۲- الزمر: ۶۵.

ص: ۴۰

بن حنبل تبرّک بماء غسل فيه قميص الشافعی. (۱) وقد جاء فی بعض الروايات أنّ فی سؤر المؤمن شفاءاً. (۲) ونقل بعض الثقات أنّه شارک فی ضيافة أقامها الشيخ عبدالعزيز بن باز لجماعة من العلماء وهو منهم ورأى بام عينيه أنّ أصحاب المفتی فی نهاية الأمر تسابقوا إلى سؤر طعامه، أفيصحّ بعد ذلک تخصيص التبرّک بآثار النبیّ؟!

الثانی: أنّ التبرّک يختصّ بما مسّ جسده الشريف.

إنّ التبرّک بما مسّ جسده (ص) من ماء وضوء أو عَرَق أو شعر، فهذا معروف وجائز عند الصحابة، لما فی ذلک من الخير والبركة؛ وهذا قد أقرّه النبی دون ما لم يمسّ جسده. (۳) وعلّق محقّق كتاب الإمام أحمد باسم «العلل ومعرفة الرجال» فقال فی الهامش: وأنّ هذا كان لمّا كان منبره الّذی لامس جسده الشريف، أمّا الآن فقد تغيّر، لا يقال بمشروعيّة مسه تبركاً به. (۴) يلاحظ عليه أوّلًا: أنّ تخصيص التبرّک بالآثار مسّها جسد النبی المطهّر (ص) لا يخلو من وجهين:

۱. إنّ لجسده المطهّر تأثيراً فی نشوء الخير وزيادة النعمة؛ وهذا الوجه مرفوض بما عليه علماء السنّة وبالأخص فقهاء الحنابلة؛ لأنّهم

۱- مرّ سابقاً فراجع.

۲- الوسائل ۲۵: الباب ۱۸ من أبواب الأشربة المباحة، الحديث ۱.

۳- التبرّک والتوسل والصلح مع العدو الصهيونی: ۴۰.

۴- العلل ومعرفة الرجال ۴۹۴: ۲.

ص: ۴۱

ينكرون أىّ مؤثر فى العالم سوى الله تبارك وتعالى وشعارهم فى هذا الموضع قول القائل:

ومن يقل بالطبع أو بالعلّة فذاك كفر عند أهل الملّة

فعلى هـذا الأصـل فليس لجسـده المطهر أى تـأثير فى وجود الخير وزيـادة النعمـة، وإلّا يلزم الاعتقاد بمؤثر سوى الله سـبحانه، ولو كان التأثير ظلّياً وتابعاً لمشيئته سبحانه فإنّهم ينفون ذلك كلّه.

۲. نفى القول بالتـأثير لكن تبرّك الصـحابة كـان فى خصوص مـا مسّ جسـده الشـريف لا غير؛ لكن هـذا الوجه مردود بنصّ التاريـخ، وذلك:

أوّلًا: أنّ فاطمـة الزهراء (ها) بنت النبى الأكرم (ص) الّتى طهرها الله سـبحانه فى كتابه وقال: إِنَّمَا يُرِيـدُ الله لِيُـذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. (۱)، وأناط سبحانه رضاه وغضبه برضا فاطمة وغضبها فقال النبى (ص):

«فاطمـة بضـعة منّى فمن أغضـبها فقد أغضـبنى». (۲) وفى روايـة أخرى، أنّ غضـب الزهراء (هـا) ورضاهـا يـوجب غضـب الله سـبحانه ورضاه، فقال:

«يا فاطمة إنّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك». (۳)

۱- الأحزاب: ۳۳.

۲- صحيح البخارى ۲۱۰: ۴، دار الفكر، بيروت؛ فتح البارى فى شرح صحيح البخارى ۸۴: ۷.

۳- مسـتدرك الحاكم ۱۵۴: ۳؛ مجمع الزوائـد ۲۰۳: ۹، وقد اسـتدرك الحاكم فى كتابه الأحاديث الصـحيحة حسب شـروط البخارى ومسلم ولكن لم يخرجاه، وعلى ذلك فهذا الحديث صحيح عند الشيخين وهو متفق عليه.

ص: ۴۲

إنّها (ها) تبركت بتراب قبر أبيها ووضعت شيئاً منه على عينها وقالت:

ماذا على مَنْ شمَّ تربهٔ أحمد ألّا يشمَّ مدى الزمان غواليا

صُبّت علَيّ مصائب لو أنّها صُبّت على الأيام صِرْن لياليا

(۱) والتراب الّذی أخذته بنت النبی لم یمسَّ جسد النبی (ص)، إذ لم تأخذه من تراب داخل القبر الّذی مسّ جسده، بل أخذته من تراب ظاهر القبر الّذی یواری به المیّت.

وهذا هو مضیّف النبی أبو أیوب الأنصاری حیث جعل خدّه علی تراب قبر النبی (ص) متبرّکاً به أیّام کانت الحکومهٔ بید الأمویین وعلی رأسهم مروان بن الحکم. (۲) وهؤلاء هم صحابهٔ النبی (ص) کانوا یتبرّکون بالصلاهٔ فی أماکن صلّی فیها النبی، ومن المعلوم أنّ تلک الأماکن لم تکن مسقّفهٔ أو مفروشهٔ بالحُصُر والبواری، بل کانت أراض مکشوفهٔ صلّی فیها النبی (ص)، فمن المعلوم أنّ الأمطار والریاح والعواصف تفرّق ترابها إلی نقاط بعیدهٔ وترسل غبار الأماکن الأُخری إلیها.

۱- المغنی لابن قدامهٔ: ۴۱۱: ۲.

۲- مرّ سابقاً فی مبحث: ۷. التبرک بالقبر الشریف.

ص: ۴۳

إنّه سبحانه أمر حجّاج بيته الحرام بالصلاة فی مقام إبراهيم (ص) فقال: وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى. (۱) وليس المقام إلّا جزءاً من المسجد الحرام، ولكنّه سبحانه أمر بالصلاة فيه وما هذا إلّا للتبرّك به، والمقام الموجود حاليّاً وحتّى الموجود فی القرون السابقة لم يكن ممّا مسّه جسد بطل التوحيد.

ومَن قرأ تبرّك الصحابة بآثار النبی يقف على أنّ تلك المحاولة ليست إلّا لرأی مسبق ودعماً للمذهب ولم تكن هذه المحاولة وما تقدّمها فی خلد أی صحابی يتبرّك بآثار النبی (ص).

وثانياً: أنّ كثيراً من الأعمال الّتی يمارسها المسلمون فی الحرمين الشريفين من تقبيل الضريح والجدران والأبواب وأركان البيت وغير ذلك كله تجسيد منهم لحبّ الله وحبّ رسوله الّذی أمر سبحانه به فی قوله: إنْ كَانَ آبَاؤكُمْ وَأَبْنَاؤكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَاد فِی سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِیَ الله بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِی الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ. (۲) وأمر فی آية أخرى بتوقير النبی (ص) إلى جانب الإيمان به ونصرته واتّباعه وقال: ... فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّرُوهُ وَ نَصَرُوهُ وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أنْزِلَ مَعَهُ أولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. (۳) والمراد من التعزير هو تكريمه وتوقيره،

۱- البقرة: ۱۲۵.

۲- التوبة: ۲۴.

۳- الأعراف: ۱۵۷.

ص: ۴۴

وبما أنّ يد المحبين لاتصل إلى يد النبى (ص) حتّى يقبّلونها، يقبّلون ما له به صلة، وهذه هى العادة السائدة بين العقلاء فيقبّل الولد ما ورثه من الآباء من ألبسة وكتب وأقلام وتصاوير، وكأنّ منطق الجميع منطق مجنون ليلى العامرية:

أمرّ على الديار ديار ليلى أُقبّل ذا الجدار و لا الجدارا

وماحبّ الديار شغفن قلبى ولكن حبّ من سكن الديارا

(۱) وقد عدّ البيهقى محبة النبى من شعب الإيمان. (۲) كما عقد مسلم فى صحيحه باباً باسم توقيره (ص) وترک إكثار سؤاله عمّا لا ضرورة إليه. (۳) والعجب أنّ أتباع ابن تيميـة- الّذى يعدّ التبرّک بآثار النبى (ص) بعد رحيله بدعة- كانوا يتبرّكون بالماء الّذى فضـل من غسـله، يقول تلميذه ابن كثير فى حوادث سنة ۷۲۸ ه-: شـرب جماعة الماء الّذى فضل من غسـله، واقتسم جماعة بقية السدر الّذى غُسّـِل به، ودفع فى الخيـط- الّذى كان فيه الزئبق الّذى كان فى عنقه (عنق ابن تيميـة) بسـبب القمل- مأة وخمسون درهماً، وقيل: إنّ الطاقية الّتى كانت على رأسه دفع فيها خمس مأة درهماً، وحصل فى الجنازة ضجيج وبكاء كثير وتضرع، وختمت له ختمات كثيرة

۱- مرّ مصدر البيتين سابقاً.

۲- شعب الإيمان ۱۲۹: ۲.

۳- صحيح مسلم: كتاب الفضائل، الباب ۳۷.

ص: ۴۵

بالصالحية وبالبلد، وتردد الناس إلى قبره أياماً كثيرة ليلًا ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون، ورويت له منامات صالحة ورثاه جماعة بقصائد جمّة. (۱)

۲. رسالة مفتوحة

إلى رئيس مركز البحوث والدراسات فى مبرّة الآل والأصحاب المحترم

قرأنا فى جريدة الرأى الكويتية (العدد: ۱۰۴۲۸) حواراً مع الشيخ محمد سالم الخضر حول مشروع (مبرّة الآل والأصحاب) تحت عنوان: «هدفنا تخليص الأمّة من الصراع الطائفى».

۱- البداية والنهاية ۱۴۲: ۱۴- ۱۴۳.

ص: ۴۶

وإليك بعض فقرات هذا الحوار:

۱. قال المحاور- جواباً عن سؤال: كيف جاءت فكرة مبرة الآل والأصحاب؟- بزغت الفكرة نتيجة للوضع الطائفى القائم فى الأُمّة الإسلامية والذى استغله أعداء الإسلام أسوأ استغلال، فأردنا أن نقوم بعمل شىء إيجابى حتى نخلّص المجتمعَ من الصراع الطائفى الذى وصل إلى الكويت، وصارت فكرة المبرة مقبولة لدى المعتدلين من الطرفين حيث إنّها مسّت الجرح وتعاملت معه بحكمة وأبرزت بعض الحقائق الغائبة عن المنتسبين للطرفين.

۲. وقال: إنّ حبّ آل البيت فطرى عند جميع المسلمين، وإنّ المبرة على وشك الانتهاء من كتاب يستوعب شخصية الإمام الحسين من ميلاده ونشأته، وقد أسميناه «قرة العين فى سيرة الإمام الحسين رضى الله عنه» إلى أن يقول: إنّنا نعيش فى فترة حرجة فى حياة الأُمّة تفرض علينا أن نتعقّل فى رؤيتنا لمأساة الحسين رضى الله عنه، وأن نقف موقفاً واحداً ضد النداءات الطائفية المستفزة والتى من شأنها أن تخلق جوّاً من التشاحن البغيض بين المسلمين.

۳. وقال: أذكر منها عبارة (يا لثارات الحسين) التى تستحق من خطباء المنابر و القادة السياسيين (سنّة وشيعة) موقفاً موحّداً لما فيها من الاستفزاز الطائفى والتحريض على المسلمين:

فيزيد لم يكن سنياً كما أنّ الحسين لم يكن شيعياً، إذ لم يكن فى ذلك الزمان (سنّة وشيعة) بالمعنى العقائدى أصلًا، وترديد عبارة (يا لثارات

ص: ۴۷

الحسين) فى زماننا هذا، وقد مات قتلة الحسين رضى الله عنه منذ أكثر من ۱۳۶۰ سنة يعنى أنّنا نكرّس فى أبنائنا، الطائفية، والرغبة فى الانتقام من الآخر.

وعلينا أن نتساءل: من منّا يتحمّل دم الحسين رضى الله عنه ويستحق أن يُنتقم منه؟

۴. ثم يتطرق المتحدث إلى صيام عاشوراء وانّه ليس فكرة طائفية و لاحتى من خصوصيات طائفة دون أخرى، فإنّ الذين ينتقدون هذه السنّة النبوية يتناسون أنّ المسألة اتفاقية بين أهل السنّة والجماعة وبين الشيعة الاثنى عشرية بغضّ النظر عن اجتهادات وآراء البعض.

هذه فقرات أربع اقتطعناها من الحوار الذى أجرى مع رئيس مركز البحوث والدراسات فى المبرة المذكورة.

ولنا معها وقفات، نريد عطف نظر الرئيس المحترم إليها:

الاولى: لا شك أنّ توحيد الكلمة والابتعاد عن التفرق والتشرذم أمر يستحسنه العقل، ويأمر به الشرع، فالله سبحانه مدح الوحدة وذم الفرقة بقوله: وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا. (۱) فكأنّ الأُمّة المتفرّقة كالمتردى فى البئر، حيث لا تكتب له النجاة إلّا بالتمسّك بالحبل الموصول إليه، وهكذا الأُمّة المتفرّقة، لا تنجو من عواقب الفرقة إلّا بالتمسّك بحبل الله سبحانه.

۱- آل عمران: ۱۰۳.

ص: ۴۸

ونحن إذا أمعنا النظر فى هذه الآية: قُل هُوَ القادِرُ عَلى أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُم عَذاباً مِنْ فَوقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْض أنْظُر كَيْفَ نُصَرِّفُ الآياتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُون. (۱) نرى أنّه سبحانه جعل تفرّق الأُمّة إلى شيع، فى عداد العذاب النازل من السماء! فأى بيان أفضل من هذا؟ كما نزّه سبحانه نبيّه الأكرم (ص) من أن يكون فى عداد المفرّقين للدين فقال: إنّ الّذينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْء إنّما أمْرُهُمْ إلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِماكانُوا يَفْعَلُونَ. (۲) ويقول الإمام أميرالمؤمنين صلوات الله عليه: «والزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله مع الجماعة؛ وإيّاكم والفرقة، فإنّ الشاذّ من الناس للشيطان، كما أنّ الشاذّ من الغنم للذئب؛ ألا من دعا إلى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتى هذه». (۳)

وعلى هذا، فالتقريب بين المسلمين و تخليص الأُمّة من الصراع الطائفى، هو أمنية كل مسلم واع ينبض للإسلام ومصالح المسلمين قلبه. ولأجل تحقيق هذه الأُمنية قام فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر، رجال مخلصون من الشيعة والسنّة بتأسيس دار باسم «دار التقريب بين المذاهب الإسلامية»، وإصدار مجلة باسم «رسالة الإسلام» وقد نجحوا فى أهدافهم نجاحاً باهراً يقف عليه كلّ من قرأ شيئاً من منشوراتهم، وما قدّموا

۱- الأنعام: ۶۵.

۲- الأنعام: ۱۵۹.

۳- نهج البلاغة، الخطبة ۱۲۷.

ص: ۴۹

للأُمّة من أفكار وآراء وأعمال صادقة تنمُّ عن إخلاصهم وتفانيهم فى سبيل التقريب.

هذا ممّا لا ـ نقاش فيه، ونحن نصافق أصحاب المبرة فيما يدعون إليه من التقريب و الوحدة الإسلامية و تخليص الأُمّة من الصراع الطائفى.

الثانية: جاء فى الفقرة الثانية: إنّ حب أهل البيت أمر فطرى وعطف عليه حبّ الصحابة وإنّه أيضاً فطرى، ونحن لا نناقشه فى جعل أهل البيت والصحابة فى ميزان واحد، مع أنّه لا يقاس بآل محمد أحد؛ قال على (ع) فى حقّهم: «لا يقاس بآل محمد (ص) من هذه الأُمّة أحد، ولايسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين وعماد اليقين. إليهم يفىء الغالى، وبهم يلحق التالى، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة». (۱) كيف يقاس بهم غيرهم مع أنّه سبحانه فرض مودّتهم على المسلمين عامة، من غير فرق بين الصحابة وغيرهم؟! وقال تعالى: قُلْ لا أسْألُكُمْ عَلَيْهِ أجْراً إلّا الموَدَّةَ فِى الْقُربَى. (۲) كيف يقاس بهم غيرهم وقد أشركهم النبى (ص) فى المباهلة دون غيرهم؟! فقال سبحانه: فَقُل تَعالَوا نَدْعُ أبْناءَنا وَأبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأنْفُسَنا وَأنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِل فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلى الكاذِبِين. (۳)

۱- نهج البلاغة، الخطبة ۲.

۲- الشورى: ۲۳.

۳- آل عمران: ۶۱.

ص: ۵۰

وقد اتّفق أهل السير والحديث والتفسير على أنّه لم يحضر فی أرض المباهلهٔ غير النبی وسبطيه وبنته وصهره وأشركهم فی المباهلهٔ، وأمرهم بالتأمين بعد دعائه، وترك أزواجه وأقرباءه وعامّهٔ الصحابهٔ.

وكم وكم لآل البيت (هم) من فضائل، ومناقب متواترهٔ أو متضافرهٔ أصفق على نقلها أئمهٔ الحديث، وليس لغيرهم ما لهم، وهذا يبعثنا على أن نعطی لكلّ فئهٔ حقّها، ونقيم لهم وزناً خاصاً ولا نبخس الناس أشياءهم.

نحن نمرّ على هذه التسويهٔ مرار الكرام، ولكن نناقشه فی أمرين آخرين:

۱. إنّ الكاتب يدّعی أنّ حبّ آل البيت (هم) أمر فطری، فلازم ذلك أن يُرى أثر الحبّ على مائدهٔ المدّعين: فی كتبهم وخطبهم و آرائهم، والدفاع عن محبّيهم إلی غير ذلك من مظاهر الحبّ، ومن أظهر مظاهر الحبّ هو الطاعهٔ حيث قالوا: «إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع» وقد شاع وذاع: الحبّ هو الاتّباع.

ومع ذلك لا نجد فی حياهٔ المدّعين أی أثر من آثار الحبّ سوی هذه الكلمهٔ وما أشبهها، وقد ملأوا كتبهم بآثار غيرهم، واستشهدوا برواياتهم وآرائهم وفتاواهم، ولم يذكروا عن آل البيت (هم) فی الفقه والتفسير والأدب والأخلاق والأُصول والفروع إلّا شيئاً يسيراً جدّاً!!

هذا هو أبو هريرهٔ قد عاش مع النبی (ص) وصحبه أقل من أربع سنين وقد رووا عنه أزيد من خمسهٔ آلاف حديث، فی حين عاش علی (ع) مع النبی (ص) منذ بعثته إلی رحيله (ص) ولكنّهم لم يرووا عنه إلّا عُشر ما

ص: ۵۱

رووا عن أبی هریرة!! فهل هذا ینسجم والتسویة بین الآل والأصحاب فی الحبّ والاتّباع؟!

۲. أنّ لازم حبّ آل البیت (هم) حبّ مَن یحبهم ویطیعهم، ویأخذ منهم حلالهم وحرامهم، وفی الوقت نفسه یأخذ عن غیرهم إذا صحّ الطریق، وهؤلاء هم المعروفون بالشیعة فی أقطار العالم، ومنهجهم ودیدنهم هو العمل بقول الرسول (ص):

«إنّی تارک فیکم الثقلین: کتاب الله وعترتی وانّهما لا یفترقان حتی یردا علیَّ الحوض». (۱)

وفی هذا المجال نقول: إنّ الأبطال المجاهدین فی جنوب لبنان هم من الشیعة الإمامیة، وقد وقفوا أمام أطماع الصهاینة فی الأراضی الإسلامیة حتی ردّوا السهام إلی نحورهم، فأعمالهم البطولیة وتضحیاتهم أمر مشکور یقدّره کل من له غیرة علی إسلامه ودینه، ولکن ممّا یثیر الدهشة، أنّه فی الوقت الذی یقاتل فیه هؤلاء المجاهدون الأبطال فی لبنان، القوات الصهیونیة المعتدیة، دفاعاً عن حیاض الوطن وعن کرامة الأُمّة العربیة والإسلامیة، ویسطّرون أروع الملاحم فی الثبات والتضحیة والفداء، کانت الأصوات المبحوحة ل- «علماء» ودعاة وخطباء تلک الفئة المتطرّفة، تدعو الناس إلی عدم تقدیم أی شکل من أشکال المساعدة لهم، بل راحوا یفتون (مأجورین من حکّامهم) بتحریم رفع یدی الضراعة إلی الله عزّوجلّ، والدعاء لأبطال الجهاد والمقاومة بالنصر وتثبیت الأقدام!!

۱- حدیث متواتر رواه أصحاب الصحاح والمسانید بأسانید کثیرة.

ص: ۵۲

فلو أنّ امرءاً حرّاً (مسلماً كان أو غير مسلم) مات أسفاً من هذه المواقف المخزية، ما كان به ملوماً، بل كان جديراً به عند ذوى الضمائر الحيّة.

فأيّة قلوب مختومة تضمّ صدور هؤلاء، حيث لا يفقهون مصالح المسلمين، بل مصلحة أنفسهم؟! وأية غشاوة على أعينهم، إذ لا يبصرون من يدافع بحقٍّ عن كيان الأُمّة ومقدّراتها ومقدّساتها؟!! وأىّ وقر فى آذانهم، يصمّهم عن سماع صراخ اليتامى والثكالى، وأنين الجرحى والمعذّبين والمشرّدين من أبناء دينهم وأمّتهم؟!! وأية أنفس شحيحة ينطوون عليها، حين تدفعهم إلى البخل عليهم بالدعاء، بل يأمرون الناس فيه بالبخل؟!!

كيف يتلُون الكتاب المجيد، وتلهج ألسنتهم بآياته، وهم يخذلون، ويحضّون على خذلان من يصدّ عدوان أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا، وينعتونهم بكل سوء لِبئسَ ما قَدَّمَتْ لَهُمْ أنفُسُهُم أنْ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَفِى الْعَذابِ هُمْ خالِدُون. (۱) ومع ذلك يدّعون حبّ آل البيت (هم) وتخليص الأُمّة من الصراع الطائفى!!!

الثالثة: تطرّق الشيخ محمد الخضر فى كلامه إلى الشعار الذى ترفعه الشيعة وخطباء المنابر- أعنى قولهم: «يا لثارات الحسين»- وسأل عن معنى هذا الشعار ومَن الذى يُنتقَم منه؟

أقول: إنّ التساؤل عن معنى شعار «يا لثارات الحسين»، وعن الغاية المقصودة منه، وقد بات قتلَة الحسين فى مزبلة التاريخ، والإيحاء بأنّ المناداة به دعوة للانتقام من أتباع سائر المذاهب الإسلامية، ما هو إلّا تساؤل مريب،

۱- المائدة: ۸۰.

ص: ۵۳

ومحاولة بائسة للطعن على حملة هذا الشعار، وتشويه سمعتهم، وتمزيق وحدة المسلمين.

فالحسين (ع) يمثّل أحد طرفی الصراع المشتعل أواره بين الحق والباطل، والعدل والجور، والاستقامة والانحراف، والصلاح والفساد، والحرية والاستبداد، ومن هنا بقيت قضيته حيّة خالدة، ولم تمت باستشهاده ولن تموت، ولم تنته بموت قاتليه ولن تنتهی، فكلّ سعی، وكلّ تحرّك، وكلّ موقف ينتصر للحق والعدل والاستقامة والحرية والمبادئ السامية، ويخذل الباطل والظلم والانحراف والاستبداد والانتهازية، فهو انتقامٌ لأبی الأحرار الإمام الحسين (ع) وأخذٌ بثأره.

والتاريخ، لم يسجّل فی صفحة واحدة من صفحاته الكثيرة، استغلال الشيعة لهذا الشعار استغلالًا سيئاً، باستباحة دم أیّ مسلم من أیّ مذهب كان، علی الرغم ممّا تعرّضوا له من ظلم واضطهاد وقتل وسجن وتشريد علی أيدی الحكام الجائرين وأشياعهم، وعلی الرغم من امتلاء تاريخهم القديم والحديث بالثورات والانتفاضات والمواقف الجريئة ضد الطغاة المفسدين.

وتزداد الصورة نصاعة أكثر، إذا انضمّ إلی ما تقدّم، وقوفهم إلی صفّ أتباع سائر المذاهب الإسلامية فی الدفاع عن الإسلام، والمصالح العليا للمسلمين، بل لهم فضل السبق علی غيرهم فی مواجهة الأعداء والغزاة المستعمرين، كما حصل مثلًا فی حركة الجهاد ضد الاحتلال البريطانی الغاشم لمدينة البصرة فی عام (۱۳۳۳ ه-)، ودفاعهم عن الخلافة العثمانية علی الرغم

ص: ۵۴

مما مارسه العثمانيون ضـدهم من قمع وظلم وإقصاء وتهميش، وكما حصل أيضاً فى ثورة العشـرين العارمـة (۱۳۳۸ ه–/ ۱۹۲۰ م) ضد القوات البريطانية المحتلة للعراق.

الرابعة: ختم رئيس مركز الدراسات فى المبرة كلامه بقوله:

نفخر أنّ لدينا مشـروعاً عملياً للوحدة الإسلامية منطلقاً من صيام عاشوراء وقال: إنّه لابد من إحياء تلك السنة النبويّة فإنّ المسألة اتفاقية بين أهل السنة وبين الشيعة الاثنى عشرية؛ واستند إلى قول المرجع الدينى السيد الخوئى– رضوان الله عليه–.

أقول: إذا كانت الغاية، تخليص الأُمّة من الصـراع الطائفى وتجسـيد الوحدة الإسـلامية من خلال صـيام عاشوراء، فنعمت الغاية وبئسـت الوسيلة، وذلك للأُمور التالية:

۱. أنّ تسـمية صـيام ذلك اليوم بالسـنّة النبوية يعرب عن الخلط بين السنّة، والنفل، لأنّ المطلوب بلا منع من الترك إن كان ممّا واظب عليه النبى (ص) أو الخلفاء الراشـدون من بعـده فسـنّة، وإلّا فمنـدوب ونفل. (۱) روى البخـارى عن عائشـة: كـان يوم عاشوراء تصومه قريش فى الجاهليـة وكـان رسول الله (ص) يصومه، فلمّا قـدم المدينـة صامه وأمر بصـيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء تركه. (۲)

۱– الموسوعة الفقهية الكويتية، مادة سنة، ۲۶۵: ۲.

۲– صحيح البخارى، كتاب الصوم، رقم الحديث ۲۰۰۲.

ص: ۵۵

وتدل الرواية بوضوح على أنّ الرسول (ص) والصحابة الكرام تركوا صيامه بعد فرض رمضان؛ و مع هذا، كيف يصفه الشيخ بالسنّة، ويريد إحياءها وقد تركه صاحب الشريعة وخلفاؤه؟!

والحديث يدلّ على أنّ صيام عاشوراء كان سنّة جاهلية وقد كان النبى (ص) يصومه قبل قدومه للمدينة.

ويظهر من صحيح البخارى أنّ معاوية بن أبى سفيان بعد ما اغتصب الخلافة، صار بصدد إحياء تلك السنّة الجاهلية، حيث روى عن محمد بن عبد الرحمن أنّه سمع معاوية بن أبى سفيان يوم عاشوراء عام حج، على المنبر يقول: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله (ص) يقول: هذا يوم عاشوراء ولم يكتب عليكم صيامه، وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر. (۱) ما هو المراد بعاشوراء فى الحديث النبوى (ص)؟

روى البخارى عن ابن عباس قال: قدم النبى المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بنىاسرائيل من عدوّهم، فصامه موسى؛ قال: فأنا أحقّ بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه. (۲)

۱- صحيح البخارى، كتاب الصوم، رقم الحديث ۲۰۰۱.

۲- صحيح البخارى، حديث ۲۰۰۴.

ص: ۵۶

والحديث يدلّ على أنّ صيام يوم عاشوراء من سنن اليهود على خلاف ما دلّ عليه الحديث السابق من أنّها سنة جاهلية عربية، ويمكن الجمع بأنّ العرب فى الجاهلية اتخذتها عن اليهود فصارت سنة لهم.

وعلى أى تقدير سواء أكانت سنة جاهلية أم سنة يهودية، فيوم عاشوراء الذى كان اليهود يصومون فيه وصام فيه النبى (ص) بحجّة أنّه أحق بموسى منهم، غير اليوم العاشر من محرّم الحرام الذى يُتصوَّر أنّ صيامه سنّة من سنن النبى (ص).

وذلك لأنّ الحديث يحكى بوضوح أنّ النبى (ص) أوان قدومه للمدينة، وجد اليهود يصومون فيه، ومن المعلوم أنّ هجرة النبى (ص) كانت فى النصف الأوّل من ربيع الأوّل، فاليوم الذى صام فيه النبى (ص)، وأمر بصومه كان فى النصف الأوّل من شهر ربيع الأوّل ولا صلة له بعاشر محرم الحرام، فمن يريد أن يعمل بالحديث فليصم اليوم العاشر الذى يصوم فيه اليهود، لا عاشر محرّم الحرام.

وقد تنبّه بعض الفلكيين من المسلمين لذلك الخطإ الرائج على ألسنة العوام، أعنى الفلكى الطائر الصيت أبو ريحان محمد البيرونى (۳۶۲- ۴۴۰) حيث قال: إنّ عاشوراء هو عبرانى معرّب يعنى: «عاشور» وهو العاشر من «تشرى» اليهود، الذى صومه صوم «الكبور» وأنّه اعتُبر فى شهور العرب، فجُعل فى اليوم العاشر من أوّل شهورهم كما هو فى اليوم العاشر من أول شهور اليهود، ثم نقل الرواية من أنّ النبى (ص) لما قدم المدينة ... وقال: وهذه الرواية غير صحيحة؛ لأن الامتحان يشهد عليها وذلك لأنّ أوّل المحرم كان

ص: ۵۷

سنة الهجرة يوم الجمعة، السادس عشر من شهر تموز سنة ثلاث وثلاثين وتستعمائة للاسكندر، فإذا حسبنا أوّل سنة اليهود في تلك السنة كان يوم الأحد، الثاني عشر من أيلول ويوافقه اليوم التاسع والعشرون من صفر، ويكون صوم العاشور يوم الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأوّل، وقد كانت هجرة النبي (ص) في النصف الأوّل من ربيع الأوّل، إلى أن قال: ... فيكون على ما ذكرنا قدوم النبي المدينة قبل العاشور بيوم واحد وليس يتفق وقوعه في المحرّم إلّا قبل تلك السنة ببضع سنين أو بعدها بتيّف وعشرين سنة، فكيف يجوز أن يقال: إنّ النبي صام عاشوراء لاتفاقه مع العاشور في تلك السنّة؟! (۱) وبعبارة أكثر وضوحاً: إنّ السنة العبرية (اليهودية) تبدأ في الخريف، بدلًا من منتصف فصل الشتاء (كما في التقويم الميلادي)، وهي (أي السنة العبرية) تعتمد على القمر، وتتكون من (۱۲) شهراً، وهي:

تشْري، مرحشوان، كسلو، طبت، شباط، أدار، نيسان، أيار، سيوان، تموز، آب، أيلول.

وتتكون الأشهر من (۳۰) و (۲۹) يوماً بالتبادل. ويضاف في خلال (۱۹) عاماً شهر قوامه (۲۹) يوماً سبع مرات بين شهري (أدار ونيسان)، ويطلق على هذا الشهر اسم (فيادار)، وفي الوقت ذاته يصبح أدار (۳۰) يوماً. (۲)

۱- الآثار الباقية، عن القرون الخالية: ۴۲۱، تحقيق اذكيائي.

۲- أنظر: الموسوعة العربية العالمية ۸۲: ۷- ۸۳، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية.

ص: ۵۸

وعلى ضوء ذلك نقول: إذا صحّ أنّه نُدب إلى صيام يوم عاشوراء، وأنّ ثمّة من يريد صوم ذلك اليوم، فليصم فى يوم (العاشور) من شهر (تشرى) الذى يقع دائماً فى فصل الخريف (حسب التقويم العبرى)، لا ـ أن يصوم فى يوم (عاشوراء) من شهر (محرم الحرام)، الذى يتحرك عبر الفصول، وفقاً للتقويم الهجرى.

وممّا يثير العجب ما نقله ابن حجر عن بعض من حاول تصحيح الحديث وقال: يحتمل أن يكون أولئك اليهود كانوا يحسبون يوم عاشوراء بحسب السنين الشمسية فصادف يوم عاشوراء بحسبهم اليوم الذى قدم فيه المدينة. (۱) ولا أظن أنه يخفى على القارئ وجود التناقض فى كلام القائل، إذ كيف يمكن أن يصادف قدوم النبى (ص) يوم عاشوراء بحسبهم؟ ولذلك قال ابن حجر: إنّ سياق الأحاديث تدفع هذا التأويل.

وفى الختام نلفت نظر الأساتذة الذين يصرّون على الاحتفال بيوم عاشوراء أنّ أوّل من احتفل بهذا اليوم الحجاج بن يوسف الثقفى فى أيام عبدالملك بن مروان، يقول المقريزى: إنّ ملوك بنى أيوب الذين أزالوا الفاطميين عن منصة الخلافة كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسطون فى المطاعم ويصنعون الحلاوات ويتخذون الأوانى الجديدة، ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام التى سنّها لهم الحجاج فى أيام عبدالملك بن مروان؛ ليرغموا بذلك

۱- فتح البارى ۲۰۰: ۴.

ص: ۵۹

آناف شيعة على بن أبى طالب- كرم الله وجهه- الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن على، لأنّه قتل فيه. (۱) وقد لعب الوضّاعون الكذّابون دوراً عظيماً فى الدعوة إلى إظهار الفرح والسرور فى عاشر محرم، واتخاذه عيداً وإظهار الزينة كالخضاب والاكتحال إلى حد، قام غير واحد من المحققين بتكذيب هذه المراسم.

قال ابن حجر: إنّ ما أصيب به الحسين (رض) فى يوم عاشوراء إنّما هو الشهادة الدالة على حظوته و رفعته ودرجته عند الله، وإلحاقه بدرجات أهل بيته الطاهر- إلى أن قال- و امّا بدع الناصبة المتعصبين على أهل البيت من اظهار غاية الفرح والسرور، واتخاذه عيداً وإظهار الزينة فيه، كالخضاب والاكتحال ولبس جديد الثياب، وتوسيع النفقات، وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات، واعتقادهم أنّ ذلك من السنة والمعتاد، والسنة ترك ذلك كله، فانّه لم يرد فى ذلك شىء يعتمد عليه ولا أثر صحيح يرجع إليه، وقد سئل بعض أئمة الحديث عن هذه الأمور، فقال: لم يرد فيه حديث صحيح عنه (ص) ولا أحد من أصحابه، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين لا من الأربعة ولا من غيرهم، ولم يرد فى الكتب المعتمدة فى ذلك صحيح أو ضعيف .... (۲)

۱- الخطط المقريزية ۴۹۰: ۱ المواعظ الاعتبار بذكر الخطط والآثار.

۲- الصواعق المحرقة: ۱۸۳، بتلخيص ولكلامه ذيل يليق بالمطالعة.

ص: ۶۰

۲. أنّ القول بأنّ صيام يوم عاشوراء أمر اتّفق على جوازه، السنّة والشيعة، أمر لا يوافق الواقع، فإنّ لفقهاء الإمامية فيه آراء سبعة إليك إجمالها:

أ. حرمة صومه إذا كان بنية التبرّك بمصرع الحسين وآل بيت النبى (هم) سواء أثبت صيام عاشوراء عن النبى (ص) أم لم يثبت؟

ب. استحباب الإمساك فى هذا اليوم عن الأكل والشرب وبقية المفطرات إلى ما بعد صلاة العصر تأسيّاً بعطش الحسين (ع) وأهل بيته وأصحابه.

ج. استحباب صومه كاملًا لكن على وجه الحزن فقط، ومعنى ذلك استحبابه بهذا القيد.

د. كراهة صومه من دون نيّة الحزن، ولعلّه المشهور.

ه‍- .. استحباب صومه من حيث هو.

و. حرمة صومه مطلقاً بأى نيّة كانت، حزناً أم تبركاً.

ز. الاحتياط- وجوباً- باجتناب صومه مطلقاً بأى نيّة كانت. (۱) ومع ذلك فكيف يصف المتحدث صيام عاشوراء أمراً أصفق عليه الفريقان؟!

۱- لاحظ رياض المسائل ۴۶۷: ۵؛ جواهر الكلام ۱۰۵: ۱۷؛ الصوم فى الشريعة الإسلامية الغراء للكاتب ۳۰۶: ۲- ۳۱۰؛ الرسول المصطفى ص والشعائر الحسينية: ۴۷۵- ۴۷۸ وقد أفاض القول فى حكم الصيام مما لا مزيد عليه.

ص: ۶۱

نعم، قال السيد الخوئى بكونه مندوباً- لكن مندوباً- بالذات، و حراماً بالعرض، وقد اختزل المتحدّث كلامه فاكتفى بصدره وترك ذيله، وإليك ما قاله فى ذيل كلامه:

نعم لا إشكال فى حرمة صوم هذا اليوم بعنوان التيمّن والتبرّك والفرح والسرور كما يفعله أجلاف آل زياد والطغاة من بنى أميّة، من غير حاجة إلى ورود نص أبداً، بل هو من أعظم المحرمات، فإنّه ينبئ عن خبث فاعله، وخلل فى مذهبه ودينه، وهو الّذى اشير إليه فى بعض النصوص المتقدّمة من أنّ أجره مع ابن مرجانة الّذى ليس هو إلّا النار، ويكون من الأشياع والأتباع الذين هم مورد اللعن فى زيارة عاشوراء، وهذا واضح لا سترة عليه، بل هو خارج عن محلّ الكلام كما لا يخفى. (۱) ۳. سلّمنا، كون صيامه سنّة يليق أن تُحيا، فلماذا تُحيا بالابتهاج والسرور، أيجوز فى منطق العقل، والعاطفة، الابتهاج بيوم سُفِك فيه دم إمامهم سبط رسول الله وريحانته، ودماء الأبرار الأتقياء من أهل بيته وأصحابه؟!

أوَ ليس هذا دليلًا على أنّ وراء الكواليس شيئاً، وأنّ النيات ليست بصادقة ولا خالصة، وأنّ المبرة مصيدة للشيعة أو صدٌّ عن انتشار التشيع الّذى بدأ ينتشر منذ أعوام لقوة منطقه، ووضوح مسالكه؟!

إنّه يجدر بمن تهمّه وحدة خطا المسلمين، ويدعو إلى جمع كلمتهم وإصلاح واقعهم المأساوى، يجدر به أن يعمل على تجنّب إثارة مسائل الخلاف، والتأكيد على المشتركات- وما أكثرها- لتعزيز روح الثقة، التى هى

۱- مستند العروة، كتاب الصوم ۳۰۵: ۲.

ص: ۶۲

مفتاح التآخی والتعاون والتآلف بینهم، وأن تکون نیاته صادقهٔ فی هذا الاتجاه، لا أن یرفع یافطهٔ الوحدهٔ، لیختفی وراءها، ویُخفی معه- کما یظن- أغراضه السقیمهٔ، فیصبح مصداقاً للمثل السائر: سَبَّحَ لیسرق.

فدعوا هذا الحرص المصطنع علی الوحدهٔ والتقارب بین المذاهب الإسلامیهٔ، فإنّ إصرارکم علی استفزاز الآخرین فی عقائدهم ومشاعرهم، یکشف عن نیاتکم الحقیقیهٔ، ویفضح دموع التماسیح التی تذرفونها أسیً کاذباً علی مصالح المسلمین، الذین لم یَعُد ینطلی علیهم هذا التمویه والخداع.

الخامسهٔ: نفترض أنّ صیام یوم عاشوراء سنّهٔ نبویهٔ، ولکن من أصول بعض أهل السنّهٔ وعلی رأسهم ابن تیمیهٔ، ترجیح ترک السنّهٔ إذا کان شعاراً للمخالف وله نظائر:

۱. تسطیح القبر

قال الشیخ محمد بن عبد الرحمن الدمشقی: السنّهٔ فی القبر التسطیح، وهو أولی علی الراجح من مذهب الشافعی. (۱) وقال الرافعی: إنّ النبی (ص) سطّح قبره ابنه، وعن القاسم بن محمد قال: رأیت قبر النبی (ص) وأبی بکر وعمر مسطّح.

۱- اختلاف الأئمهٔ ۸۸: ۱، فی هامش المیزان، للشعرانی.

ص: ۶۳

وقال ابن أبی هریرة: إنّ الأفضل الآن العدول من التسطیح إلی التسنیم، لأنّ التسطیح صار شعاراً للروافض، فالأولی مخالفتهم وصیانة المیت وأهله عن الاتهام بالبدعة. (۱) ۲. الجهر بالبسملة

روی البیهقی عن أبی هریرة قال: کان رسول الله (ص) یجهر بالصلاة ب- «بسم الله الرحمن الرحیم»، وکان علی (ع) یجهر بالتسمیة، وقد ثبت بالتواتر وکان علی بن أبی طالب (ع) یقول: «یا من ذکره شرف للذاکرین»، ومثل هذا کیف یلیق بالعاقل أن یسعی فی إخفائه. (۲) ولکن حکی الرافعی عن ابن أبی هریرة أنّ الجهر بالتسمیة إن صار فی موضع شعار للروافض، فالمستحب هو الإسرار بها مخالفة لهم. (۳) ۳. ترک المستحبات إذا صارت شعاراً للشیعة

قال ابن تیمیة عند بیان التشبّه بالروافض: ومن هنا ذهب من الفقهاء إلی ترک بعض المستحبات إذا صارت شعاراً لهم، فإنّه وإن لم یکن الترک واجباً لذلک، لکن فی إظهار ذلک مشابهة لهم ولا یتمیز السنّی من

۱- العزیز فی شرح الوجیز ۴۵۳: ۲.

۲- مفاتیح الغیب ۲۰۵: ۱.

۳- العزیز فی شرح الوجیز ۴۵۳: ۲.

ص: ۶۴

الرافضی، ومصلحة التمییز عنهم لأجل هجرانهم، ومخالفتهم، أعظم من مصلحة هذا المستحب. (۱) حکی البرسوی عن کتاب «عقد الدرر واللآلی وفضل الشهور واللیالی» للشیخ شهاب الدین الشهیر بالرسّام ما یلی، یقول: ولا ینبغی للمؤمن أن یتشبّه بیزید الملعون فی بعض الأفعال، وبالشیعة والروافض والخوارج أیضاً، یعنی لا ـ یجعل ذلک الیوم یوم عید أو یوم مأتم، فمن اکتحل یوم عاشوراء فقد تشبه بیزید الملعون وقومه وإن کان للاکتحال فی ذلک الیوم أصل صحیح، فإنّ ترک السنّة، سنّة إذا کانت شعاراً لأهل البدع کالتختم بالیمین فإنّه فی الأصل سنّة، لکن لمّا کان شعار أهل البدعة والظلمة، صارت السنّة أن یجعل الخاتم فی خنصر الید الیسری. (۲) إلی غیر ذلک من الموارد التی ترکوا فیها السنّة لأجل کونها شعاراً للمخالف.

فإذا کان هذا هو الأصل المتّبع عند السلف فیلیق بالخلف أن یتبع فی کلّ سنّة صارت شعاراً للمخالف، ومن المعلوم- إلی حدّ علمه الأکمه والأصم- أنّ صیام عاشوراء صار شعاراً للأمویین بعد مقتل الحسین (ع) وشهادته، ویقول باقر العلوم (ع):... أللهم إنّ هذا یوم تبرّکت به بنو أمیة وابن آکلة الأکباد بقتلهم الحسین (ع)... (۳)

۱- منهاج السنّة ۱۴۳: ۲.

۲- روح البیان ۱۴۲: ۴.

۳- مصباح المتهجد: ۷۷۵؛ بحار الأنوار ۲۹۵: ۹۸.

ص: ۶۵

فعلى مَن ينبض قلبه بوحدة الكلمة وتوحيد الأُمّة أن لا يصوم يوم عاشوراء، لئلّا يتشبّه بالأمويين وأذنابهم ومن سار على نهجهم.

هـذه رسـالتى المفتوحـة لرئيس مركز البحوث والـدراسات فى مبرّة الآل والأصـحاب عسـى أن ينظر إليهـا بعين الإنصاف والتجرد عن الرأى المسبق الذى نشأ عليه فى بيئته.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

ص: ۶۶

مقتطفات من کتاب: الأماکن المأثورة المتواترة فی مکة المکرمة «۲»

إعداد و تقدیم: محمدعلی المقدادی

لمؤلفه الأستاذ الدکتور عبدالوهاب إبراهیم أبوسلیمان

المقدمة

إنّ من کان له أدنی إلمام بالمعالم الإسلامیة، یعلم بأنّ قسماً کبیراً منها یرتبط بالآثار الباقیة من رسول الله (ص) وأهل بیته الطیبین (هم) والصالحین؛ و لاشک أنّ الأجیال سواء أکانت المؤمنة أم الأخری التی ترید الاطلاع والدراسة- التی لم تکن حاضرةً فی تلک العصور- لایمکنها التعرّف علی هؤلاء القادة السادة إلّا من خلال الاطلاع علی آثارهم التی تبین تاریخهم النیر، و دورهم الکبیر، وعطاءهم المبارک، وتضحیاتهم الجسام، حقاً «إنّ آثارهم تدلّ علیهم».

ص: ۶۷

فالآثار خير وسيلة وأنجع طريقة للتعرف على سيرتهم وأخلاقهم، و للتعرف على ما حملوه من قيم ومبادئ، راحت تترك بصماتها على سلوكهم وأخلاقهم، وظلت هذه الآثار تحكى بصدقٍ عظمة جهودهم التى بذلوها فى سبيل رسالة السماء، وهداية الناس، و انقاذهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الحياة الإيمانية، غير مكتفين بأنفسهم وأهليهم ومن حولهم فى عصرهم، بل حتى للذين يأتون بعدهم بما يتركونه من تراث مقروء، أو مسموع، أو مرئى يمكن الاستفادة منه؛ فى الاقتداء بهم، والسير على نهجهم القيم، المنبثق من كتاب الله تعالى وسنة نبيه (ص).

فلو علم الإنسان المسلم أنّ رسول الله (ص) الذى وصفه القرآن الكريم بقوله: وإِنَّکَ لَعَلىَ خُلُقٍ عَظِيمٍ قد تجسد خلقه هذا، و هو يعيش حياةً متواضعةً مشحونةً بالتواد والتراحم، بعيدةً عن الفظاظة والغلظة؛ تتلمسها فى دار صغيرة بسيطة اتخذها سكناً، و فى مسجد اتخذه مقراً لعبادته وقيادته للأمة والدولة، وهكذا فى كل مواقعه ومواقفه ومنازله وعلاقاته.. فسيتّخذ هذا الإنسان المسلم طريقاً صحيحاً مماثلًا لما عليه رسول الله (ص) وأهل بيته (هم) و الصالحون رضوان الله تعالى عليهملَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أسْوَةٌ حَسَنَةٌ. .. (۱) و يقتدى بهم بسبب ما رأى من آثارهم، و يعيش حتماً مثل ما رأى و عرف من كيفية منازلهم، و بساطة عيشهم؛ و بسبب هذا التعرّف على آثارهم يصير ذلك الإنسان أنموذجاً حياً فى عصره، و إن كان عصره بعيداً عنهم بقرون، فضلًا عما يترتب على زيارة هذه المواقع من بركات وأجر وثواب...

و ليس هذا من منافع التعرّف على آثارهم القيّمة فحسب، بل ستكون هذه الآثار معلماً واضحاً، و داعياً قوياً، للتعرف على المنهج المبارك

۱- الأحزاب: ۲۱.

ص: ۶۸

نفسه الـذى سـاقته السـماء والتزم به الصالحون، فيا حبـذا لو كانت دار رسول‌الله (ص) وآثاره المبارکـة باقيـة فى عصـرنا، لتكون داعية حقيقية إلى الإسلام العزيز الحنيف!!

ولكن يا للمصـيبة! فقـد ابتلى الإسـلام و الأمة الإسـلامية بفرقة فاسدة حاقدة، بدأوا بتكفير أبناء الأمة الإسـلامية، واتهموهم بالشـرك و الإلحاد! و لم يكتفوا بهـذه الاتهامات الكاذبة، بل بدأوا بهدم كل ما تعلقت به نفوس المؤمنين من الأماكن الإسـلامية، و تخريب الآثار المقدسة التى بقيت من عصر الرسول‌الأكرم (ص).

إنّ الـذى ارتكبه هؤلاء ضـدّ آثـار الرسول (ص) و أهـل بيته (هم)، وتكفير المجتمع المسـلم وقتلهم الأبرياء، لايقل بشاعـة مما يرتكبه الصهاينة، وهو يلبى ما يأمله أعداء الإسلام ويهدفون إليه من إيجاد الخلافات وإثارة النعرات بين الأمة الواحدة...

إنّ الأسـتاذ الـدكتور عبـدالوهاب إبراهيم، قـد بـذل جهـده فى هـذا الكتاب لإثبات قدسـية الأماكن الشـريفة و المعالم الأثرية فى مكة المكرمـة وأهميتها، تلك الآثار التى كانت عامرة منذ قرون و سـنين، قبل أن يقوم الوهابيون الجاهلون بهدمها وتخريبها، فحرموا الناس من منافعها وبركاتها .. إنهم لا يسمعون شيئاً و لايعقلون سوى ما يلبى أهدافهم و اعتقادهم الضال!

إنّ ما قام به الـدكتور لجهـد واسع نافع، مع أنه كان يعيش فى ظروف صـعبة و خطيرة؛ و ليس فى هذه المجلة ما يسع كل ما تفضل به الـدكتور من مبـاحث كتـابه القيم، فاقتطفنا من ثمار هـذه الروضـة الجليلـة بحوثاً يسـتفيد منها القراء الكرام؛ وهـذا هو القسم الثانى من الكتاب.

نسأل الله سبحانه و تعالى أن يوفقنا لما يحبّ و يرضى، إنه سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

ص: ۶۹

مقدّمة المؤلف

إنّ الأماكن التاريخية ذاكرة الأمم الحيّة، والشاهد القائم الذى لايكذب، والدليل الناطق الباقى إذا اندثرت الأجيال.

مكة المكرمة مهد الإسلام، ومبعث النور، ومنطلق خاتمة الرسالات، شرفت بولادة المصطفى (ص)، واحتضنت كبار صحابته الكرام على أرضها المباركة، شهدت عرصاتها و مرابعها ملحمة الصراع بين الحق والباطل، و زكت تربتها بالدماء الزكية، دماء الشهداء.

فى كلّ شعب منها وزاوية وبقعة أثر خالد، ومنار مضيء يحكى قصصاً من جهادهم، و أمثلة من كفاحهم، تظل وقائعه حية فى نفوس الأجيال المسلمة سماعاً، ومشاهدة، تكتحل بها نواظرهم، و تتردد على أسماعهم مآثرهم، ترسخ بها معانى الإيمان، تتقوى بها عزائمهم، وتتجدد بها هممهم؛ لنشر العقيدة السليمة، والمبادئ، والقيم الصحيحة، يستنطقون من خلال السيرة والمسيرة والآثار القائمة أمجاد التاريخ الإسلامى فى مراحله المبكرة؛ ليبعث حياً فى النفوس.

مكة المكرمة قد ضمت العديد الكثير من تلك الأماكن التاريخية المهمة فى تاريخ الإسلام، حظيت بعناية المسلمين واهتمامهم منذ العصور الإسلامية المبكرة تأليفاً وتدويناً، توقيعاً، ورواية متواترة، علمياً ومحلياً، فهى سجلّ حافل، فى صفحات موثقة، يتوارث معرفتها الخلف عن السلف فى تسلسل تاريخى منتظم، منذ ظهور الرسالة المحمدية، حتى الوقت الحاضر، حرص السلف الصالح: محدثون، وفقهاء، ومؤرخون، و أدباء منذ

ص: ۷۰

القرن الأول الهجرى على ترسيم تلك الأماكن، وتوقيعها، وتحديدها تخليداً للحدث، مرتبطاً بمشاهدة المكان، فللمكان إيحاءاته وإشعاعاته، بقيت تراثاً خالداً باقياً عبر الأجيال المتعاقبة فى أمانة وصدق، دون أن تمس بسوء.

إنّ هذا البحث يواصل تلك المسيرة التى ابتدأها سلفنا الصالح فى صياغة تحليلية جديدة، فهو امتداد لتلك الجهود، خصوصاً وأنّ الكثير منها قد اختفى عن الأنظار؛ لغرض توسعة المسجد الحرام، وإعادة تخطيط المدينة المقدسة، مكة المكرمة بحسب ما جد فيها من طرق، وتزايد عدد السكان، وأعداد الحجاج الذين بلغ إحصاؤهم إلى ما يزيد على المليونين، والمستقبل ينبئ بزيادات مضاعفة فى السكان، والحجاج والمعتمرين.

أدى هذا و غيره إلى غياب بعض تلك الأماكن من الوجود، وحتى تظل تلك الشواهد التاريخية التى عاصرت أفضل الخلق، وأعظم أجيال الإسلام محفورة فى الذاكرة- وحتى لا يصبح تاريخنا و ماضينا أسطورة مثل ما حدث لبعض الأمم السابقة- يأتى هذا البحث لرصدها، وما طرأ عليها، استمراراً للتسلسل التاريخى لجزء من أهم خصائص المدرسة التاريخية المكية.

ظهرت العناية بهذه الأماكن المأثورة فى مكة المكرمة عبر القرون الماضية توثيقاً فى مدونات متعددة كثيرة، ومن لدن جهات علمية متنوعة.

فى مدونات السيرة النبوية والمدونات التاريخية، والدراسات الفقهية، يسند هذا التدوين العلمى تواتر محلى تتوارثه الأجيال اللاحقة عن الأجيال السابقة، حرصاً ألا يطويها النسيان، فللمكان إيحاءاته و إشعاعاته الإيمانية، واستذكار الذين أدّوا دوراً مهماً فى نشر الإسلام.

ص: ۷۱

بهذا المفهوم التربوى الراقى، البعيد عن الغلوّ والمجافاة، استحوذ هذا الموضوع على اهتمام علماء الإسلام: محدثين، وفقهاء، ومؤرخين من عصر التابعين حتى العصر الحاضر، فقاموا برصد تلك الأماكن التاريخية تحديداً، وتعييناً، و تاريخاً لما حدث عليها من إحداثات، يدعمهم النقل المتواتر بين الأجيال، بالسماع والمشاهدة، جيلًا بعد جيل، فى حرص وأمانة علمية شديدة، تجلى هذا الاهتمام فى الآتى:

أولًا: مدوّنات السيرة النبوية.

ثانياً: سير الصحابة رضوان الله عليهم.

ثالثاً: المصادر التاريخية العامة، والأخرى المتخصصة فى التاريخ المكى.

رابعاً: كتب المناسك ومدوناتها المطولة والمختصرة، فقد أصبح ذكر هذه الأماكن موضوعاً ثابتاً، وباباً مهماً مستقلًا فى معظم كتب المناسك تحت عناوين مختلفة، قلّ أن يخلو منها كتاب من تلك الكتب، بل إنّ بعض العلماء أفردها بكتابات مستقلة، ورسائل مفردة زيادة فى العناية والاهتمام.

يقتصر العرض لمختارات من المدونات السابقة تفصيلًا إن شاء الله تعالى، توثيقاً صريحاً للتواتر العلمى.

واجب الأمانة العلمية والتاريخية يقضى ذكر العناوين التى يضعها المؤلفون فى تقديمها وعرضها، فإنّ لكل عنوان مدلوله عند المؤلف، وسيكون من مهمة البحث تحليل تلك العناوين تحليلًا علمياً متجرداً.

ص: ۷۲

الواجب العلمى يقضى إنصاف كل ذى رأى فى هذا الموضوع بأدلته، وبالفهم الذى يفهمه، دون تحيز، أو افتئات، فمن ثم اقتضت الدراسة تقسيم البحث إلى الفصول الآتية ...

أودّ أن أنبه القارئ الكريم إلى أمرين ينبغى أن يكونا فى الحسبان:

أولًا: مهمة البحث أصالة هو العرض المتجرد بما يمليه المنهج العلمى، خصوصاً فيما يتصل بالآراء الفقهية، فليس المجال مجال سجال، أو جدال، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلّا صاحب الرسالة سيدنا محمد (ص)، وللقارئ أن يرجح ما يشاء، دون غمط، أو تقليل، أو نبذ للآخرين، فهذا ليس من خلق الإسلام.

ثانياً: جاء الاقتباس من مصادر متعددة متنوعة لقرون مختلفة، فبرغم تكرار أسماء المواضع، لكن يختلف المؤلفون فى أسلوب العرض، وذكر معلومات إضافية عن الموضع بما حدث له من عمار، أو خراب له فى عصره، كذلك ليتم الاقتناع بالتواتر العلمى فى كل مجموعة من تلك الكتب المنتسبة إلى فنونها على انفرادها، وفق عصور مختلفة، وبجميعها مجتمعة، بالإضافة إلى التواتر المحلى فى تعيين هذه الأمكنة، وتحديدها، وتوارث مواقعها جيلًا بعد جيل، يتجلى هذا من وصف بعض الأمكنة فى ثنايا كتابات بعض المؤلفين، مثل الحديث عن مكان مولد النبى (ص): «وهو من أصح الآثار عند أهل مكة، يحقق ذلك مشايخهم»، وبهذا يتحقق المعنى الاصطلاحى بين علماء الإسلام لمدلول (التواتر) وهو:

ص: ۷۳

«الخبر الثابت على ألسنة قوم لايتصور تواطؤهم على الكذب». (۱) تم العرض على هذا الأسلوب من أجل قطع الشك باليقين، وحتى لايسقط القارئ المتأمل فى دائرة الإنكار التى لاتستند إلى دليل، والذى يروج له البعض من دون علم ومعرفة بالمواقع والأنحاء فى مكة المكرمة، ولأمر ما يشككون فيما جرى عليه التواتر العلمى والمحلى فيما لاشك فيه منذ القرون الإسلامية الأولى، دون علم أو سند؛ سامحهم الله.

على أنه ينبغى أن يكون القارئ الكريم على وعى تام للفرق بين أمرين مختلفين حكماً:

أولًا: المحافظة على هذه الأماكن من يد العابثين، فهى أمانة الماضى، وأمانة تاريخية ينبغى أن تبقى دروساً حية، ناطقة للأجيال القادمة، ينظرون إلى تاريخ الرسالة المحمدية من خلالها.

ثانياً: الممارسات المخالفة للعقيدة الصحيحة يأباها العقل، وترفضها العقيدة الإسلامية الصحيحة، وهذا ما ستتم مناقشته والحديث عنه بشكل تفصيلى. والله الهادى إلى سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد الوهاب إبراهيم أبوسليمان- مكة المكرمة

۱- الجرجانى، على بن محمد الشريف، كتاب التعريفات، الطبعة الأولى: ۷۴، بيروت: لبنان، عام ۱۹۶۹ م، التواتر.

ص: ۷۴

... ثانياً: المنظوم:

المنظومات الشعرية للأماكن المتواترة المأثورة:

تنوع اهتمام العلماء من فقهاء و مؤرخين وغيرهم بالأماكن المأثورة المتواترة بمكـة المكرمـة، فرصدوها نظماً فى مدوناتهم الفقهية، أو خصوها بمؤلفات مستقلة.

من هؤلاء الذين ضمنوها فى مؤلفاتهم الفقهية:

١. العلامـة الإمـام أبو جعفر أحمـد بن محمـد المرادى المعروف بالنحـاس، أو ابن النحاس (٢٦٠- ٣٣٨ ه-/ ٨٧٣- ٩٤٩ م) فى كتـابه (المناسك).

٢. العلامة الشيخ عبدالملك بن جمال الدين العصامى (٩٧٨- ١٠٣٧ ه-/ ١٥٧٠- ١٦٢٧ م):

نظم الأماكن المأثورة فى مكة المكرمة على وفق ما قال الحسن "البصرى، "لكن قيد كل موضع بزمن تبعاً للنقاش المفسر، فقال:

«قد ذكر النقاش فى المناسك وهو لعمرى عمدة المناسك»

«أنّ الدعاء بخمسة و عشره فى مك-- ة يقبل ممن ذكره»

ثم عرضها جميعاً فى خمسة عشر موضعاً، (۱) ثم شرحها العلامة الشيخ إدريس الشماع الشافعى بعنوان (الإنابة فى أماكن الإجابة).

۱- النووى، أبو زكريا يحيى، الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، الطبعة الأولى، القاهرة: جمعية النشر والتأليف الأزهرية، عام ۱۳۴۹ ه-/ ۱۹۳۱ م، ۴: ۳۸۵.

ص: ۷۵

۳. العلامة الشيخ محمد بن علان الصديقى الشافعى المكى (ت ۱۰۷۵ ه-/ ۱۶۶۴ م)، قال:

«وقد كنت نظمتها، وزدت عليها مواضع أخرى، فقلت:

ألحمد لله و صلى الله على نبيه الذى اجتباه و للقصر

محمد و الآل و الصحابة و هذه مواضع الإجابة

وذلك الحجر الطواف والصفا والمروة المسعى لدى من عرفا

ملتزم والمستجار ومنى وعرفات ثم جمع فاتقنا

كذا لدى الثلاث من جمرات وزمزم أتى عن الثقات

خلف المقام وبوسط الكعبة وغير ذا مواضع بمكة

مثل حرا ومسجد التنعيم والمختبى ومولد الكريم

ومهبط الوحى وعند المتكا وغار ثور فادع تعطى سؤلكا

وغيرها مواضع مأثورة وهى لدى أربابها مشهورة».

(۱)

۱- النووى، الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، ۳۸۵: ۴.

ص: ۷۶

الفصل الثالث

الأماکن المأثورة المتواترة فی مکة المکرمة فی المدونات الفقهیة

المبحث الأول:

المتواتر من الأماکن المأثورة فی مکة المکرمة فی کتب (المناسک):

اهتمت کتب المناسک عموماً، ومؤلفات الفقهاء المکیین خصوصاً بذکر الأماکن المأثورة فی مکة المکرمة مما له علاقة بالرسول (ص) مباشرةً، أو بحدث من الأحداث الإسلامیة المهمة، أو ذی علاقة بأحد من أصحاب رسول‌الله (ص) مما نقل بالتواتر من الصدر الأول للإسلام، واستمر نقله ومعرفته حتی العصر الحاضر.

وضع الفقهاء لهذه الأماکن التاریخیة المأثورة فی مکة المکرمة آلیة علمیة لفحصها وإثبات صحتها، وذلک بتحدید مواضعها، ومقاساتها بأدوات القیاس لدیهم ذرعاً، وضعوا لها عناوین مختلفة مناسبة یبدو واضحاً علیها الصنعة الفقهیة بذکر الأحکام الشرعیة المناسبة لها، والآداب التی ینبغی للزائر أن یلتزمها عند حضوره عندها.

من الصعب استقصاء هذه الکتب، ولکن یتم اختیار مجموعة من الکتب لمؤلفین، لهم شهرتهم فی الوسط العلمی، ینتج من سرد بعضها الاقتناع بالتواتر العلمی الفقهی، من هذه المدونات:

ص: ۷۷

أولًا- كتاب (مثير الغرام الساكن على أشرف الأماكن) تأليف: الإمام أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى (ت ۵۹۷ ه-/ ۱۲۰۰ م): (۱)

ورد ذكرها لديه تحت عنوان:

(باب ذكر أماكن بمكة يستحب فيها الصلاة والدعاء)، وهى ثمانية عشر موضعاً:

المكان الأول- البيت الذى ولد فيه رسول الله (ص) و كان عقيل بن أبى طالب قد أخذه حين هاجر رسول الله (ص)، فلم يزل بيده وولده حتى باعوه من محمد بن يوسف أخى الحجاج، فأدخله فى داره التى يقال لها (البيضاء)، وتعرف اليوم بدار ابن يوسف، فلم يزل ذلك البيت فى الدار حتى حجت الخيزران جارية المهدى، فجعلته مسجداً يصلى فيه، وأخرجته من الدار إلى الزقاق الذى يقال له: زقاق المولد.

المكان الثانى- منزل خديجة (ها)، وهو البيت الذى كان يسكنه رسول‌الله (ص)، وفيه توفيت خديجة (ها)، ولم‌يزل النبى (ص) مقيماً به حتى هاجر، فأخذه عقيل، ثم اشتراه منه معاوية وهو خليفة، فجعله مسجداً يصلى فيه، وبناه، وفتح فيه معاوية باباً من دار أبى‌سفيان، وهى الدار التى قال فيها رسول الله (ص) يوم الفتح: «من دخل دار أبى‌سفيان فهو آمن».

المكان الثالث- مسجد دار الأرقم بن أبى الأرقم، وهى التى يقال لها دار الخيزران، كان النبى (ص) فيه مستتراً فى بداية الإسلام.

۱- الطبعة الأولى، قدم له وحققه وفهرسه مصطفى محمد حسين الذهبى، القاهرة: دار الحديث، ۱۴۱۵ ه-/ ۱۹۹۵ م.

ص: ۷۸

المكان الرابع- مسجد بأعلى مكة عند الردم، عند بئر جبير بن مطعم يقال: إنّ النبى (ص) صلى فيه.

المكان الخامس- مسجد بأعلى مكة يقال له مسجد الجن، وهو، فيما يقال: موضع الخط الذى خطه لابن مسعود ليلتئذ، ويقال له مسجد البيعة، فيقال: إنّ الجن بايعوا رسول الله (ص) هنالك.

المكان السادس- مسجد بأعلى مكة أيضاً، يقال له مسجد الشجرة، يقابل مسجد الجن، يقال: إنّ النبى (ص) دعا شجرة كانت فى موضع المسجد فأقبلت تخط الأرض، حتى وقفت بين يديه، ثم أمرها فرجعت.

المكان السابع- مسجد تسميه أهل مكة مسجد عبدالصمد بن على، لأنه بناه.

المكان الثامن- مسجد عن يمين الموقف، يقال له مسجد إبراهيم وهو غير مسجد عرفة الذى يصلى فيه الإمام.

المكان التاسع- مسجد بمنى يقال له: مسجد الكبش؛ لأنّ الكبش الذى فدى به إبراهيم ولده نزل هنالك.

المكان العاشر- مسجد بأجياد، وفيه موضع يقال له: المتكا، يقال: إنّ النبى (ص) اتكا هنالك.

المكان الحادىعشر- مسجد على جبل أبى قبيس، يقال له مسجد إبراهيم، وبعضهم يقول: هو مسجد لرجل يقال له إبراهيم، وليس بالخليل.

المكان الثانىعشر- مسجد بأعلى مكة عند سوق الغنم، يقال: إنّ النبى (ص) بايع الناس عنده يوم الفتح.

ص: ۷۹

المكان الثالث‌عشر- مسجد العقبة، حيث بايع الأنصار.

المكان الرابع‌عشر- مسجد بذى طوى، وكان النبى (ص) ينزل هنالك حين يعتمر، وحين يحج تحت سمرة فى موضع المسجد وبنته زبيدة بأزج.

المكان الخامس‌عشر- مسجد الجعرانة، حيث أحرم النبى (ص) بعمرة.

المكان السادس‌عشر- مسجد التنعيم، قال رسول الله (ص) لعبدالرحمن ابن أبى‌بكر: «عمّر أختك من التنعيم فإذا أهبطت بها الأكمة، فمرها، فلتحرم».

المكان السابع‌عشر- مسجد فى جبل حراء فإنّ النبى (ص) كان يتعبد فيه.

المكان الثامن‌عشر- مسجد فى جبل ثور، وهو الذى اختفى فيه رسول‌الله (ص)، وأبوبكر». (۱)

۱- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن،: ۳۴۴.

ص: ۸۰

ثانياً- كتاب (البحر العميق فى مناسك العمرة والحج إلى البيت العتيق)، تأليف: محمد بن أحمد بن محمد بن الضياء القرشى (ت ۸۵۴ ه-/ ۱۴۵۰ م). (۱)

ورد ذكر هذه الأماكن تحت عنوان (فصل فى ذكر الأماكن المباركة بمكة المشرفة، وحرمها وقربه التى يستحب زيارتها، والصلاة والدعاء فيها رجاء بركتها)؛ بعد هذا التعريف بهذه الأماكن يقول:

«وهذه الأماكن مساجد ودور، وجبال، ومقابر، والمساجد أكثر من غيرها، إلّا أنّ بعض المساجد اشتهر باسم (المولد)، وبعضها باسم الدار ...».

ثم عرض كل ذلك بالتفصيل إلى أن قال: «و أما المواضع المباركة بمكة المعروفة بالموالد، فاعلم أنّ هذه المواضع مساجد، لكنها مشهورة عند الناس ... بالمواليد، فأفردت عن المساجد بالذكر لهذا المعنى، منها:

الموضع الذى يقال له مولد النبى (ص)، وهو عند أهل مكة مشهورة فى الموضع المعروف بسوق الليل، قال الأزرقى: البيت الذى ولد فيه رسول‌الله (ص) هو فى دار محمد بن يوسف، كان عقيل بن أبى‌طالب أخذه حين هاجر النبى (ص)، وفيه وفى غيره يقول النبى (ص) عام حجة الوداع: «وهل ترك لنا عقيل من ظل؟»، فلم يزل بيده وبيد ولده حتى باعه ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج، فأدخله فى داره التى يقال لها البيضاء، ثم تعرف بدار ابن يوسف، فلم‌يزل ذلك البيت فى الدار حتى حجت الخيزران أمّ

۱- الطبعة الأولى، تحقيق عبدالله نذير أحمد عبدالرحمن مزى، مكة المكرمة: المكتبة المكية ومؤسسة الريان، عام ۱۴۲۷ ه-/ ۲۰۰۶ م.

ص: ۸۱

الخليفتين موسى الهادى، وهارون الرشيد، فجعلته مسجداً يصلى فيه، وأخرجته من الدار، وأشرعته فى الزقاق الذى على أصل تلك الدار، ويقال له: زقاق المولد، قال الأزرقى: سمعت جدى، ويوسف بن محمد يثبتان أمر المولد، وأنه ذلك البيت لا اختلاف فيه عند أهل مكة ...».

ثم تكلم عن الدور المباركة بمكة، قائلًا:

«فاعلم أنّ بمكة دوراً مباركة معروفة عند الناس غالبها مساجد، ولكنها اشتهرت بالدور عند أهل مكة، فلذلك أفردناها بالذكر عن المساجد، منها: دار أم المؤمنين خديجة (ها)، بالزقاق المعروف زقاق الحجر، ويقال له قديماً زقاق العطارين، كما ذكره الأزرقى، ويقال لهذه الدار مولد فاطمة (ها)؛ لأنّ فيها ولدت، قال الأزرقى: كان يسكنها رسول الله (ص)، وفيه ابتنى بخديجة، وولدت فيها أولادها جميعاً، وفيها توفيت، فلميزل النبى (ص) ساكناً حتى خرج إلى المدينة مهاجراً ...». (۱)

ثالثاً- كتاب (لباب المناسك وعباب المسالك): تأليف العلامة الفقيه المحدث الشيخ رحمة الله السندى، ثم المكى (۹۳۰- ۹۹۳ ه-/ ۱۵۲۳- ۱۵۸۵ م). (۲)

ذكر هذه الأماكن تحت عدة عناوين:

۱- البحر العميق فى مناسك المعتمر والحاج إلى بيت الله العتيق، ۲۶۲۳: ۵.

۲- الطبعةالثالثة، تحقيق عبدالرحيم بن محمدأبوبكر بيروت: دارقرطبة، عام ۱۴۲۱ ه-.

ص: ۸۲

(فصل فی أماكن الإجابة)، و (فصل فی المواضع التی صلی فیها رسول‌الله (ص) بالمسجد الحرام)، وأخيراً (فصل: فی زيارة المواضع المشهورة بالفضل)، ثم عرض بعد هذا قوله: «يستحب زيارة بيت خديجة (ها)، وقيل: هو أفضل موضع بمكة بعد المسجد الحرام، ومولد النبی (ص)، ودار أبی‌بكر، ومولد علی، ودار أرقم، وغار جبل ثور، وغار جبل حراء، ومسجد الراية، ومسجد الجن، ومسجد الشجرة مقابله». (۱) هكذا تواترت كتب المناسك فی عرض هذا الموضوع.

رابعاً- كتاب (إرشاد السالك إلی أفعال المناسك) للعلامة الفقيه برهان الدين إبراهيم بن فرحون المدنی المالكی (ت ۷۹۹ ه-/ ۱۳۹۶ م): (۲)

ذكر هذه الأماكن تحت العنوان التالی:

(الباب العشرون: فی ذكر آثار شريفة بمكة ينبغی أن‌تقصد للتبرك بها).

«واعلم أنّ بمكة آثاراً ينبغی للحاج أن‌يقصدها ويدعو الله فيها:

الموضع الأول- البيت الذی ولد فيه رسول الله (ص)، وهو فی زقاق معروف يقال له زقاق المولد.

الموضع الثانی- منزل السيدة خديجة (ها)، وفيه ولدت أولادها منه (ص)، وفيه توفيت خديجة، و لم يزل النبی (ص) مقيماً به إلی أن هاجر، وكان

۱- لباب المناسك وعباب المناسك،: ۲۹۴- ۲۹۷.

۲- الطبعة الأولی، دراسة وتحقيق محمد بن الهادی أبوالأجفان، تونس: بيت الحكمة، عام ۱۹۸۹ م.

ص: ۸۳

معاوية اشتراه فجعله مسجداً يصلى فيه، وفتح معاوية فيه باباً من دار أبى‌سفيان، وهى الدار التى قال فيها رسول الله (ص) يوم الفتح: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

الموضع الثالث- مسجد فى دار الأرقم التى على الصفا، ويقال لها: «دار الخيزران، فكان له (ص) تردد، وإقامة ...». (۱)ثم يستمر المؤلف فى تعداد ماتبقى من هذه الأمكنة ...

خامساً- كتاب (الإيضاح فى مناسك الحج والعمرة)، تأليف الإمام يحيى بن شرف النووى، (۶۳۱- ۶۷۱ ه-/ ۱۲۳۳- ۱۲۷۲ م). (۲)

فقد عقد الباب الخامس فى كتابه بعنوان (فى المقام بمكة وطواف الوداع وفيه مسائل)، منها:

«المسألة الرابعة عشرة: يستحب زيارة المواضع المشهورة بالفضل فى مكة والحرم، وقد قيل: إنها ثمانية عشر موضعاً منها: البيت الذى ولد فيه رسول الله (ص)، وهو اليوم مسجد فى زقاق يقال له زقاق المولد، وذكر الأزرقى أنه لاخلاف فيه.

ومنها: بيت خديجة (ها)، وفيه ولدت أولادها من رسول الله (ص) وفيه توفيت خديجة (ها)، و لم‌يزل رسول الله (ص) مقيماً به حتى هاجر، قال

۱- إرشاد السالک إلى أفعال المناسک، ۵۴۵: ۲.

۲- حاشية العلامة ابن‌حجرالهيتمى على‌شرح الإيضاح فى مناسك الحج المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ت. د..

ص: ۸۴

الأزرقی: ثم اشتراه معاویة وهو خلیفة من عقیل ابن أبی‌طالب فجعله مسجداً. ومنها: مسجد دار الأرقم وهی التی یقال لها دار الخیزران، کان النبی (ص) مستتراً فیه فی أول الإسلام، قال الأزرقی: هو عند الصفا، وفیه أسلم عمر بن الخطاب ...». (۱) سادساً- کتاب (القری لقاصد أمّ القری)، تألیف الحافظ أبی العباس أحمد بن عبدالله بن محمد بن أبی‌بکر محب‌الدین الطبری المکی، (۶۱۵- ۶۹۴ ه-/ ۱۲۱۸- ۱۲۹۴ م). (۲)

یعد هذا الکتاب من أعظم کتب المناسک، وأجلها، وأکبرها، وأمثلها منهجاً وطریقة، یصفه محققه مصطفی السقا بقوله:

«إنه أجمع کتاب فی موضوعه، وحسبه أنه یشتمل علی جمیع ماورد فی الحج من الآیات القرآنیة، والنصوص الحدیثیة من کتب الصحاح الستة: البخاری، ومسلم، والموطأ، وأبی داود، والترمذی، والنسائی، ومن غیرها من کتب المسانید، والسنن، التقط أصح مافیها ... إلی غیرها من کتب المناسک والسنن ...». (۳)

عرض فی هذا الکتاب للأماکن التاریخیة تحت عنوان (ماجاء فی ذکر أماکن بمکة وحوالیها یستحب زیارتها والصلاة والدعاء فیها رجاء

۱- حاشیة العلامة ابن حجر الهیتمی علی شرح الإیضاح فی مناسک الحج،: ۴۴۴.

۲- الطبعة الثانیة، عارضه بمخطوطات مکة المکرمة والقاهرة مصطفی السقا، القاهرة: شرکة مکتبة ومطبعة مصطفی البابی الحلبی وأولاده، عام ۱۳۹۰ ه-/ ۱۹۷۰ م.

۳- المصدر السابق: ۹.

ص: ۸۵

برکتها) یقول فی بدایته: «وهی ثمانیة عشر موضعاً» نأتی هنا علی عناوینها حسب ترتیبه:

الأول- الموضع الذی ولد فیه رسول‌الله (ص).

الثانی- دار خزیمة، کان مسکن رسول‌الله (ص)، وولدت فیه خدیجة أولادها من رسول‌الله (ص)، وفیه توفیت، و لم‌یزل النبی (ص) مقیماً فیه حتی هاجر، فأخذه عقیل، ثم اشتراه معاویة بن أبی سفیان وهو خلیفة، فجعله مسجداً یصلی فیه.

الثالث- مسجد الأرقم بن أبی الأرقم التی عند الصفا.

الرابع- مسجد بأعلی مکة عند أول الردم، وعند بئر جبیر بن مطعم.

الخامس- مسجد بأعلی مکة أیضاً یقال له مسجد الجن.

السادس- مسجد بأعلی مکة یقال له مسجد الشجرة.

السابع- مسجد بأعلی مکة أیضاً عند سوق الغنم.

الثامن- مسجد بأجیاد.

التاسع- مسجد علی جبل أبی قبیس یقال له مسجد إبراهیم.

العاشر- مسجد بذی طوی.

الحادی‌عشر- مسجد العقبة، حیث بایع الرسول (ص) الأنصار.

الثانی‌عشر- مسجد الجعرانة، أحرم الرسول (ص) من هنالک بعمرة.

الثالث‌عشر- مسجد التنعیم، حیث أمر الرسول (ص) عبدالرحمن أن یعمر عائشة منه.

الرابع‌عشر- مسجد الکبش بمنی، فدی إسماعیل، أو إسحاق بکبش هنالک.

ص: ۸۶

الخامس‌عشر- مسجد عن يمين الموقف وهو غير المسجد الذی يصلی فيه الإمام بعرفة.

السادس‌عشر- مسجد الخيف.

السابع‌عشر- مسجد بقرب مسجد الخيف من يمانيه يعرف بمسجد المرسلات، فيه نزل علی النبی (ص) سورة المرسلات.

الثامن‌عشر- غار جبل حراء، كان النبی (ص) يتعبد فيه.

التاسع‌عشر- غار جبل ثور، اختفی فيه النبی (ص) و أبوبكر». (۱) سابعاً- كتاب (هداية السالك إلی المذاهب الأربعة فی المناسك)، تأليف الإمام عزالدين بن جماعة الكنانی (۶۹۴- ۷۶۷ ه-/ ۱۲۹۴- ۱۳۶۵ م). (۲)

خص الباب العاشر بهذا الموضوع بعنوان: (فی دخول مكة المعظمة وفی الطواف والسعی، وما يتعلق بذلك) وقد جاء فيه:

«واستحب- كما قال بعض الشافعية- زيارة المواضع المشهورة بالفضل، كالموضع المعروف بمولد سيدنا رسول الله (ص)، وكالموضع المعروف ببيت خديجة ... وكالمسجد الذی فی دار الخيزران عند الصفا ...». (۳)

۱- القری لقاصد أم القری: ۶۶۴؛ يلاحظ أنّ المؤلف ذكر فی البداية أنّ هذه الأماكن ثمانية عشر موضعاً، فی حين أنّ تعدادها فی العرض وصل إلی تسعة عشر موضعاً.

۲- الطبعة الأولی، تحقيق نورالدين عتر، بيروت: دار البشائر الإسلامية، عام ۱۴۱۴ ه-/ ۱۹۹۴ م.

۳- هداية السالك إلی المذاهب الأربعة فی المناسك ۹۵۵: ۲.

ص: ۸۷

ثامناً- كتاب (فتح الفتاح شرح الإيضاح)، تأليف محمد على بن علان الصديقى الشافعى الأشعرى المكى (ت ۶۷۶ ه-/ ۱۲۷۷ م). (۱)

جاء فى (فتح الفتاح) قوله: «المواضع المشهورة بالفضل، بمعنى الفضيلة فى الذات، ولكثير الثواب فى مكة، والحرم، وخارجها كمسجد المبايعة عند جمرة عقبة منى، وقد قيل إنها ثمانية عشر موضعاً، عبر الطبرى بتسعة عشر بالفوقية، وعد ماذكر المصنف.

منهـا: البيت الـذى ولـد فيه رسول الله (ص)، وهو اليوم مسـجد، وذكر الطبرى أنّ الـذى جعـل المولـد النبوى مسـجداً، الخيزران سـرية المهدى، لماحجت، وأنه كان بيد عقيل وورثته، إلى أن اشتراه أخو الحجاج فأدخله فى داره فى زقاق يقال له زقاق المولد.

وذكر الأزرقى: أنه لاخلاف فيه، فيؤخذ منه رد ما قيل: إنه بالدار التى بالصـفا، أو بالردم، أو بمنى، أو بعسفان، كما بينه فى كتاب طيب المورد فى تاريخ محل المولـد، أو أنه لضـعفه نزل منزلـة العدم». (۲) وكـذلك فى كتاب (الفتوحات الربانيـة شـرح الأذكار النووية)، خص المواضع التى صلى فيها رسول الله (ص) حول الكعبة بنظم مستقل. (۳)

۱- فتح الفتاح فى شرح الإيضاح للنووى مكةالمكرمة: مكتبة الحرم الشريف، فقه شافعى، رقم ۴۴، مصورعنمخطوط.

۲- ابن علانالصديقى، محمد على، فتح الفتاح فى شرح الإيضاح للنووى: ۴۱۹- ۴۲۰.

۳- ۴ : ۳۸۵-۳۹۵.

ص: ۸۸

وغيرها من كتب الفقه والمناسك التى أعطت أهمية خاصة لذكر هذه الأماكن، وتحديدها وبخاصة مؤلفات الفقهاء المكيين ماذكر منها على سبيل المثال لا الحصر.

المبحث الثانى:

التحليل العلمى للعناوين الفقهية فى كتابات الفقهاء، للأماكن المأثورة المتواترة فى مكة المكرمة:

معظم المدونين للتاريخ المكى هم من الفقهاء والمحدثين المكيين، حرصوا فيه على تخصيص فصل مستقل للأماكن التاريخية المأثورة، وبيان الثابت الصحيح منها، فى دقة كاملة، وحرص شديد على بيان الصحيح نسبته إلى النبى (ص) وبيان غير الصحيح، يتجلى هذا بداية فى عناوين كتاباتهم أولًا، وثانياً تسجيل وقوفهم عليها، واختبار صحتها، هؤلاء الفقهاء، القضاة، المحدثون لاتخدعهم مقالات العامة، و لاينساقون مع الشائع، والذائع، وقد دون معظمهم المنهج العملى لاختبار الصحيح منها، والزائف فى كتابات تاريخية موثقة فى مدوناتهم التاريخية والفقهية، رائدهم فى ذلك إثبات ماتصح نسبته إلى النبى (ص) وتأكيده، فإنّ الكاذب على النبى (ص) يتبوأ مقعده من النار، كماورد الحديث بهذا، فليس الكذب على النبى (ص) كالكذب على أحد من أمته، وإن كان الكذب مذموماً فى جميع الأحوال.

يقدم البحث تحليلًا لبعض مقالاتهم لبيان وجهة نظرهم، ونبذة مختصرة من سيرهم فى نهاية البحث، حتى يعرف القارئ مكانتهم العلمية فيزداد ثقة بما يقولونه، وألا يحمله عدم معرفته بمكانتهم الجرأة عليهم ...

ص: ۸۹

لم‌يفت معظم الفقهاء الذين كتبوا فى فقه المناسک سواء من المكيين، أو غيرهم، وهم علماء ثقات لهم وزنهم الكبير فى الفقه الإسلامى أن يخصوا باباً مستقلًا للأماكن الإسلامية المأثورة فى مكة المكرمة فى كتب المناسک، يتناول البحث طائفة محدودة منهم، أنموذجاً لكتابات الآخرين، وقد جاءت العناوين فى صياغات مختلفة:

(الأماكن المشهورة) (الأماكن المباركة) (الأماكن المعظمة) (المشاهد المكرمة) (الأماكن التى يستحب زيارتها).

ملاحظ أنّ بعض العناوين ليس فيها استعمال المصطلح الفقهى (يستحب)، لكنها تعنى الحث على زيارتها.

يتجاوز هذا الجزء من البحث عبارات المورخين، ويركز بصفة خاصة على عبارات بعض المحدثين والفقهاء خصوصاً عند إعطاء زيارة هذه الأماكن حكماً شرعياً.

وردت لدى بعض الفقهاء عبارة (الاستحباب) فى صياغة فقهية صريحة، هذه الكلمة حين يطلقها الفقيه فإنه يعنى معناها الفقهى الاصطلاحى (الثواب على الفعل، والتجاوز عن الترک).

يهتم البحث هنا ببيان هذا التوجه لإطلاق هذا المصطلح الشرعى، وتعليله فقهاً حسب منطق أولئک العلماء، فالمهم هو إدراک تفسيرهم كمايدور فى خلدهم، لاتفسيره حسب رأى المخالف لهم وهو مايقتضيه البحث العلمى المتجرد، حتى يمكن إنصاف صاحب كل رأى؛ من هؤلاء:

ص: ۹۰

الإمام محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقى (ت ۲۵۰ ه-) بعنوان:

«ذكر المواضع التى يستحب فيها الصلاة بمكة المكرمة، وما فيها من آثار النبى (ص)، وماصح من ذلك». (۱)

الإمام أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهى، من علماء القرن الثالث الهجرى:

«المواضع التى يستحب فيها الصلاة بمكة، وآثار النبى (ص) فيها وتفسير ذلك». (۲) الإمام أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى (ت ۵۹۷ ه-):

«ذكر أماكن بمكة يستحب فيها الصلاة والدعاء: وهى ثمانية عشر موضعاً:

المكان الأول: البيت الذى ولد فيه رسول الله (ص) ...

المكان الثانى: منزل خديجة (ها) ...

المكان الثالث: مسجد فى دار الأرقم بن أبى الأرقم ...

المكان الرابع: مسجد بأعلى مكة عند الردم ...

المكان الخامس: مسجد بأعلى مكة يقال له: مسجد الجن ...

المكان السادس: مسجد بأعلى مكة أيضاً يقال له مسجد الشجرة ...، ثم أتم بقية هذه المواضع». (۳)

۱- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ۱۹۸: ۲.

۲- أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه، ۵: ۴.

۳- مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن: ۳۴۴.

ص: ۹۱

الحافظ أبو العباس أحمدبن عبدالله بن محمد بن أبی‌بکر محب‌الدین الطبری ثم المکی (۶۱۵- ۶۹۴):

«فینبغی لمن قصد آثار النبوة أن یعم بصلاته الأماکن التی هی مظنة صلاته (ص) فیها رجاء أن‌یظفر بمصلی النبی (ص) من کل مکان:

خلیلی هذا ربع عزة فاعقلا قلوصیکما ثم انزلا حیث حلت

ومسا تراباً طیباً مس ذیلها وبیتاً وظلّا حیث باتت وظلت

و لاتیأسا أن یعفو الله عنکما إذا أنتما صلیتما حیث صلت».

(۱) الإمام یحیی بن شرف النووی (۶۳۱- ۶۷۶):

«الرابعة عشرة: یستحب زیارة المواضع المشهورة بالفضل فی مکة والحرم، وقد قیل إنها ثمانیة عشر موضعاً، منها: البیت الذی ولد فیه رسول‌الله (ص)، وهو الیوم مسجد فی زقاق یقال له زقاق المولد، وذکر الأزرقی أنه لاخلاف فیه ...». (۲) وبعضهم جمع بین بعض تلک العبارات السابقة مثل:

۱- القری لقاصد أمّ القری: ۳۵۰.

۲- کتاب الإیضاح فی مناسک الحج والعمرة: ۴۰۴، الطبعة الثانیة، وعلیه الإفصاح علی مسائل الإیضاح علی مذاهب الائمة الأربعة وغیرهم ...، بیروت: دار البشائر، عام ۱۴۱۴ ه-/ ۱۹۹۴ م.

ص: ۹۲

الإمام عزالدين بن جماعة الكنانى (۶۹۴- ۷۶۷ ه-):

«الباب العاشر (فى دخول مكة المعظمة، وفى الطواف والسعى، وما يتعلق بذلك) إلى أن قال:

واستحب- كما قال بعض الشافعية- زيارة المواضع المشهورة بالفضل، كالموضع المعروف بمولد سيدنا رسول الله (ص)، وكالموضع المعروف ببيت خديجة (ها) ... وكالمسجد الذى فى دار الخيزران عند الصفا ...». (۱) وذكر فى موضع آخر: إذا فرغ الحاج من الرمى فالسنة كما قال الشافعية أنه ينصرف إلى رحله من منى كماصنع رسول الله (ص)، وحيث نزل منها جاز، لكن الأفضل- كما قال الشافعية- منزل رسول الله (ص) وما قاربه. (۲) العلامة الفقيه برهان‌الدين إبراهيم بن فرحون المدنى المالكى (ت ۷۹۹ ه-):

«الباب العشرون: فى ذكر آثار شريفة بمكة ينبغى أن تقصد للتبرك بها». (۳)

۱- هداية السالك إلى المذاهب الأربعة فى المناسك ۹۵۵: ۲.

۲- المصدر السابق ۱۱۲۰: ۳.

۳- إرشاد السالك إلى أفعال المناسك، ۵۴۵: ۲.

ص: ۹۳

الإمام القاضی العلامة الحافظ أبو الطیب تقی‌الدین محمد بن أحمد ابن علی الفاسی المکی المالکی (۷۵۷- ۸۳۲ ه-):

جاء هذا الموضوع تحت العنوان التالی:

«الباب الحادی والعشرون: فی ذکر الأماکن المبارکة التی ینبغی زیارتها الکائنة بمکة المشرفة وحرمها قربه». (۱) الإمام الفقیه أبو البقاء محمد بن أحمد بن محمد بن الضیاء المکی الحنفی، قاضی مکة المکرمة ومفتیها (۸۵۴ ه-):

«فصل فی ذکر الأماکن المبارکة بمکة المشرفة وحرمها التی یستحب زیارتها والصلاة والدعاء فیها رجاء برکتها»، عددها وخصها بدراسة علمیة فقهیة بدءاً من الصفحة: ۲۶۲۵ إلی الصفحة: ۲۶۶۷. (۲) الإمام علی بن عبدالله بن أحمد الحسنی السمهودی (۸۴۴- ۹۲۲ ه-) نص علی الآتی:

«... ابن زبالة عن خالد بن عوسجة قال: کنت أدعه لیلة إلی زاویة دار عقیل بن أبی‌طالب التی تلی باب الدار، فمر بی جعفر بن محمد ... یرید العُریض، معه أهله، فقال لی: «أعن أثر وقفت هاهنا؟ قلت: لا، قال هذا موقف رسول الله (ص) باللیل، إذا جاء یستغفر لأهل البقیع ...».

۱- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ۲۶۰: ۱.

۲- البحر العمیق فی مناسک المعتمر والحاج إلی بیت الله العتیق، ۵: ۲۶۲۳.

ص: ۹۴

قال المراغى: فينبغى الدعاء فيه، وقد أخبرنى غير واحد أنّ الدعاء هناك مستجاب.

قلت [السمهودى]: الأماكن التى دعا (ص) بها كلها أماكن إجابة، ولذا يستحب الدعاء فيها». (۱) العلامة الفقيه جمال‌الدين محمد جار الله بن محمد نورالدين ابن أبی‌بكر ابن على بن ظهيرة القرشى المخزومى (ت ۹۸۶ ه-):

«خاتمة فى ذكر الأماكن المعظمة، والمشاهد المكرمة التى تقصد زيارتها، المشهورة بالفضل بمكة شرفها الله تعالى وحرمها، وضواحيها من المواليد، والدور، والمساجد، والجبال، والمقابر وما أشبه ذلك». (۲) العلامة على بن عبد القادر الطبرى (۱۰۷۰ ه-):

عقد «الفصل الثالث فى الأماكن المشهورة فيها [مكة المكرمة] وفى المساجد: بمكة ونواحيها أماكن مشهورة يستحب زيارتها ...». (۳)

۱- خلاصة الوفا بأخبار دارالمصطفى: ۴۱۵، المدينة المنورة: المكتبة العلمية لصاحبها الشيخ محمد سلطان النمنكانى، عام ۱۳۹۲ ه-/ ۱۹۷۲ م.

۲- الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف: ۳۳۰.

۳- الأرج المسكى فى التاريخ المكى وتراجم الملوك والخلفاء: ۵۸.

ص: ٩٥

العلامة محمد بن أحمد بن سالم بن عمر المكى المالكى، المعروف بابن الصباغ (١٢٤٣- ١٣٢١ ه-):

«الفصل الثالث فى الأماكن التى يستجاب فيها الدعاء بمكة المشرفة وحرمها وما قاربهما». (١) إلى غير ذلك من المؤلفين الذين عرضت كتاباتهم بالتفصيل سابقاً فى هذا البحث.

ومما ينبغى أن يحذر منه فى هذا المجال أن لايساء فهم كلام الفقهاء السابقين وتوصيفهم لتلك الأماكن (بالمباركة)، أو (استحباب الصلاة فيها، ورجاء إجابة الدعاء) على الحث على القيام بأعمال تتنافى مع صفاء العقيدة وإخلاصها، فإنهم أبعد أن يخرقوا معالم التوحيد، وهم أساطين هذا العلم، والمحافظون على تجريده من أى شائبة تمسه.

الصلاة فى المكان الذى صلى فيه الرسول (ص) لأى قصد مشروع لاينقض عروة من عرى التوحيد مادامت العبادة لله وحده، خالصة له، ومما هو مسلم أنّ الأمكنة تتفاضل بحسب من حل بها، وما حل فيها.

يقول الشريف العلامة أبو عيسى سيدى المهدى الوزانى (ت ١٣٤٢ ه-): إنّ الأعمال تشرف بشرف الأزمنة، كما تشرف بشرف

١- تحصيل المرام فى أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم و ولاتها الفخام، ٥٨٦: ٢.

ص: ۹۶

الأمکنة، ویوم الجمعة أفضل أیام الأسبوع فوجب أن یکون العمل فیه أفضل». (۱)

الفصل الرابع

شواهد التواتر المحلی للأماکن المأثورة فی مکة المکرمة

۱- النوازل الجدیـدة الکبری، فیما لأهل فاس، وغیرهم من البدو والقری ۲۲۹: ۲، الطبعة الأولی، قابله وصـححه عمر بن عباد، المغرب: وزارة الأوقاف، عام ۱۴۱۷ ه‍-/ ۱۹۹۶ م.

ص: ۹۷

المبحث الأول:

مظاهر التواتر المحلی:

(النقل بالتوارث من طرق الإثبات)

یتضح من التواتر المحلی المکی فی القدیم والحدیث ونقل الجم الغفیر من الأجیال اللاحقة عن الأجیال السابقة تعیین الأماکن المأثورة، وتحدیدها وهی معروفة، معلومة للمکیین، مشهورة بین علمائهم، ومثقفیهم، وعامتهم، کان معظمها قائماً ومشاهداً قبل بدء التوسعة للحرم الشریف عام ۱۳۷۵ ه-، یعد هذا التاریخ بدایة التطویر والتغییر، لمدینة مکة المکرمة، ثم توالی هذا تباعاً حتی وقتنا الحاضر عام ۱۴۳۰ ه-.

یتجلی التواتر المحلی من عبارات المؤلفین الموثوقین، فضلًا عن نقل أفراد المجتمع کافة.

یمکن إدارک هذا النوع من التواتر من نصوص الکتب السابقة، یقدم البحث هنا بعض النماذج من کتابات المؤلفین السابقین التی تشیر إلی هذا المعنی، أعنی التواتر المحلی:

کتاب «الجامع اللطیف فی فضل مکة وأهلها وبناء البیت الشریف» تألیف: جمال‌الدین محمد جار الله بن محمد نورالدین بن أبی‌بکر بن علی بن ظهیرة القرشی المخزومی (ت ۹۸۶ ه-/ ۱۵۷۸ م):

«فمنها، وهو من أجلّها مولد سیدنا رسول الله (ص)، فنبدأ به وهو بمکة فی المکان المعروف بسوق اللیل مشهور بمولد النبی (ص)»، إلی أن یقول:

ص: ۹۸

«وكون هـذا المكـان مولـده (ص) مشـهور، متوارث، يـأثره الخلف عن السـلف». (۱) كتـاب «البحر العميق» تـأليف: الفقيه ابن الضـياء المكى، القرشى يقول:

«الموضع الذى يقال له مولد النبى (ص)، وهو عند أهل مكة مشهور فى الموضع المعروف بسوق الليل».

وقد تقدم هذا النص من كتابه، هذا أنموذج صـريح فى التعبير عن التواتر المحلى، ينطبق على ماصح من تلك الأمكنة بموازين الفقهاء العارفين.

من فضل الله ونعمه، التى لاتحصـى على أمة الإسـلام، أن بقيت بعض هذه الأماكن محافظاً عليها لم‌تندثر، بل ظلت باقية تروى للأجيال الحاضرة والمستقبلة تاريخ أمجاد الإسلام...

الكثير من هذه الأماكن المأثورة ظل ظاهراً مشاهداً حتى الربع الأخير من القرن الرابع عشـر الهجرى، قبل أن تمتد يد التطوير والتوسـعة للحرم الشـريف، الكثير من معالم مكـة المكرمـة ظل باقياً كحاله فى القرون الأولى، شاهد هذا الجيل المخضـرم من أبناء مكة المكرمة والعالم الإسـلامى الذى حضر مكة المكرمة فى تلك الفترة قبل عام ۱۳۷۵ ه-، شهد الكثير من المعالم العمرانية، والمشاعر الدينية كما كان يتحدث عنها المؤرخون المكيون السابقون أمثال الإمام الأزرقى، والفاكهى، والتقى الفاسى وغيرهم، وهى

۱- الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف: ۳۲۵.

ص: ۹۹

قطعاً لا مجال للشك فى تحقيق أمكنتها، ونسبتها بعد ماحققها أعلام المكيين (وأهل مكة أدرى بشعابها)، كما أنّ أهل كل بلد أدرى بها، فإنكار نسبة هذه الأماكن من مَن لم‌يعش فيها غير معتبر شرعاً وعرفاً، وإنكاره لهذه الأماكن برغم هذا التواتر مكابرة بغير علم.

المبحث الثانى

عناية الحكومة.. بالأماكن المأثورة المتواترة فى مكة المكرمة:

... منح سعادة الشيخ عباس قطان الأرض البيضاء المعروفة بدار السيدة خديجة (ها) زوجة النبى (ص)، لإقامة مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم على أنقاض الدار.

كما تفضل فمنحه أيضاً المكان الذى ولد فيه الرسول الأعظم (ص) لبناء مكتبة ضخمة يؤمها رواد العلم وطلابه، ويشرع هذا الأسبوع بالبناء حسب التصميم الذى وضع لذلك. (۱)... اتخذت الخطوات الرسمية العملية لتحقيق هذه الرغبة الكريمة، فوثقت بالمحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة توثيقاً شرعياً بالصك رقم ۱۴۰ بالمجلد الرابع، تاريخ ۲۵ جمادى الآخرة ۱۳۷۳ ه-/ ۱ فبراير ۱۹۵۴ م، هذا فيما يخص المولد النبوى الشريف، وصدر أيضاً صك من المحكمة الشرعية الكبرى بمكة المكرمة بخصوص وقفية دار أمّ المؤمنين السيدة

۱- صحيفة «البلاد»، العدد: ۹۹۸۱، السنة الخامسة عشرة، الصادر يوم الأحد ۲۵ جمادى الأولى ۱۳۷۰ ه- الموافق ۴ مارس ۱۹۵۱ م.

ص: ۱۰۰

خديجة (ها)، وكلاهما كان لدی رئيس المحكمة الشرعية الكبری آنذاك فضيلة الشيخ عبدالله بن عمر بن دهيش، وصدق الصكان من قبل رئاسة القضاة.

وردت فی الصك الأول العبارات التالية:

«لدی أنا عبدالله بن عمر بن دهيش، رئيس المحكمة الشرعية الكبری بمكة المكرمة حضر أمين بن الشيخ عباس قطان الوكيل عن عمته المصونة فاطمة بنت يوسف قطان بموجب صك التوكيل الصادر من كاتب عدل مكة برقم ۱۹۲ فی ۲۳/ ۲/ ۱۳۷۱ ه- المخول له ذلك؛ وقرر علی طريق الإنهاء قائلًا: إنّ موكلتی المذكورة كانت تقدمت بطلب من الحكومة السنية السماح لها بإنشاء مكتبة بالموضع المعروف بمولد النبی (ص) بشعب علی بمحلة سوق الليل؛ الشهير فی محله شهرة تامة تغنی عن تحديده ووصفه، وبعد الإجراءات الرسمية صدر قرار الرئاسة برقم ۵۲۵/ ۲۳ فی ۱۴/ ۴/ ۱۳۷۰ ه- بالموافقة علی الطلب المذكور، لأنه عمل خيری، علی أن يجری تسجيل الوقفية بالمحكمة الكبری عند تمام البناء، وأن يكون مكتبة عمومية موقوفة بجميع أبنيتها، ومحتوياتها لجميع المسلمين، وقد حاز القرار المذكور موافقة صاحب السمو الملكی نائب جلالة الملك المعظم المبلغ إلی أمانة العاصمة برقم ۳۰۶۸، وتاريخ ۱۱/ ۵/ ۱۳۷۰ ه-، وصورة من ذلك إلی مقام رئاسة القضاة ... وقد اشترطت بوقفتيها شروطاً، منها: أنها لاتؤجر الدار المذكورة، ولاتباع، و لا توهب، ولا يستبدل بها، بل تبقی قائمة علی أصولها، كما أنها اشترطت أنّ الكتب التی فيها لاتخرج عنها، وشرطت عدم الاستغلال حاضراً، ومستقبلًا إذا اندثر البناء فی غير ما منح من أجله، ولا من ورثته، ولا أی

ص: ۱۰۱

أحـد، فعلى مقتضـى البينـة المعدلـة حسب الأصول، ثبت لدى أنّ فاطمة بنت يوسف قطان أنشأت بمالها المبانى المذكورة بعاليه، فقد أجزت الوقفيـة المـذكورة على الشـروط المـذكورة، وأمضـيته، وأمرت بتنظيم صك بها تحريراً فى اليوم الخامس والعشـرين من شـهر جمادى الثانية، عام الثالث والسبعين بعد الثلاثمائة والألف من هجرة من له العز والشرف، صلى الله عليه وآله وسلم».

رئيس المحكمة الكبرى بمكة

(ختم فضيلته)

أمـا ماهو بخصوص دار أمّ المؤمنين السـيدة خديجـة (ها)، فقـد صـدر بوقفيتها صك صادر من المحكمـة الشـرعية الكبرى رقم ۱۴۲، تاريخ ۲۵ جمادى الآخرة ۱۳۷۳ ه-/ ۱ مارس ۱۹۵۴ م، ووردت فيه العبارات التالية:

«ألحمـد لله وحـده، لـدى أنا عبـدالله بن عمر بن دهيش، رئيس المحكمة الشـرعية الكبرى بمكة المكرمة حضـر أمين بن الشـيخ عباس قطان، وقرر على طريق الإنهاء قائلًا: إن والدى الشـيخ عباس بن يوسف قطان حال حياته طلب من الحكومة السـنية منح الأرض البيضاء المعروفـة بدار السـيدة خديجة الكبرى، وبمولد السـيدة فاطمة الكائنة بمحلة القشاشـية المعروف بمحلها، الشـهيرة شـهرة تامة تغنى عن تحديـدها لإنشاء مبانى مدرسـة لتحفيظ القرآن الكريم من خيرات والـده الشـيخ يوسف قطان، وقـد صـدر أمر حضـرة صاحب السـمو الملكى النائب العام لجلالـة الملك المعظم إلى أمانة العاصـمة برقم ۷۱۱ فى ۲۴/ ۷/ ۱۳۶۶ ه-، بالموافقة على الشـروط التى أقر المقام السامى بها فى الخصوص المذكور، وأرسلت صورة من الأمر الكريم

ص: ۱۰۲

المعطى إليه إلى والـدى، وأشـعرت وزارة الماليـة، ومقام رئاسة القضاة بصورة منه، ووالدى بصـفته وصـياً مختاراً من قبل والده الشـيخ يوسف قطان على الخيرات والمبرات من مخلفات والـده بموجب الصك الصادر من المحكمـة الكبرى برقم ۱۲۰ فى ۹/ ۲/ ۱۳۵۱ ه-، قـدقام حال حياته بإنشاء المبانى للمدرسـة المـذكورة على الأرض المـذكورة من وصاية والده للخيرات التى كانت تحت يده، لاملك ولا حق فيها، وعاجلته المنيـة قبل تسـجيل هـذه الوقفية لدى الجهات الرسـمية، وحيث إنّ المبانى المذكورة مشـتملة على أماكن علوية وسـفلية، ومنافع، ومرافق، ومشـتملات شـرعية، وحوش، محدودة شرقاً بالزقاق النافذ المعروف بزقاق الحجر، وغرباً بالقبان، وشاماً وقف بيت سـنبل، ويمناً ملك الأشـراف قـديماً، وحـديثاً ملك حسن طلاقى وأولاده، وقـد شـرط فى هذه الوقفية شـروطاً جعل العمل عليها، والمصير إليها منها: أنها لاتؤجر الدار المذكورة ولا تباع، ولا توهب، ولا تعار، ولا يستبدل بها بل تبقى قائمة على أصولها ...».

إلى أن يقول رئيس المحكمة:

«فعلى مقتضـى البينـة المعدلـة حسب الأصول ثبت لـدى أنّ عباس بن يوسف قطان أنشأ من مال والـده يوسف قطان الأبنيـة المذكورة بعاليه فقد أجزت الوقفية المذكورة على الجهات المذكورة، وأمضيته، وأمرت بتنظيم صك بها تحريراً فى اليوم الخامس والعشرين من شهر جمادى الثانية عام الثالث والسبعين بعد الثلاثمائة والألف ...».

ص: ۱۰۳

(ختم رئيس المحكمة الكبرى). (۱) لابد من وقفتين عند هذين الصكين:

الأولى: أنّ فى هذين الصكين ما يثبت التواتر المحلى لكلا هذين المكانين المأثورين، حيث جاء فى وصف مكانهما وتحديدهما استغناء القاضى الشيخ عبدالله ابن دهيش عن تحديد هذين المكانين فى صك الوقفية، فقد عبر بقوله بالنسبة للمولد النبوى الشريف:

«المعروف بمولد النبى (ص) بشعب على بمحلة سوق الليل، الشهير فى محله شهرة تامة تغنى عن تحديده ووصفه».

وبالنسبة لمنزل أمّ المؤمنين السيدة خديجة (ها) قول فضيلة القاضى الشيخ عبدالله بن دهيش:

«منح الأرض البيضاء المعروفة بدار السيدة خديجة الكبرى، وبمولد السيدة فاطمة الكائنة بمحلة القشاشية المعروف بمحلها، الشهيرة شهرة تامة تغنى تحديدها».

الثانية: ... يروى الزميل الأستاذ عبدالرزاق بن المحدث خطيب المسجد الحرام، وإمامه، الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة، بداية العمل فى تأسيس مدرسة تحفيظ القرآن الكريم فى هذا المكان المبارك قائلًا:

«... وكنا قد عرفنا قبل ذلك أنّ هذا هو محل دار أمّ المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد (ها)، وهى الدار التى ولدت فيها السيدة فاطمة الزهراء (ها)، وبعد فترة من الزمن رأيت عمالًا يحفرون فى هذا الموقع لعمل أساسات لمبنى جديد، وقد اتضح وجود مبنى كامل فيه مسجد تحت مستوى

۱- صورة الصكين موجودة عند المؤلف المحترم.

ص: ۱۰۴

الشارع، ولابد أنّ التی‌تحیط بالدار هی التی ارتفعت بسبب السیول وغیرها، المهم أنه شید مبنی جدید فی نفس الموقع، وشغلته مدرسة لتحفیظ القرآن، وهو أفضل استغلال لهـذا الموقع التاریخی بما قیض الله له من أهل الخیر، من فکر هـذا التفکیر السلیم، وقـد بنی فی نفس الفترة فی أواسط الستینیات الهجریـة، وأواخرها کان مع دار الأرقم بن أبی الأرقم بالصـفا (دار الإسـلام)، وهی أول مدرسـة فی الإسلام ...

قصـة أخری حیث إنهـا تقع فی زقـاق متفرع من المسـعی علی یسـار الـذاهب إلی الصـفا، وهـذا الزقـاق یبعـد عن جبل الصـفا بحوالی الخمسـین متراً، زقاق الخیزران، أما دار الأرقم فکانت تبعـد عن المسـعی بنحو مائـة متر، وهی قریبـة من دور سدنة الکعبة المشـرفة آل الشیبی، وکانت عبارة عن دار مکونة من دور واحد، ومبنیة علی نفس طراز بناء الحرم القدیم من الأعمدة والعقود، وکانت مهجورة.

وقد قیض الله لها فضـیلة إمام الحرم المکی الشیخ عبد الظاهر أبوالسمح، ونائبه فضیلة الشیخ محمد عبد الرزاق حمزة، فطلبا من الملک عبدالعزیز منحها لتکون مقراً لمدرسة دار الحدیث التی سبق وأن أسسـها عام ۱۳۵۳ ه‍-، فوافق الملک عبدالعزیز علی ذلک، وسـلمت لهما، ولما کانت دوراً واحـداً لایزیـد علی أربع غرف، وهذا لایکفی لاستیعاب المدرسة فقد تبرع أحد فاعلی الخیر ببناء دور ثان علی دورها الأرضـی، وقد کان لوجیه جدة الشیخ محمد حسین نصیف الذی کان یتعاطف کثیراً مع هذه المدرسة دور کبیر فی هذا العمل، ولکن هذا الدور المضاف لم‌یأت متناسقاً مع الدور

ص: ۱۰۵

الأرضى، ذلك أنّ الدور الأرضى كان مبنياً كما أسلفت على الطراز الإسلامى ذى الأعمدة والعقود، أما الإضافة فجاءت على الطراز الحديث الإسمنتى، وهكذا ظهر البناء كمن يلبس ثوباً وعباءة ويضع فوق رأسه قبعة، واستمرت مدرسة دار الحديث تشغل هذا المبنى الأثرى محيية ذكراه الطيبة حتى جاء مشروع توسعة الحرم، فهدم هذا المبنى عام ۱۳۷۵ ه-، ومكانه الآن فى الشارع الواقع بين الصفا وجبل أبى قبيس ...». (۱)

وقال الندوى صاحب كتاب (شهور فى ديار العرب):

«... بعد الطواف رغبت فى السلام على الشيخ أبى‌السمح، وحين وصلت إلى باب (دار الحديث) وجدت مولانا عبدالوهاب الدهلوى قادماً من مقر إقامتى، وكان قد ذهب لزيارتى، وكان برفقته محمد بن عبدالرزاق حمزة، فجلسنا معاً، نتحدث فى موضوعات مختلفة، كان الشيخ أبوالسمح قد ذهب إلى دار الأرقم، ويقال: إنّ هذا المبنى الخاص بدارالأرقم بنى فى بداية العهد العباسى، ولهذا فإنّ مكانته التاريخية حقيقية وثابتة، وقد أخذ الشيخ أبوالسمح هذا المبنى لدارالحديث، وهناك فكرة لبناء مبنى رائع، وضخم فى هذا الموقع، وللأسف لم‌أتمكن من زيارة (دارالأرقم)، الدار التى كان يرابط فيها رسول الله (ص) وصحابته من الفدائيين الأوائل، وإن شاء الله أزورها بعد العودة من المدينة المنورة بصحبة مولانا عبدالوهاب، فهو من أشهر علماء آثار مكة المكرمة، وهو أيضاً مسؤول المالية فى لجنة دار الحديث».

۱- صحيفة عكاظ: ۸، السنة الأربعون، العدد ۱۱۵۶۹، السبت ۲۸ ذوالحجة ۱۴۱۸ ه-.

ص: ۱۰۶

وبمناسبة دار الأرقم، ذكر العالم السلفى الشيخ محمد بن عبدالرزاق رأيه فيما يتعلق بالأماكن التاريخية فى مكة، فيقول:

«يجب الإبقاء على جميع هـذه المبانى، وجعلها مقراً للإدارات، والهيئات العلميـة والدينيـة، وكان من الضـرورى هـدم القباب، ولكن لا معنى لإهمـال تلـك الأماكن ذات الصـلة بالحياة الأولى للـدعوة الإسـلامية». (۱) يتفق مع هـذا الرأى بعض علمـاء السـلف فى العصـر الحديث مثل العلامة السـيد رشـيد رضا فهو ممن يؤيدون اسـتغلال هذه الأماكن التاريخية الثابتة استغلالًا حضارياً... (۲) هذا هو الفكر المسـتنير الوسط فى التعامل مع هـذه الأماكن التاريخيـة، فإزالتها اعتـداء على التاريـخ ومشاعر المسـلمين، وتقديسـها بصورة تتنافى مع العقيدة الصحيحة أمر مرفوض، والعلاج لهذه الظاهرة من بعض الجهلة من خارج البلاد، يكون بالتوعية المفيدة عن طريق تنظيم جموع الزائرين لمشاهدة هذه الأماكن بقيادة دليل يرشدهم، ويعرفهم بتاريخ الإسلام، ونشوئه على رحابها، ومحاربته لكل المظاهر التى تتنافى مع التوحيد الخالص الذى ينبغى أن يتحلى به المسلم فى تعامله مع الآثار.

۱- حديث شفهى مع ابنه الجليل الأستاذ عبدالرزاق محمد عبدالرزاق حمزة كاتب المقال الآنف الذكر.

۲- أرسـلان، الأمير شكيب، السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة: ۴۵۸، الطبعة الأولى، دمشق: مطبعة ابن زيدون، عام ۱۳۵۶ ه-/ ۱۹۳۷ م.

ص: ۱۰۷

التوعيـة هى الحـل السـليم، وهى فيمـا بعـد درس مفيـد لكـل من يقصـد زيـارة هـذه الأماكن التاريخيـة، خصوصاً بعـد عودة الحجاج، والمعتمرين إلى أوطانهم.

إنّ توظيف هـذه الأماكن التاريخيـة بطريقـة عقلانيـة، وأسـلوب حضارى، يحفظ للمكان قـدره، ومكانته التاريخية، وجلاله ووقاره، فى نفوس المسـلمين.. الـذين يعرفون لمثـل هـذه الأمـاكن التاريخيـة أهميتهـا، وأثرهـا الكبير على توجيه الأجيـال، وإذكـاء روحها بمعانى الإيمان.

أما ثالثـة الأثافى، وفى نفس السـياق لهذا التوجه الحضارى، فهو مايذكره المربى الثقة الأسـتاذ محمد أمين إسـماعيل خدمدى من أبناء مكة المكرمة والمعاصـرين للمربى الفاضل الشيخ عبدالله خوجة رائد مدارس (محو الأمية) عن مدارس النجاح الليلية التى تأسست عام ۱۳۵۰ ه-، وعن قصة منح المدرسة (مولد سيدنا على بن أبى‌طالب (ع)) بشعب على الرواية التالية:

«أما عن كيفيـة وجود المدرسة: فإنّ معهد الأنجال بالرياض أراد أن يعمل حفلة تخرج، فذكر لهم أنّ شـيخاً بمكة يدعى عبدالله خوجة له باع فى إعداد الحفلات.

يقول الشيخ: أتانى الشيخ طاهر الدباغ ومعه أعيان مكة، وطلبوا منى بغيتهم، فطلبت منهم مصروف البيت، فوعدونى خيراً.

وذهبت إلى الرياض، وأعددت الحفل، ونجح نجاحاً باهراً، وبعد نجاح الحفل أردت الاستئذان للعودة إلى ديارى بمكة، إلّا أنهم طلبوا منى أن

ص: ۱۰۸

أنتظر يومين، أو ثلاثـة، وثـالث يوم جاءوا إلیّ بـدفتر كبير مثل دفتر الحضور والغياب، وقالوا لی تمنّ فی هـذا الـدفتر، ونحن نرفعه إلی جلالة الملك؟

فطلبت وقفاً من أوقاف مكة المكرمة.

فطلبوا منی البحث، فوجـدت ضالتی فی هـذا المكان [مولد سـيدنا علی بن أبی‌طالب (ع)]، واعتمدوا لی «بن لادن بالمونة، والمعلمين» وشـيدت المدرسـة، والمدرسـة لها فرع فی حی الشبيكـة تحت إدارة مـدير مدرسـة الترقی العلميـة الكائنة بزقاق العجيمی خلف البريد بالشامية كان يديرها الشيخ أحمد عبدالغنی عجيمی ...». (۱)

ظلت هـذه المدرسـة فی هذا المبنی تؤدی دورها التثقيفی سـنين عديدة حتی جری هدم حی شـعب علی (ع) من أجل توسـعة الطرق، وعمل الأنفاق الآتية من حی العزيزية فی وسط جبل أبی قبيس.

أدی توظيف هذه الأماكن التاريخية دوراً مهماً فی الحياة العلمية والثقافية داخل المملكة السـعودية وخارجها، وبعد إزالة بعضـها بقصد توسـعة ساحات الحرم الشريف للمصـلين، يظل مكان المولـد النبوی الشـريف (مكتبـة مكة المكرمة) معلماً حضارياً ثقافياً بارزاً يؤدی دوراً علمياً فريداً داخل المملكة العربية السعودية وخارجها... للحفاظ علی تاريخ الأمة الإسلامية من الضياع، وتسلط الجاهلين.

۱- وثيقة مخطوطة خاصة لعبد الوهاب أبوسليمان.

ص: ۱۰۹

الفصل الخامس

آراء العلماء فی زيارة الأماكن المأثورة المتواترة فی مكة المكرمة

اختلف فقهاء الأمة فی مشروعية زيارة هذه الأماكن إلی فريقين: معارضين ومؤيدين.

فيما يلی عرض رأی الفريقين مع ذكر أهم استدلالاتهم:

ص: ۱۱۰

المبحث الأول:

رأى المعارضين لزيارة الأماكن المأثورة المتواترة فى مكةالمكرمة وأدلتهم:

يذهب البعض إلى أنّ زيارة هذه الأماكن «من البدع المحدثة التى لا أصل لها فى الشريعة». (۱) كابن تيمية، فإنّ له موقفاً ورأياً خاصاً نحو هذه القضية.

۱. الاعتراض على المصنفين فى المناسك فى ذكرهم للمزارات:

قال ابن تيمية: «وقد ذكر طائفة من المصنفين فى المناسك استحباب زيارة مساجد مكة، وما حولها، وكنت قد كتبتها فى منسك كتبته قبل أن أحج فى أول عمرى لبعض الشيوخ، جمعته من كلام العلماء، ثم قد تبين لنا أنّ هذا كله من البدع المحدثة التى لا أصل لها فى الشريعة، وأنّ السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم‌يفعلوا شيئاً من ذلك، وأنّ أئمة الهدى ينهون عن ذلك، وأنّ المسجد الحرام هو المسجد الذى شرع لها قصده للصلاة والدعاء والطواف، وغير ذلك من العبادات، ولم يشرع لها قصد مسجد بعينه بمكة سواه، ولا يصلح أن يجعل هناك مسجد يزاحمه فى شيء من الأحكام، وما يفعله الرجل فى مسجد من تلك المساجد من دعاء وصلاة وغير ذلك إذا

۱- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم: ۳۳۹، الطبعة السابعة، تحقيق وتعليق ناصر بن عبدالكريم العقل، الرياض: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، عام ۱۴۱۹ ه‍/ ۱۹۹۹ م.

ص: ۱۱۱

فعله فى المسجد الحرام كان خيراً له، بل هذا سنة مشروعة، وأما قصد مسجد غيره هناك تحرياً لفضله فبدعة غير مشروعة». (۱) ۲.

وفى معرض الإنكار على زيارة الأماكن التى قضى فيها رسول الله (ص) فترة من رسالته بمكة المشرفة يقول:

«فتحنثه، وتعبده بغار حراء كان قبل المبعث، ثم إنه لما أكرمه الله بنبوته ورسالته، وفرض على الخلق الإيمان به، وطاعته واتباعه، وأقام بمكة بضع عشرة سنة هو ومن آمن به من المهاجرين الأولين الذين هم أفضل الخلق، ولا يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى حراء، ثم هاجر إلى المدينة، واعتمر أربع عمر: عمرة الحديبية التى صده فيها المشركون عن البيت، والحديبية عن يمينك وأنت قاصد مكة إذا مررت بالتنعيم عند المساجد التى يقال: إنها مساجد عائشة، والجبل الذى عن يمينك يقال له جبل التنعيم والحديبية غربيّه، ثم إنه اعتمر من العام القابل عمرة القضية، ودخل مكة هو وكثير من أصحابه وأقاموا بها ثلاثاً، ثم لما فتح مكة وذهب إلى ناحية حنين والطائف شرقى مكة، فقاتل هوازن بوادى حنين، ثم حاصر أهل الطائف وقسم غنائم حنين بالجعرانة فأتى بعمرة من الجعرانة إلى مكة، ثم إنه اعتمر عمرته الرابعة مع حجة الوداع، وحج معه جماهير المسلمين لم‌يتخلف عن الحج معه إلّا من شاء الله.

۱- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ۳۳۹: ۲.

ص: ۱۱۲

وهو فى ذلك كله لا هو ولا أحد من أصحابه يأتى غار حراء، ولا يزوره، ولا شيئاً من البقاع التى حول مكة، ولم يكن هناك عبادة إلّا بالمسجدالحرام و بين الصفا والمروة، و بمنى والمزدلفة وعرفات، وصلى الظهر والعصر ببطن عرنة، وضربت له القبة يوم عرفة بنمرة المجاورة لعرفة.

ثم بعده خلفاؤه الراشدون، وغيرهم من السابقين الأولين لم‌يكونوا يسيرون إلى غار حراء ونحوه للصلاة فيه والدعاء.

وكذلك الغار المذكور فى القرآن فى قوله تعالى: ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ وهو غار بجبل ثور، يمان مكة، لم‌يشرع لأمته السفر إليه وزيارته، والصلاة فيه، والدعاء، ولا بنى رسول الله (ص) بمكة مسجداً غير المسجدالحرام، بل تلك المساجد كلها محدثة، مسجد المولد وغيره، ولا شرع لأمته زيارة موضع المولد، ولا زيارة موضع بيعة العقبة الذى خلف منى، وقد بنى هناك له مسجد.

ومعلوم أنه لوكان هذا مشروعاً مستحباً يثيب الله عليه لكان النبى (ص) أعلم الناس بذلك، ولكان يعلم أصحابه ذلك، وكان أصحابه أعلم بذلك، وأرغب فيه ممن بعدهم، فلما لم‌يكونوا يلتفتون إلى شىء من ذلك علم أنه من البدع المحدثة التى لم‌يكونوا يعدونها عبادة وقربة وطاعة، فمن جعلها عبادة وقربة وطاعة فقد اتبع غير سبيلهم، وشرع من الدين ما لم‌يأذن به الله ...». (۱)

۱- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ۳۳۳: ۲.

ص: ۱۱۳

۳. عرض الشيخ خلاف الأئمة فی زيارة هذه الأماكن قائلًا:

«وقد اختلف العلماء فی إتيان المشاهد، فقال محمد بن وضاح: كان مالك وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد، وتلك الآثار التی بالمدينة ماعدا قباء، وأحد، ودخل سفيان الثوری بيت المقدس وصلی فيه، ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها.

فهؤلاء كرهوها مطلقاً ...، لأن ذلك يشبه الصلاة عند المقابر.

واستحب آخرون من العلماء المتأخرين إتيانها، وذكر طائفة من المصنفين من أصحابنا وغيرهم فی المناسك استحباب زيارة هذه المساجد، وعدوا منها مواضع وسموها.

وأما أحمد فرخص منها فيما جاء به الأثر من ذلك إلّا إذا اتخذت عيداً مثل أن تنتاب لذلك، ويجتمع عندها فی وقت معلوم كما يرخص فی صلاة النساء فی المساجد جماعات، وإن كانت بيوتهن خيراً لهن إلّا إذا تبرجن، وجمع بذلك بين الآثار، واحتج بحديث ابن مكتوم ...». (۱) ۴. صحة بناء مسجد فی موضع صلاة رسول الله (ص)، أو قصد الصلاة فی موضع صلاته:

يقر ابن تيمية هذا شريطة أن يكون القصد بناء المسجد أصالة؛ يقول:

«ومثله: ما خرجاه فی الصحيحين عن عتبان بن مالك قال: كنت أصلی لقومی بنیسالم فأتيت النبی (ص) فقلت: إنی أنكرت بصری، وإنّ

۱- المصدر السابق ۲۷۵: ۲.

ص: ۱۱۴

السيول تحول بينى وبين مسجد قومى فلوددت أنك جئت فصليت فى بيتى مكاناً حتى اتخذه مسجداً، فقال: أفعل إن شاء الله.

فغدا علىّ رسول الله (ص) وأبوبكر معه بعد ما اشتد النهار، فاستأذن النبى (ص) فأذنت له، فلم‌يجلس حتى قال: أين تحبّ أن أصلى من بيتكم؟ فأشرت له إلى المكان الذى أحبّ أن يصلى فيه، فقام رسول الله (ص) فكبر وصففنا وراءه، فصلى ركعتين، ثم سلم وسلمنا حين سلم.

ففى هذا الحديث دلالة على أنّ من قصد أن يبنى مسجده فى موضع صلاة رسول الله (ص) فلا بأس به، وكذلك قصد الصلاة فى موضع صلاته، لكن هذا كان أصل قصده بناء مسجد فأحب أنّ موضعاً يصلى له فيه النبى (ص) ليكون النبى (ص) هو الذى رسم المسجد، بخلاف مكان صلى فيه النبى (ص) اتفاقاً فاتخذ مسجداً، لا لحاجة إلى المسجد، لكن لأجل صلاته فيه ...». (۱) ۵. مشروعية قصد الصلاة فى الأمكنة التى كان يقصدها (ص) للصلاة عندها بقصد الإتباع والاقتداء:

«فأما الأمكنة التى كان النبى (ص) يقصد الصلاة أو الدعاء عندها فقصد الصلاة فيها، أو الدعاء سنة اقتداء برسول الله (ص) وإتباعاً له، كما إذا تحرى الصلاة، أو الدعاء فى وقت من الأوقات، فإنّ قصد الصلاة أو الدعاء فى ذلك الوقت سنة كسائر عباداته، وسائر الأفعال التى فعلها على وجه التقرب ...

۱- المصدر السابق.

ص: ۱۱۵

ومثل هذا ماخرجاه فى الصحيحين عن يزيد بن أبى عبيد قال: كان سلمة ابن الأكوع يتحرى الصلاة عند الأسطوانة التى عند المصحف فقلت له: يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة.

فقال: رأيت النبى (ص) يتحرى الصلاة عندها، وفى رواية لمسلم عن سلمة بن الأكوع: أنه كان يتحرى الصلاة فى موضع المصحف يسبح فيه، وذكر أنّ رسول الله (ص) كان يتحرى ذلك المكان، وكان بين المنبر والقبلة قدر ممر الشاة.

وقد ظن بعض المصنفين أنّ هذا مما اختلف فيه، وجعله والقسم الأول سواء، وليس بجيد، فإنه هنا أخبر أن النبى (ص) كان يتحرى البقعة، فكيف لايكون هذا القصد مستحباً!

نعم: إيطان بقعة فى المسجد لايصلى إلّا فيها منهى عنه كما جاءت به السنة، والإيطان ليس هو التحرى من غير إيطان.

فيجب الفرق بين اتباع النبى (ص) والاستنان به فيما فعله، وبين ابتداع بدعة لم‌يسنها لأجل تعلقها به ...». (۱) ۶. المحاذير المتوقعة من زيارة الأماكن النبوية المباركة:

لايخفى القائلون بهذا الرأى من ارتكاب بعض المحظورات الواقعة من بعض الجهلة لدى زيارة هذه الأماكن المنافية لعقيدة التوحيد، وهذا ملموس من العامة، فسداً لهذه الذريعة يغلق هذا الباب كاملًا صيانة لصفاء

۱- المصدر السابق ۲۷۴: ۲- ۲۷۷.

ص: ۱۱۶

العقيدة، يقرر الشيخ هذا الأمر فى العبارة التالية، فمن كره هذه الزيارات إنما كرهها، لأنها «ذريعة إلى اتخاذها أعياداً، وإلى التشبه بأهل الكتاب، ولأن مافعله ابن عمر لم‌يوافقه عليه أحد من الصحابة فلم ينقل عن الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من المهاجرين والأنصار أنه كان يتحرى قصد الأمكنة التى نزلها النبى (ص)». (۱) ثم قال ابن تيمية:

«والصواب مع جمهور الصحابة، لأنّ متابعة النبى (ص) تكون بطاعة أمره، وتكون فى فعله بأن يفعل مثل مافعل على الوجه الذى فعله، فإذا قصد العبادة فى مكان كان قصد العبادة فيه متابعة له كقصد المشاعر والمساجد، وأما إذا نزل بحكم الاتفاق لكونه صادف وقت النزول، أو غير ذلك مما يعلم أنه لم‌يتحر ذلك المكان، فإذا تحرينا ذلك المكان لم نكن متبعين له، فإنّ الأعمال بالنيات». (۲) أنظر لهذا الاتجاه:

۱. الشثرى، سعد بن ناصر بن عبد العزيز.

حكم زيارة أماكن السيرة النبوية.

۱- المصدر السابق.

۲- المصدر السابق.

ص: ١١٧

الرياض: دار إشبيليا، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤ ه-/ ٢٠٠٣ م.

٢. عبد العزيز بن عبدالله الجفير

الآثار والمشاهد وأثر تعظيمها على الأمة الإسلامية.

مصر: دار الهدى النبوى، ودار الفضيلة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٤ ه-/ ٢٠٠٣ م.

٣. أبو عمر الماحى.

ماذا يقولون عن التبرك وتقبيل اليد.

الطبعة الأولى، الرياض: مطبعة النرجس التجارية، عام ١٤٢٩ ه-.

المبحث الثانى:

رأى المؤيدين لزيارة الأماكن المأثورة المتواترة فى مكة المكرمة وأدلتهم:

فيما يلى عرض موجز لأهم أدلة الفقهاء المجيزين زيارة الأماكن النبوية المأثورة:

ومما ينبغى أن يحاذر منه فى هذا المجال بادئ ذى بدء أن لايساء فهم كلام الفقهاء وتوصيفهم لتلك الأماكن (بالمباركة)، أو (استحباب الصلاة فيها، ورجاء إجابة الدعاء) على الحثّ على القيام بأعمال تتنافى مع صفاء

ص: ۱۱۸

العقيدة وإخلاصها، فإنهم أبعد أن يخرقوا معالم التوحيد، وهم أساطين هذا العلم، والحافظون على تجريده من أى شائبة تمسه.

الصلاة فى المكان الذى صلى فيه الرسول (ص) لاينقض عرًى من عرى التوحيد مادامت العبادة لله وحده، خالصة له:

استعمال الفقهاء لكلمة (الأماكن المباركة) لا إشكال فيه، فهو وصف كاشف، كما يقول المناطقة، فالأماكن تتفاضل بحسب أوصافها، ومن حل فيها، وما حدث عليها؛ يستدل لهذه الكلمة بما نص عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى:

سُبْحانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (۱)

يذكر العلامة أبو محمد عبدالحق بن عطية الأندلسى (۴۸۱- ۵۴۶) أن:

«البركة من جهتين: إحداهما: النبوة والشرائع والرسل الذين كانوا فى ذلك القطر وفى نواحيه، ونواديه؛ والأخرى: النعم من الأشجار والمياه، والأرض المفيدة التى خص الله الشام بها ...». (۲)

يستخلص من هذا:

أنّ كل مكان حلّ فيه رسول الله (ص) هو مكان مبارك، ولا يخالف فى هذا مسلم جاهل، فضلًا عن عالم عاقل.

۱- سورة الإسراء: ۱.

۲- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، ۱۰: ۹.

ص: ١١٩

يقول العلامـة أبو عبـدالله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى: الَّذِى بَارَكْنَا حولَهُ «قيل: بالثمار، وبمجارى الأنهار، وقيل: بمن دفن حوله من الأنبياء، والصالحين، وبهذه جعل مقدساً». (١)..، فمن ثم استعمل هؤلاء العلماء الفقهاء كلمة (المباركة)، ولا غرابة فى ذلك.

وحيث عرف تعليـل كونها مباركـة، نتيجـة لهـذا يكون الـدعاء فيها مسـتجاباً بإذن الله عزوجل؛ وهـذا اعتراف من أئمـة فى التفسـير بأنّ الأماكن تتفاضل بحسب من حلّ بها، وما حلّ فيها، لهـذا المعنى أفرد الإمام أبو عبـدالله محمـد بن إسـماعيل البخارى فى صـحيحه باباً بعنوان:

«المساجـد الـتى على طرق المدينـة، والمواضع التى صـلى فيهـا النبى (ص)» و عرض لعشـرة أحـاديث، وكـذلك خص هـذه الأمـاكن العلامة عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى (ت ٧٧۴ ه-) بعنوان:

«ذكر الأماكن التى صلى فيها رسول الله (ص) وهو ذاهب من المدينة إلى مكة فى عمرته وحجته». (٢)

علّق العلامـة أحمـد بن على بن حجر العسـقلانى فى شـرحه على صـنيع الإمام البخارى بقوله: ومحصل ذلك أنّ ابن عمر كان يتبرك بتلـك الأماكن، وتشـدده فى الإتباع مشـهور، ولا يعارض ذلك ماثبت عن أبيه أنه رأى الناس فى سـفر يتبادرون إلى مكان، فسأل عن ذلك فقالوا: قد صلى فيه

١- الجامع لأحكام القرآن، ٢١٢: ٩، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربى، عام ١٩۶۶ م.

٢- حجة الوداع: ١۵۶، الطبعة الأولى، تحقيق خالد أبوصالح الرياض: دارالوطن.

ص: ۱۲۰

النبی (ص) «فقال: من عرضت له الصلاة فلیصل، وإلّا فلیمض، فإنما هلك أهل الكتاب، لأنهم تتبعوا آثار أنبیائهم فاتخذوها كنائس وبیعاً»، لأنّ ذلك من عمر محمول علی أنه كره زیارتهم لمثل ذلك بغیر صلاة، أو خشی أن یشكل ذلك علی من لا یعرف حقیقة الأمر فیظنه واجباً.

وكلا الأمرین مأمون من ابن عمر، وقد تقدم حدیث عتبان وسؤاله النبی (ص) أن یصلی فی بیته لیتخذه مصلی، وإجابة النبی (ص) إلی ذلك، فهو حجة فی التبرك بآثار الصالحین ... (۱)

وبنفس السیاق یستشهد العلامة الإمام المحدث الورع أبو محمد عبدالله بن أبی جمرة الأندلسی المتوفی سنة ۶۹۹ ه- من السنة النبویة الشریفة فی كتابه بهجة النفوس وتحلیلها بمعرفة مالها وما علیها شرح مختصر صحیح البخاری فی شرحه للحدیث الذی رواه عن عمر، یقول: سمعت النبی (ص) بوادی العقیق یقول: «أتانی اللیلة آت من ربی فقال: صلّ فی هذا الوادی المبارك، وقل: عمرة فی حجة».

وفیه دلیل علی أنّ المقصود منا فی الأمكنة والأزمنة المباركة التعبد، یؤخذ ذلك من قوله (ص): «صلّ فی هذا الوادی المبارك» فمن أجل بركته أمر بالصلاة فیه، كما قال تعالی فی الأشهر الحرم: فَلَاتَظْلِمُوا فِیهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ونهی عن الظلم فیها لكون الإثم علیه إذ ذاك أكثر مما لو كان فی غیرها،

۱- فتح الباری، بشرح صحیح الإمام أبی عبدالله محمد بن إسماعیل البخاری ۵۶۷: ۱.

ص: ۱۲۱

والأمر بالشیء نهی عن ضده، والنهی عن الشیء أمر بضده، فلما نهی عن ترك الظلم فيها يلزم فعل الطاعة، أو يندب إليها ...). (۱)

ثبوت زيارة رسول الله (ص) وبعض كبار أصحابه لغار حراء

فقد جاء فی صحيح مسلم تحت عنوان: (باب من فضائل طلحة والزبير) الحديث التالی: «عن أبی هريرة أنّ رسول الله (ص) كان علی حراء هو وأبوبكر، وعمر، وعثمان وعلی، وطلحة، والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله (ص): اهدأ فما عليك إلّا نبی، أو صديق، أو شهيد». (۲)

وبسند آخر إلی «أبی هريرة أنّ رسول الله (ص) كان علی جبل حراء فتحرك، فقال رسول الله (ص): «اسكن حراء فما عليك إلّا نبی، أو صديق، أو شهيد» وعليه النبی (ص)، وأبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلی، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبی وقاص». (۳)

الإجابة فی هذه الأماكن قد تكون مرفوعة وفضل الله لايحصی

يعرض لهذا العلامة الفقيه عفيف الدين عبدالله بن إبراهيم ميرغنی، الحسنی المتقی المكی، الطائفی، الحنفی (ت ۱۲۰۷ ه-) فی كتابه (عدة الإنابة فی أماكن الإجابة) عنواناً خاصاً (المستند فی إجابة الدعاء عامة) قائلًا:

۱- الطبعة الثالثة، بيروت: دار الجيل، عام ۱۹۸۴ م، ۱۵۷: ۱.

۲- أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيری، النيسابوری، صحيح مسلم، الطبعة الأولی، ۱۸۸۰: ۴، خادم الكتاب محمد فؤاد عبدالباقی، القاهرة: دارالحديث، عام ۱۴۱۲ ه-/ ۱۹۹۱ م، رقم الحديث ۲۴۷۱.

۳- صحيح مسلم، ۱۸۸۰: ۴.

ص: ۱۲۲

«واعلم أنّ الحسن [البصری] ذكر الإجابة فی هذه الأماكن، والظاهر أنه لايقول ذلك إلّا عن توقيف، لأنه تابعی جليل، بل سيد التابعين. وقال الشيخ محمد بن علی علان فی شرح الأذكار: عن جده عبدالملك ابن علی: إنّ الحسن البصری رفع ذلك إلی النبی (ص)، فإن ثبت ذلك فيكفی فی العمل له، ولعله ثبت عند الشيخ عبدالملك العصامی أيضاً، لأنه ذكره فی آخر نظمه المشهور، وله شواهد فإنّ بعضها مذكور فی أحاديث مرفوعة، وقد ذكرها مطلقة عن الأوقات، وتبعه فی ذلك أكثر من ذكرها من مشايخنا، وعليه جری الناظم، وقال الملا علی قاری، والظاهر أنّ هذه الأماكن الشريفة موضع إجابة الدعوات المنيفة فی الأزمنة المخصوصة، ويمكن حملها علی عمومها، والله سبحانه أعلم، وقيد النقاش البعض، ومشی عليه الشافعية، وفضل الله لايحصی ...». (۱)

عمل السلف الصالح من الصحابة

ذكر الأزرقی بسنده إلی ابن جريج عن إسماعيل بن أمية أنّ خالد بن مضرس أخبره أنه رأی أشياخاً من الأنصار يتحرون مصلی رسول الله (ص) أمام المنارة [منارة مسجد الخيف] قريباً منها.

قال جدی: «الأحجار التی بين يدی المنارة، وهی موضع مصلی النبی (ص) لمنزل نری الناس وأهل العلم يصلون هناك». (۲)

۱- شرح الأذكار: ۴۱.

۲- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ۱۷۴: ۲.

ص: ۱۲۳

جاء من بعده الفاكهی فذكر أنّ: «الأحجار التی بين يدی المنارة هو موضع مصلی النبی (ص) لم‌يزل أهل العلم يصلون هناك وهو مسجد الغيشومة». (۱)

عمل السلف الصالح من التابعين

ذكر مؤرخ المدينة المنورة العلامة أبوزيد عمر بن شبة النميری البصری (۱۷۳- ۲۶۲ ه-) قوله:

«قال أبو غسان، وقال لی غير واحد من أهل العلم من أهل البلد:

إنّ كل مسجد من مساجد المدينة ونواحيها مبنی بالحجارة المنقوشة المطابقة فقد صلی فيه النبی (ص)، وذلك: أنّ عمر بن عبدالعزيز حين بنی مسجد رسول الله (ص) سأل- والناس يومئذ متوافرون- عن المساجد التی صلی فيها رسول الله (ص) ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة ...». (۲)

«وتفيد المصادر أيضاً أنه أول من بنی محراباً فی هذه المساجد، وأطلق المؤرخون علی هذا الطراز المعماری للمساجد (البناء العمری)، وقد استمر الأمراء والأعيان وغيرهم من عامة المسلمين يهتمون بهذه المساجد الأثرية عمارة وتجديداً وترميماً وتوسعةً». (۳)

۱- أخبار مكة فی قديم الدهر وحديثه، ۲۶۵: ۴.

۲- تاريخ المدينة المنورة، ۷۴: ۱، الطبعة الأولی، تحقيق فهيم محمد شلتوت، المدينة المنورة: السيد حبيب محمود أحمد، عام ۱۴۱۱ ه-/ ۱۹۹۰ م.

۳- عبدالغنی، محمد إلياس، المساجد الأثرية فی المدينة المنورة: ۱۳، الطبعة الثانية، المدينة المنورة: مطابع الرشيد، عام ۱۴۱۹ ه-/ ۱۹۹۹ م.

ص: ۱۲۴

هذا التعامل مع الأماكن المأثورة التی صحت نسبتها إلی رسول الله (ص) ظهرت فی القرن الأول الهجری علی ید الخلیفة الراشد عمر بن عبدالعزیز حینما کان والیاً علی المدینة المنورة للولید بن عبدالملک عند ما کتب إلیه قائلًا: مهما صح عندک من المواضع التی صلی فیها النبی (ص) فابن علیه مسجداً.

و لمیکن ثمة اعتراض من الأئمة المعاصرین.

یقول الحافظ أبو عبدالله محمد بن محمود النجار (۵۷۸- ۶۴۳ ه-) عن المساجد المأثورة بالمدینة المنورة:

«فهذه الآثار کلها آثار بناء عمر بن عبدالعزیز». (۱)

أجاب المؤیدون لزیارة الأماکن النبویة المأثورة علی ماورد فی احتجاج المانعین لها بما یتم عرضه فی صیاغة موجزة:

قد ثبت صعود رسول الله (ص) وبعض کبار صحابته زیارة غار حراء، وذلک متوافر فی دواوین السنة النبویة: صحیح مسلم، کما تقدم الإشارة إلیه وتوثیقه، والترمذی (۳۶۹۶)، ومسند الإمام أحمد رقم (۴۲۰) بسنده مانصه:

«... عن أبی سلمة بن عبدالرحمن قال: أشرف عثمان من القصر وهو محصور فقال: أنشد بالله من شهد رسول الله (ص) یوم حراء إذ اهتز

۱- الدرة الثمینة فی أخبار المدینة: ۱۸۱، الطبعة الأولی، قابله واعتنی به محمد علی شکری المدینة المنورة: دار المدینة المنورة للنشر والتوزیع، ت. د.

ص: ۱۲۵

الجبل فرکله بقدمه، ثم قال: اسکن حراء، لیس علیک إلّا نبی، أو صدیق، أو شهید، وأنا معه؟ فانتشد له رجال ...» الحدیث. (۱) عدم فعله (ص) لایدل علی الکراهة:

وهی مسألة أصولیة خلافیة، وفی هذا یقول الناظم:

الترک لیس بحجة فی شرعنا لایقتضی منعاً ولا إیجابا

من یدعی حظراً بترک نبینا ویراه حکماً صادقاً وصوابا

قد حاد عن نهج الأئمة کلهم بل جانب الحق الصحیح وخابا

ما الحظر إلا إن یکن نهی أتی متوعداً لمخالفیه عقابا

أو ذم فعل مؤذناً بعقوبة أو ذکر تحریم یصادف عابا

إنه لیس من الضروری أن یوجد نص من کتاب، أو سنة علی الاستحباب، ذلک أنه مما هو مقرر فقهاً أنّ: المندوب کما یستفاد من أقواله وأفعاله علیه الصلاة والسلام، فکذلک کان یترک الشیء وهو یستحب فعله لدفع المشقة عن أمته ...

شاهد هذا ماذکره ابن القیم فی کتابه (زاد المعاد فی هدی خیر العباد) قوله: فی الموطأ عن مالک، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، قالت: ما سبّح رسول الله (ص) سبحة الضحی قط وإنی لأسبحها، وإن کان

۱- الموسوعة الحدیثیة، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ۴۷۸: ۱، الطبعة الثانیة، الریاض.

ص: ۱۲۶

رسول الله (ص) ليدع العمل، وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليه ... (۱) الحديث المتصل لايعارض بالحديث المنقطع

حديث قطع عمر بن الخطاب شجرة الرضوان مقطوع لايقاوم الحديث المتصل فى صحيح البخارى الذى جاء فيه:

(أنها عميت عليهم فى السنة الثانية من البيعة).

ورد فى بحث للعلامة عزالدين الفلواروى عضو المجمع العلمى الإسلامى بالهند نقلته مجلة الأزهر ۱: م ۴ بالقاهرة ربيع‌الأول سنة ۱۳۴۶ ه- تحت عنوان: (شجرة الرضوان) ابتدأ البحث بقوله:

«هذه الشجرة المباركة التى بايع النبى (ص) تحتها خمس عشرة مائة من المسلمين على الجهاد فى سبيل الله، فتقبلها الله قبولًا حسناً فقال فى كتابه الحكيم: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المؤْمِنِينَ إذْ يُبَايِعُونَكَ تحْتَ الشَّجَرَةِ ولهذه الفضيلة العظيمة، ورضوان الله عنهم سماها الناس شجرة الرضوان، ووقعت هذه البيعة سنة ست من الهجرة النبوية ثم يقول تحت عنوان:

«إلى ما بقيت الشجرة وما فعل بها؟»

يجيب أول مايجيب فى هذا البحث بقوله:

۱- ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمدبن أبى‌بكر، زاد المعاد، الطبعة الأولى، ۳۵۲: ۱ تحقيق شعيب الأرنؤوط و عبدالقادر الأرنؤوط، بيروت: مؤسسة الرسالة، ومكتبة المنار الإسلامية، عام ۱۳۹۹ ه-/ ۱۹۷۹ م.

ص: ١٢٧

«التحقيق فى ذلك أنّ صحيح البخارى الذى هو أصح الكتب عند عامة العلماء بإسناد صحيح جيد عن ابن عمر وسعيد بن المسيب أنّ الشجرة قد عميت علينا فى السنة الثانية من البيعة و لم‌نجدها بعد.

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جويرية عن نافع قال: (قال ابن عمر رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها كانت رحمة). (١) وقال سعيد بن المسيب عن أبيه: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم‌نقدر عليها. (٢) ثم يطرح السؤال الآتى:

«هل قطع الشجرة عمر، أو أمر بقطعها؟»

يذكر الجواب قائلًا:

«هذه كلمة تداولتها الألسن من غير تفكر فى صحتها وسقمها، لافرق فى ذلك بين العالم وأخى الجهل، والهوى، فإنه كلما سئلوا عن المآثر والمقابر، وتعظيمها الشرعى قالوا: هذا كله يفضى إلى الشرك، ألا ترى أنّ عمر قطع الشجرة التى بايع الناس تحتها على يد رسول الله (ص) حسماً لمادة الشرك!

فاعلم أنّ مانسب لعمر من أمر القطع لا أصل له؛ لوجوه عديدة نذكرها:

١- البخارى ۵: ١- ۴.

٢- المصدر السابق ۵۹۹: ٢.

ص: ١٢٨

الأول: أنّ هذا يخالف رواية البخارى الصحيحة، فإنها تدل على خفائها، واستتارها عن عيون الناس- كما قلناه آنفاً- فما معنى قطع الشجرة؟

والثانى: إن أردنا من قول جابر المعنى الذى رواه ابن حجر: أنّ هذه الشجرة كانت باقية إلى آخر عمره، أى سنة ٧٨ من الهجرة فهذا أيضاً لايفيد المطلوب، فإنّ رحلة عمر كانت سنة ٢٣ من الهجرة.

والثالث: أنّ من ذكر هذه الرواية ذكرها فى طبقات ابن سعد، وروى ابن سعد فى طبقاته حديث ابن المسيب (أى حديث الاستتار المذكور) بطرق عديدة، ثم فى آخرها رواية القطع عن نافع، قال فيها:

أخبرنا عبدالوهاب بن عطاء، حدثنا عبدالله بن عون عن نافع قال: كان الناس يأتون الشجرة التى يقال لها شجرة الرضوان، فيصلون عندها فبلغ ذلک عمر بن الخطاب فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت.

هذه الرواية مدار مانسب إلى عمر، وأنه أمر فقطع، لايحتج به عند أهل الحديث، والانقطاع ظاهر لامرية فيه، فأن نافعاً لم‌يدرک عمر، وما لقيه، ولا روى عنه، وكشف تلک الغمة: أنّ نافعاً مولى لعبدالله بن عمر، ووجده ابن عمر فى غزوة الديلم، أو الطالقان، أو كابل، والمدة بين تلک الغزوات وزمان عمر مديدة طويلة، ونافع قد عمر وتوفى سنة ١٢٠ ه-، وصحب ابن عمر ثلاثين عاماً، وتوفى ابن عمر سنة ٧۴ ه- (تذكرة الحفاظ) ويروى عن عبدالله بن عمر وأبى هريرة، وأبى لبابة، ورافع بن خديج، وعائشة،

ص: ۱۲۹

وأم‌سلمة، وأبى سعيد الخدرى وغيرهم من الصحابة، ولم يدرك أيام عمر فما معنى روايته عنه؟

أنظر التاريخ الصغير للبخارى، والطبقات لابن سعد، وتهذيب التهذيب ۱۲: ۱، والتقريب وعامة كتب الرجال، والتاريخ لابن خلكان، ولذا قالت الشراح فى حديث مالك عن نافع أنّ عمر بن الخطاب كتب ... المذكور فى الموطأ فى صدر الباب بعد روايات: (أنّ هذا الحديث منقطع، فإنّ نافعاً لم‌يدرك عمر).

و انظر شرح الموطأ للشيخ سلام الله الدهلوى الحنفى غير مطبوع، والزرقانى ۱: ۱ طبع مصر على أنّ رواية القطع ليست بالجزم بل بصيغة التمريض بقوله: (ويقال لها) فدلت أنّ الشجرة لم‌تكن هى شجرة الرضوان بعينها بل كانت التى تنسب إليها بالظنون لذا أمر بقطعها.

من هذا يعلم القارئ نقائض هذه الرواية، وكونها غير مقبولة.

واعلم أنّ هذا الأثر أولى أن لايقبل عند أهل الحديث، فعندهم المراسيل، والمنقطعات وآثار الصحابة كل هذه ليست بحجة، والأثر الذى روى عن نافع فى الطبقات خلاف مايروى عنه فى البخارى عن ابن عمر، ورواة البخارى كلهم أثبات ثقات ...».

... ظهر مماتقدم أنّ لكل من أصحاب الرأيين استدلاله ووجهة نظره.

لمزيد لمعرفة استدلال هذا الاتجاه تنظر الكتب التالية:

۱. الكاندهلوى المدنى، محمد زكريا

الكنز المتوارى فى معادن لامع الدرارى وصحيح البخارى ۲۳۴: ۴.

باكستان: مؤسسة الخليل الإسلامية، عام ۱۴۱۹ ه-.

ص: ۱۳۰

۲. الكردى، محمد طاهر المكى.

تبرك الصحابة بآثار رسول الله (ص) وبيان فضله العظيم.

الطبعة الثانية، القاهرة، دار الطباعة المحمدية، عام ۱۳۹۴ ه-/ ۱۹۷۴ م.

۳. القارئ، أبو مجاهد عبدالعزيز بن عبدالفتاح.

الآثار النبوية بالمدينة المنورة، وجوب المحافظة عليها، وجواز التبرك بها.

المدينة المنورة: يطلب من المؤلف، عام ۱۴۲۷ ه-.

۴. الإدريسة، خديجة.

البركة والتبرك من ذهبيات الحافظ الذهبى قراءة عابرة فى سير أعلام النبلاء

الطبعة الأولى.

الفصل السادس

الواقع المعاصر للأماكن المأثورة المتواترة فى مكة المكرمة

الآثار الإسلامية فى مكة المكرمة حافظ على معظمها سلف الأمة خلال الأربعة عشر قرناً هجرية الماضية، خصوصاً ماكانت نسبته منها يقيناً إلى الحدث الذى جعله تاريخاً خالداً، فوصل إلينا معظمها سليماً.

ونحن فى بداية الثلث الأول من القرن الخامس عشر الهجرى وبالتحديد فى العام الثلاثين بعد الأربعمائة والألف من الهجرة النبوية الشريفة، متابعة للمنهج العلمى التاريخى للمدرسة التاريخية المكية يتم عرض الأماكن التاريخية المندثرة فى مبحث، والباقية فى الوقت الحاضر فى مبحث ثان:

ص: ۱۳۱

المبحث الأول:

المندثر من الأماكن المأثورة المتواترة فى مكة المكرمة فى الوقت الحاضر:

اهتم بعض المؤرخين المكيين، لدى عرض الأماكن المأثورة فى مكة المكرمة ببيان المندثر، والباقى منها فى زمانهم، أمثال:

تقى الدين الفاسى (۷۵۷- ۸۳۲ ه-/ ۱۳۷۳- ۱۴۲۸ م).

جمال الدين محمد جار الله بن محمد بن ظهيرة القرشى (ت ۹۸۶ ه-/ ۱۵۷۸ م).

محمد قطب‌الدين النهروالى المكى (۹۱۷- ۹۹۰ ه-/ ۱۵۱۱- ۱۵۸۲ م)

ويمتـد الزمن حـتى الربع الأول من القرن الخـامس عشر الهجرى/ الواحـد والعشرين الميلادى، فينـدثر بعض من تلـك، وفى الوقت الحاضـر، بـدءاً من شـهر ربيع الأول عام ۱۴۲۹ ه-/ ۲۰۰۸ م حتى عـام ۱۴۳۰ ه-/ ۲۰۰۹ م تمت إزالـة أحياء أثريـة كاملـة أمثال: حى الشامية، والشبيكة، وحارة الباب، والقرارة، والراقوبة، وسوق المدعى، وسوق الجودرية.

حتى وصلت الهدميات إلى شـمال مكة المكرمة سوق المعلاه، وربما أتت هذه التوسـعة الكبيرة فشـملت مسـجد الراية المسـمى حالياً حسب اللوحـة (جـامع خـادم الحرمين)، ومـا حوته هـذه الأحيـاء من أمـاكن مأثورة مهمـة؛ لصالـح توسـعة الحرم الشـريف، والساحات الشمالية، وإلى حى جرول فى الناحية الغربية منها.

ص: ۱۳۲

لايسعنا إلّا أن نردد القول المشهور: «تغيرت البلاد ومن عليها»، فلم يبق من أحياء مكة القديمة حول الحرم الشريف وما ضمته من أماكن تاريخية مأثورة إلّا الأسماء والتاريخ المكتوب.

متابعة لهذا المنهج العلمى للمدرسة التاريخية المكية، يتم عرض المندثر من هذه الأماكن فى هذا المبحث.

خصص جمال الدين محمد بن ظهيرة القرشى مساحة فى كتابه (الجامع اللطيف) للمساجد التى ذكرها الأزرقى و لم تعرف الآن، [عصر ابن ظهيرة القرشى]، فقال:

«وأما المساجد التى ذكرها الأزرقى، ولم تعرف الآن فستة مساجد»:

الأول: مسجد بأعلى مكة بين شعب ابن عامر ... وهذا المسجد لايعرف الآن.

الثانى: مسجد بأجياد يقال: إنّ النبى (ص) اتكأ هناك ...، قال الأزرقى: إنّ أهل العلم ينكرون ذلك، وإنما يثبتون أنه صلى بأجياد الصغير، ولايوقف على موضع مصلاه أيضاً تحقيقاً، بل حدساً بغير أصل.

الثالث: مسجد بأعلى مكة، يقال له مسجد الشجرة.

الرابع: مسجد بذى طوى فى علو مكة بين الثنيتين اللتين يدخل منهما الحاج.

الخامس: مسجد السرر، تعيين محله يقيناً لايوقف عليه الآن، بل جهته.

ص: ۱۳۳

السادس: مسجد بعرفة عن يمين الموقف يقال له مسجد إبراهيم، وليس مسجد عرفة الذى يصلى فيه الإمام.

فهذه المساجد المذكورة لم‌تعرف الآن [أى فى عصر ابن ظهيرة، وذلك هو القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى]». (۱) وبعد القرن العاشر الهجرى/ السادس عشر الميلادى، اندثر بعض من تلك الأماكن الإسلامية، فأصبحت خبراً من الأخبار، وربما زال الكثير منها فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين/ العشرين والحادى والعشرين الميلاديين، لأسباب عديدة يأتى فى مقدمتها كثرة أعداد الحجاج الذين وصلت أعدادهم إلى الملايين، مما لم‌يكن موجوداً فى القرون الماضية، فاستدعى هذا توسعة الحرم المكى الشريف، وإزالة الكثير مما حوله من العمران، والأماكن بهدف إيجاد مكان لقاصدى البيت الحرام، الذى هو الهدف الأول، ومعظم القصد من حجة العمر، ولهذا أزيل الكثير من تلك الأماكن، فإنّ معظمها يدخل فى نطاق تلك التوسعة، فمن ثم يتم عرض أسماء ما أزيل من تلك الأماكن الإسلامية المأثورة:

أولًا- منزل السيدة خديجة (ها)

كان فى هذا الموقع المبارك بناية من ثلاثة أدوار خصصت لتكون مدرسة لتحفيظ القرآن، هدم ذلك المنزل المبارك، لصالح توسعة ساحات الحرم المكى الشريف فى الجهة الشرقية منه، وذلك عام ۱۴۱۰ ه-/ ۱۹۸۹ م، جاء فى مقدمة الدراسة التوثيقية الصادرة عن (إعمار):

۱- الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف،: ۳۳۸.

ص: ۱۳۴

«أثناء إعـداد المرحلـة الأولى من المشـروع الخاص بتطوير المساحات المحيطة للحرم المكى الشـريف بمنطقة القشاشـية لتهيئة المنطقة شرق المسـعى لأداء الصـلاة لأكبر عدد من المصـلين، ولصالح مشروع أنفاق الخدمات، وتيسير الحركة أمام رواد بيت الله الحرام، وفى ۲۹ ربيع الأـول ۱۴۱۰ ه-/ ۲۹ نوفمبر ۱۹۸۹ م، اكتشف القائمون على المشـروع فى أثناء عمليـة إزالـة العقارات بالمنطقة، وجود بعض الأمـاكن الأثريـة بـالقرب من برحـة القبانى، الواقعـة بين المسـجد الحرام وسوق المـدعى، حيث وجـد محراب كبير باتجاه الحرم، وقد لوحظ أنّ الموقع الـذى وجـد به هـذه البقايا الأثريـة هو الموقع نفسه الذى كان لمدرسة تحفيظ القرآن التى أنشأها الشـيخ عباس قطان بعد ما اسـتأذن من الملك عبدالعزيز فى إنشاء تلك المدرسة فى مكان بيت السـيدة خديجة (ها)، المعروف باسم (مولد السيدة فاطمة (ها))، فى زقـاق الحجر، المعروف بزقـاق الصوغ، وزقـاق العطارين». (۱) موقع هـذا المنزل المبـارك فى الوقت الحاضـر فى السـاحة الشـرقية، لدى المصـباح الكبير مقابل باب السـلام بعد اثنىعشـر متراً فى اتجاه الشمال نحو المدعى، حيث شاهدت مخطط هذا الموقع شخصياً بحضور أحد المسؤولين فى مؤسسة ابن لادن مع كل من الدكتور عويد المطرفى، والدكتور عبدالله

۱- بيت السـيدة خديجـة على مرّ العصور، دراسـة توثيقية، الصـفحة: ۲، مرقومـة بالآلة الكاتبة، وصـلتنى مناولة من معالى الشـيخ أحمد زكى يمانى وزير البترول والثروة المعدنية سابقاً يحفظه الله.

ص: ۱۳۵

شاووش فى رمضان عام ۱۴۲۵ ه-، فتبين الأمر على خلاف ما يعتقد البعض أنّ هذا المنزل يقع فى إطار الميضآة.

ثانياً- دار الأرقم بن أبى الأرقم

تنتسب هذه الدار إلى الصحابى الجليل الأرقم بن أبى الأرقم القرشى المخزومى «كان من السابقين الأولين إلى الإسلام، أسلم قديماً، قيل: كان ثانى عشر، وكان من المهاجرين الأولين، وشهد بدراً ونفله رسول الله (ص) سيفاً، واستعمله على الصدقات، وهو الذى استخفى رسول الله (ص) فى داره، وهى فى أصل الصفا، والمسلمون معه بمكة لما خافوا المشركين، فلم يزالوا بها حتى كملوا أربعين رجلًا، وكان آخرهم إسلاماً عمر بن الخطاب، فلما كملوا به أربعين خرجوا ...».

تدعى هذه الدار ب- (دار الخيزران) نسبة إلى أمّ الخليفة الرشيد، وفى التعريف به، ورد أنّ «دار الخيزران» هى دور حول المختبى، ملكتها الخيزران أمّ الرشيد شراء، لمّاحجت، وتناقلت فى يد الملاك إلى أن صارت من جملة أملاك السلطان مرادخان، جاء فى (إتحاف فضلاء الزمن): وفى سنة ۱۱۱۲ ه-/ ۱۷۰۰ م، «عمّر إبراهيم بک دار الأرقم، وهى دار البيعة، ومجتمع الصحابة قبل الهجرة، جددها من أساسها إلى فوقها، وجعل فيها قبة عظيمة، وطاجنين، ورمم البيت الشريف، وجعل لمبرك ناقته (ص) مسجداً، وله محراب صغير خلف المحل الشريف مما يلى الطريق، وعمّره من أساسه بالحجر

ص: ۱۳۶

الشبيكى، والشميسى، وجعل على جداره شراريف، وطبطب، أعلى سطح الجميع بالنورة». (۱)

انتهت العناية بهذا المكان فى عهد الملك عبد العزيز، بأن أصبح مدرسة متخصصة فى علم الحديث النبوى الشريف، درس فيه كبار العلماء أمثال: الشيخ عبدالظاهر أبى السمح، والشيخ محمد عبدالرزاق حمزة.

ظلت هذه المدرسة فى هذا المكان المبارك تعمل على تدريس السنة الشريفة، وعلومها، تخرجت فيها أجيال كثيرة من أبناء العالم الإسلامى شرقه وغربه، فقامت بدور مهم.

أزيل مبنى هذه الدار مع بقية الدور حولها، عام ۱۳۷۵- ۱۳۷۶ ه-/ ۱۹۵۵- ۱۹۵۶ م، لصالح توسعة الحرم الشريف.

أطلق على باب الحرم فى الجهة التى كانت بها الدار (باب الأرقم) تذكيراً للمكان الذى شهد بدايات الإسلام، ومعاناة المسلمين، وتخفيهم لعبادة المولى جل وعلا- وفى البرج المجاور له فى الحرم الشريف استقرت رئاسة جماعة تحفيظ القرآن، حيث تجتمع الحفظة فيه كل جمعة لتلاوة القرآن.

لاتزال مدرسة دار الحديث تؤدى وظيفتها التعليمية فى مكة المكرمة، وقد تطورت الدراسة والمناهج فيها، وأغلب طلابها من الغرباء، وأصبحت شهادتها النهائية تؤهل للالتحاق بالجامعة.

ثالثاً- مولد الإمام على بن أبى‌طالب (ع)

۱- الطبرى، محمد بن على بن فضل المكى، إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بنى الحسن، ۲۲۳: ۲، الطبعة الأولى، مصر: دار الكتاب الجامعى، عام ۱۴۱۳ ه-/ ۱۹۹۳ م.

ص: ١٣٧

تقرر هـدم منطقـة شـعب على والمنـازل على جبـل أبى قبيس بمـا فيهـا مدرسـة النجـاح الليليـة المقامـة فى موقع مولـد سـيدنا على بن أبى‌طالب (ع) فى العقد الأول من القرن الخامس عشر الهجرى/ الحادى والعشـرين الميلادى، ضـمن إزالة حى شعب بنى‌هاشم (سوق الليل) عام ١٤٠٢ ه-.

رابعاً- مسجد النحر بمنى، أزيل ضمن مبانى منى من أجل توسعة الطرق المؤدية إلى الجمرات.

خامساً- مسجد الكبش بمنى، أزيل ضمن ما أزيل من المبانى بمنى من أجل توسعة الطرق المؤدية إلى الجمرات.

سادساً- مسجد المرسلات، أزيل ضمن المبانى التى أزيلت بمنى لتوسعة مسجد الخيف، والطرق المؤدية إلى نفق الملك خالد.

سابعاً- مولد جعفر بن محمد الصادق (ع) ليس له وجود فى الوقت الحاضر.

ثامناً- دار العباس، دخل فى المسعى ضمن توسعة الحرم الشريف، التوسعة الأولى عام ١٣٧٥ ه-.

ص: ۱۳۸

الصید

محسن الأسدی

سجل الصـید فی حیاة الناس المعیشیة والتجاریة والترفیهیة دوراً مهماً وقدیماً فی تاریخها، فقد کان الفرس من أوائل الأمم التی اهتمت بالصـید، وهم أول من ضـرّی البزاة، وحتی ورد أنّ أول من صـاد بالبـازی أحـد ملوک فارس أثناء رحلـة فی الطبیعـة، وقـد قال لرجال دولته: لقـد رأیت فی هـذا الطائر ما یحیّر اللب، ویملأ القلب، فهو عظیم السـطوة، شدید البأس، کبیر النفس، طویل الصبر، جلیل القدر، تخافه الطیور ولا یخافها ..، ثم واصل حـدیثه لهم: ولقـد علمنی هذا الطائر کثیراً مما لم أکن أعلمه من شؤون المملکة وسـیاسة الناس، فقـد أرشـدنی إلی التزام «الحرمـة»، والاسـتتار من أوباش الناس، وغضّ الطرف لاسـتمرار الهیبة، ودوام الصـمت للخدیعة والسـرعة فی البطش لتخویف الأعداء، وطول الأکل للاستمراء، وتصغیر اللقم للأمن من الغصة، وتشمیر الثوب للنظافة.. ثم ختم قوله: وبصورة عامة، لقد جمع هذا الطائر ضروب الأدب مع العقل الکامل.

ص: ۱۳۹

هـذا عنـد الفرس وأما عنـد الروم فهم الأمـة الثانيـة بعد الفرس، التى اختلط بها العرب، فهم أول من لعب وأدب الشواهين واصطاد بها وبالعقاب، ولم يسبقهم لاقتنائها أحد؛ يذكر المسعودى فى مروج الـذهب أن "قسطنطين "ملك عمورية، خرج يوماً يتصيد بالبزاة، فكان أول من لعب بالشواهين، ويبدو أنّ قسطنطين هذا قد أولع بالشواهين ولعاً بالغاً، حتى أنه راضها على أن تظلله من الشمس، فكان إذا ركب حلقت كوكبـة منهـا فوق موكبه، وحـامت فوق رأسه، وسارت لمسيره.. فإذا نزل وقعت حوله..؛ وأما الصيد عنـد العرب فى الجاهليـة، فلم يكن فى حقيقته وسيلة من وسائل الرزق وحسب، و إنما كان متعـة من متع النفس، وفناً وأدباً، ويعـد من فنون الفروسية وضرباً من ضروب الحرب فى أيام السلم، وهم أول من ضرّى الصقور وصاد بها، و أنّ أول من صاد بالصقر وضراه هو الحارث بن معاوية بن ثور بن كنده.

وأيضاً اهتموا بكلاب الصيد كثيراً، واهتمامهم هـذا كان قـديماً حتى كانت لها عندهم أنساب وأسماء له ولأبيه وجده وأمه، فقد كان لعدى بن حاتم خمسة كلاب سماها بأسماء أعلام، وأحياناً يسمونه باسم المنطقة التى جىء منها وينسبونه إليها، ككلب السلوقى، وهى نسبة إلى مدينة سلق قرب حضرموت، ويعد من أفضل أنواع كلاب الصيد، وقد كان كلب الصيد رفيق البدوى أين ماكان فى حله وترحاله، وهو أداته التى يصطاد بها ويعتاش منها..؛ والصيد بواسطة كلاب السلوقى من أجمل المتع والرحلات فى البوادى

ص: ۱۴۰

والفلوات والصید به یعد أجمل بکثیر من الصید بواسطة الصقور وهذا امر مسلم به.

وفی العصر الإسلامی، فقد کان الصید بدرجة راح یتحدث القرآن الکریم والسنة النبویة عن أحکامه بل وآدابه، یقول سبحانه وتعالی فی ذلک:

یَسْألُوُنَکَ مَا ذَا أحِلَّ لَهُمْ قُلْ أحلَّ لَکمُ الطیباتُ وما عَلَّمْتُمْ مِن الجوارحِ مُکلّبینَ تُعلّمونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَکُمُ اللهُ فَکُلُوا مِمَّا أمْسَکْنَ عَلیکُمْ واذْکُرُوا اسْمَ اللهِ علیهِ واتقُوا اللهَ إنَّ اللهَ سریعُ الحِسابِ. (۱)

ومن السنة یقول عدی بن حاتم الطائی وهو أحد ملوک العرب فی الجاهلیة، حیث کان صیاداً عرف بولعه فیه، وکان صاحب کلاب وجوارح، یستعملها فی صیده، وکثرت أسألته لرسول الله (ص) عن الصید حلاله وحرامه حتی وردت عنه عدة روایات تدلّنا علی مدی اهتمامه وغیره بهذا الأمر:

سألت رسول الله (ص) فقلت: إنّا قوم نتصید بهذه الکلاب، فقال (ص): «إذا أرسلت کلابک المعلمة، وذکرت اسم الله، فکل مما أمسکن علیک، إلّا أن یأکل الکلب فلا تأکل، فإنی أخاف أن یکون إنما أمسک علی نفسه، فإن خالطها کلب من غیرها فلا تأکل».

وسألته عن صید الکلب، فقال (ص): «إذا أرسلت کلبک وذکرت اسم الله علیه فأمسک علیک فکل».

۱- سورة المائدة: ۴.

ص: ۱۴۱

سألت رسول الله (ص) عن صید المعراض؟ قال: «ما أصاب بحده فکل، وما أصاب بعرضه فهو وقیذ».

قلت لرسول الله (ص): أرمی الصید وأجده من الغد فیه سهمی؟ قال (ص): «إذا وجدت فیه سهمک وعلمت أنه قتله ولم تر فیه أثر سبع فکل».

وهذا الشاعرأبونواس اشتهر فی تربیتها وذکرها فی أشعاره وسمی دیوانه من بعده (الطردیات) وله:

أنعت کلباً أهله من کده قد سعدت جدودهم بجده

(۱) الصید لغةً:

من الفعل صاد الطیر والوحش ونحوهما صیداً: أمسکه بالمصیدة؛ صاده: قنصه.

اصطاد: أمسک ومنه اصطاد الطیر إذا أمسکه بالمصیدة؛ والمصید هو الطیر، والمصید والمصیدة: آلة الصید والجمع مصاید؛ والرجل صائد وصیاد.

والصید یطلق علی الاصطیاد فیکون مصدراً؛ ویطلق علی المصید فیکون اسماً، أی ما یصاد، والجمع صیود.

۱- أنظر فی کل هذا: مروج الذهب للمسعودی؛ القرطبی فی تفسیره الجامع لأحکام القرآن؛ حلیة الأولیاء، لأبی نعیم ۴، ۷، ۸ عدی بن حاتم؛ وکتاب الصید عند العرب، للدکتور عبد الرحمن الباشا، بتصرف.

ص: ۱۴۲

القنص: من قنص الصید یقنصه قنصاً واقتنصه وتقنصه: اصطاده، فهو قانص وقنیص وقناص، قنص الصید وقنص والقنیص: المصید.

التصقر: التصید بالصقر.

آیات الصید فی القرآن الکریم

وردت کلمة الصید فی القرآن الکریم أربع مرات فی الآیات التالیة من سورة المائدة ۱، ۲، ۴، ۹۴، ۹۵، ۹۶؛ و وردت کلمة فاصطادوا مرةً واحدةً فی الآیة الثانیة من السورة نفسها؛ فیما تضمنت الآیة الرابعة وسائل الصید وما یتوفر فیها، وأحکام شرعیة لحلیة ما یصاد، وهذا یعنی أن الصید کل ما جاء فیه هو فی سورة المائدة فقط.

سورة المائدة:

الآیة الأولی: یأَیُّهَا لَّذِینَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِلْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَکُمْ بَهِیمَةُ لأَنْعَامِ إِلَّا مَا یُتْلَی عَلَیْکُمْ غَیْرَ مُحِلِّی لصَّیْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ للَّهَ یَحْکُمُ مَا یُرِیدُ.

الآیة الثانیة: یَا أَیُّهَا لَّذِینَ آمَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ للَّهِ وَلَا لشَّهْرَ لْحَرَامَ وَلَا لْهَدْیَ وَلَا لْقَلائِدَ وَلا آمِّینَ لْبَیْتَ لْحَرَامَ یَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَصْطَادُواْ وَلَا یَجْرِمَنَّکُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أن صَدُّوکُمْ عَنِ لْمَسْجِدِ لْحَرَامِ أن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَی لْبِرِّ وَلتَّقْوَی وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَی لإِثْمِ وَلْعُدْوَانِ وَتَّقُواْ للَّهَ إِنَّ للَّهَ شَدِیدُ لْعِقَابِ.

ص: ۱۴۳

الآيـة الرابعـة: يَسْأَلُونَـكَ مَـاذَآ أُحِـلَّ لَهُمْ قُـلْ أُحِـلَّ لَكُمُ لطَّيِّبَـاتُ وَمَـا عَلَّمْتُمْ مِّنَ لْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ للَّهُ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَذْكُرُواْ سْمَ للَّهِ عَلَيْهِ وَتَّقُواْ للَّهَ إِنَّ للَّهَ سَرِيعُ لْحِسَابِ.

الآيۀ الرابعۀ والتسعون: يَأَيُّهَا لَّذِينَ آمَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ للَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ لصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ للَّهُ مَن يَخَافُهُ بِلْغَيْبِ فَمَنِ عْتَدَى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ.

الآيـۀ الخامسـۀ والتسـعون: يَأَيُّهَـا لَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ لصَّيْـدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ لنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَـدْلٍ مِّنْكُمْ هَـدْياً بَالِغَ لْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أو عَدْلُ ذلِكَ صِـيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أمْرِهِ عَفَا للَّهُ عَمَّا سَـلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ للَّهُ مِنْهُ وَللَّهُ عَزِيزٌ ذُو نْتِقَام.

الآيـۀ السادسـۀ والتسـعون: أُحِـلَّ لَكُمْ صَـيْدُ لْبَحْرِ وَطَعَـامُهُ مَتَاعـاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَـيْدُ لْبَرِّ مَـا دُمْتُمْ حُرُماً وَتَّقُواْ للَّهَ لَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ.

نبـدأ أولًا بالآيۀ ۴ من المائـدۀ؛ لأنهـا تتحـدث عن وسائل عمليـۀ الصـيد وما يجب توفره فيها، وما يترتب على هـذه العمليـۀ من شـروط ليكون ما ينتج عنها طيباً حلالًا..

فی سـبب النزول ذكروا عن سعيد بن جبير وأيضـاً عن أبی حمزۀ الثمـالی والحكم بن ظهيرۀ: أنهـا نزلت فی عـدی بن حاتم وزيـد بن مهلـل الطـائيين وهو زيـد الخيـل الـذی سـماه رسول الله (ص) زيـد الخير؛ قالا: يا رسول‌الله (ص) إنا قوم نصـيد بالكلاب والبزاۀ، وإنّ الكلاب تأخذ البقر والحمر والظباء والضب، فمنه ما ندرک ذكاته، ومنه ما تقتله، فلا ندرک

ص: ۱۴۴

ذکاته، وقد حرم الله المیتة، فماذا یحل لنا منها؟ فنزلت الآیة: الطیبات: الذبائح وما علمتم من الجوارح یعنی: وصید ما علمتم من الجوارح، وهی الکواسب من الکلاب وسباع الطیر.

وهناک سبب آخر وتفصیل له ذکروه عن أبی رافع .. وأن رسول‌الله (ص) لما نزلت هذه الآیة أذن فی اقتناء الکلاب التی ینتفع بها، ونهی عن إمساک ما لا نفع فیه منها .. بعد أن سألوه: ماذا یحل لنا من هذه الأمة ..؟. (۱)

وهذا یدل علی الدور الذی یحتاجونه من هذا الحیوان وصعوبة الاستغناء عنه فی مشروع الصید الذی یحتل مکانةً فی حیاتهم ومعیشتهم ..

جاء علماء الحیوان، وفسروا الجوارح بقولهم وهذه خلاصته:

إنّ کلمة الجارح تطلق علی کل ما یطیر کالبازی، والشاهین، والصقر، وغیرها، وکلمة الضاری تطلق علی کل ما یسیر، کالفهد والأسد وغیرها لم تفرق بین طائر یطیر أو وحش یسیر.. فجاء الإنسان بهدایة ربانیة ولحاجة جسدیة، وبفطرة إنسانیة .. هدته لمعرفة بعض أسرار هذه المخلوقات، لیتقن فن التعامل معها.. یأمرها فتطیع وینهاها فتستجیب..، فسبحان الله فی علاه!.، لقد حباه من العقل ما مکنه من التغلب علی أقوی الحیوانات وتأنیس وحشها، وتضریة سباعها..، وتسلیط بعضها علی بعض .. فضرب الضعیف بالقوی..، واصطاد الغبی بالذکی.. وجنی ثمرات ذلک کله لنفسه ولبنی جلدته!.

۱- أسباب النزول للواحدی؛ تفسیر القرطبی بإیجاز بسیط.

ص: ۱۴۵

وفی اللغة: الجوارح جمع جارحة، والهاء للمبالغة، سمیت بذلک؛ لأنها تجرح الصید غالباً أو لأنها تکسب، والجرح: الکسب ومنه: ویعلم ما جرحتم بالنهار. (۱) والجوارح تعنی الکواسب من سباع البهائم والطیر، کالکلب والعقاب؛ ولأنها تکسب أربابها الطعام بصیدها سمیت جوارح، یقال: جرح فلان أهله خیر إذا کسبهم خیراً، وفلان جارحة أهله أی کاسبهم، ولا جارحة لفلانة أی لا کاسب لها.

مکلبین: یعنی مؤدبین ومضرین أی معودیها علی الضراوة؛ والمکلب اسم مفعول من کلب، أی: المضری بالصید من هذه الجوارح، والمروض منها علی الافتراس؛ لأن الترویض أکثر ما یکون للکلب، فاشتق من لفظه، لشیوع الغلبة علیه. (۲)

مع بعض المفسرین:

عدیدة هی الأسئلة التی کان المسلمون یوجهونها لرسول الله (ص) وهی دلیل تحرجهم وتوقیهم مما کان یعمل به فی الجاهلیة، وحرصاً منهم علی معرفة ما إذا کان للشریعة رأی فیه، وأنها ترتضیه وتقره .. حتی یکونوا علی یقین من حلیة أی شیء یریدون أن یقربوه، وحتی لا یقعوا فی مخالفة أمر

۱- سورة الأنعام: ۶۰.

۲- الدر المصون، للسمین الحلبی؛ مجمع البیان، للطبرسی؛ إعراب القرآن الکریم، محیی‌الدین الدرویش، الآیة.

ص: ۱۴۶

شرعی، وبالتالی علیهم أن ینسجموا مع منهج السماء وأحکامها فی حلالها وحرامها، وأن یکونوا علی معرفة بها ووعی لأهدافها وحکمها.

ومنها هذا السؤال الوارد فی الآیة الکریمة بعد ما عرفوا آیات التحریم فی الآیات الثلاث قبلها:

یسألونک ماذا أحل لهم؟ وجاءهم الجواب علی لسان رسول الله (ص) بأمر من الله تعالی له؛ لیحل لهم أمرین کما توفرت علیهما الآیة المذکورة:

الأمر الأول: قل أحل لکم الطیبات یقول سید قطب فی تفسیره فی ظلال القرآن: وهو جواب یستحق التأمل.. إنه یلقی فی حسهم هذه الحقیقة: إنهم لم یحرموا طیباً، ولم یمنعوا عن طیب، وإن کل الطیبات لهم حلال، فلم یحرم علیهم إلّا الخبائث.. والواقع أنّ کل ما حرمه الله هو ما تستقذره الفطرة السلیمة من الناحیة الحسیة؛ کالمیتة والدم ولحم الخنزیر، أو ینفر منه القلب المؤمن کالذی أهل لغیر الله به أو ما ذبح علی النصب، أو کان الاستقسام فیه کالأزلام وهو نوع من المیسر..

الشیخ الطبرسی فی مجمع البیان: لمّا قدّم سبحانه ذکر المحرمات عَقَّبه بذکر ما أحل فقال: یسألونک یا محمد ماذا أحل لهم معناه أیّ شیء أحل لهم أی یستخبرک المؤمنون ما الذی أحل لهم من المطاعم والمآکل وقیل: من الصید والذبائح قل یا محمد أحل لکم الطیبات منها، وهی الحلال الذی أذن لکم ربکم فی أکله من المأکولات والذبائح والصید عن أبی علی الجبائی وأبی مسلم؛ وقیل: مما لم یرد بتحریمه کتاب ولا سنة وهذا أولی لما

ص: ۱۴۷

ورد أنّ الأشياء كلها على الإطلاق والإباحة حتى يرد الشرع بالتحريم؛ وقال البلخى الطيبات ما يستلذ..

ابن كثير فى تفسير القرآن الكريم: لما ذكر تعالى ما حرمه فى الآية المتقدمة من الخبائث الضارة لمتناولها، إما فى بدنه، أو فى دينه، أو فيهما، واستثنى ما استثناه فى حالة الضرورة؛ كما قال تعالى: وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ. (۱) قال: يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أحِلَّ لَهُمْ قُلْ أحِلَّ لَكُمُ لطَّيِّبَاتُ؛ كما فى سورة الأعراف فى صفة محمد (ص) أنه: وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ. (۲) عن سعيد بن جبير، عن عدى بن حاتم وزيد بن مهلهل الطائيين، سألا رسول الله (ص) فقالا: يا رسول الله، قد حرم الله الميتة، فماذا يحل لنا منها؟ فنزلت: يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أحِلَّ لَهُمْ قُلْ أحِلَّ لَكُمُ لطَّيِّبَاتُ قال سعيد: يعنى الذبائح الحلال الطيبة لهم؛ وقال مقاتل: الطيبات ما أحل لهم من كل شيء أن يصيبوه، وهو الحلال من الرزق..

القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن: الطيبات: الحلال، وكل حرام فليس بطيب، وقيل: ما التذه آكله وشاربه، ولم يكن عليه فيه ضرر فى الدنيا ولا فى الآخرة، وقيل: الطيبات الذبائح؛ لأنها طابت بالتذكية.

السيد العلامة فى الميزان فى تفسير القرآن: يَسْأَلُونَكَ مَاذَآ أحِلَّ لَهُمْ قُلْ أحِلَّ لَكُمُ لطَّيِّبَاتُ؛ سؤال مطلق، أجيب عنه بجواب مطلق فيه إعطاء الضابط الكلى الذى يميز الحلال من الحرام، وهو أن يكون ما يقصد التصرف

۱- سورة الأنعام: ۱۱۹.

۲- سورة الأعراف: ۱۵۷.

ص: ۱۴۸

فیه بما یعهد فی مثله من التصرفات أمراً طیباً، وإطلاق الطیب أیضاً من غیر تقییده بشیء یوجب أن یکون المعتبر فی تشخیص طیبه استطابة الأفهام المتعارفة ذلک فما یستطاب عند الأفهام العادیة فهو طیب، وجمیع ما هو طیب حلال؛ وإنما نزلنا الحلیة والطیب علی المتعارف المعهود لمکان أنّ الإطلاق لا یشمل غیره علی ما بین فی فن الأصول.

الأمر الثانی: وَمَا عَلَّمْتُمْ مِّنَ لْجَوَارِحِ مُکَلِّبِینَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَکُمُ للَّهُ فَکُلُواْ مِمَّآ أَمْسَکْنَ عَلَیْکُمْ وَذْکُرُواْ سْمَ للَّهِ عَلَیْهِ ...

وهذا هو الطعام الآخر الذی أحلته السماء، ولکن بشروط؛ ولأننا بصدد الحدیث عن حرمة الصید للمحرم، نذکر بعض أقوالهم موجزة:

سید قطب: ویضیف إلی الطیبات- وهی عامة- نوعاً منها یدل علی طیبته تخصیصه بالذکر بعد التعمیم، وهو ما تمسکه الجوارح المعلمة المدربة علی الصید کالصقر والبازی، ومثلها کلاب الصید، أو الفهود والأسود، مما علمه أصحابه کیف یکلب الفریسة أی یکلبها ویصطادها.

یقول الشیخ السیوری فی کنز العرفان:

۱- أنه لا یباح أکل صید غیر المعلم.

۲- إباحة تعلیم الجوارح کلها والصید بها.

۳- أنه لا بد فی إباحة الصید من العقر والجرح لمدلول «الجوارح».

الطبرسی فی مجمع البیان:

وقیل: الجوارح هی الکلاب فقط عن ابن عمر والضحاک والسدی وهو المروی عن أئمتنا (هم) فإنهم قالوا هی الکلاب المعلَّمة خاصة أحلَّه الله

ص: ۱۴۹

إذا أدركه صاحبه وقد قتله لقوله: فكلوا ممّا أمسكن عليكم وروى على بن إبراهيم فى تفسيره بإسناده عن أبى بكر الحضرمى عن أبى عبد الله (ع) قال: سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال: «لاتأكل إلّا ما ذكيت إلّا الكلاب»؛ فقلت: فإن قتله؟ قال: «كُلْ فإنّ الله يقول: وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ لْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ للَّهُ فَكُلُواْ مِمَّآ أمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَذْكُرُواْ سْمَ للَّهِ عَلَيْهِ؛ ثم قال (ع): كل شیء من السباع تمسك الصيد على نفسها إلّا الكلاب المعلَّمة فإنها تمسك على صاحبها؛ وقال: إذا أرسلت الكلب المعلَّم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو أن تقول: بسم الله والله أكبر».

ويؤيّد هذا المذهب ما يأتى بعد من قوله: مكلّبين أى أصحاب الصيد بالكلاب؛ وقيل: أصحاب التعليم للكلاب.

يقول ابن كثير: أحل لكم الذبائح التى ذكر اسم الله عليها، والطيبات من الرزق، وأحل لكم ما اصطدتموه بالجوارح، وهى الكلاب والفهود والصقور وأشباهها؛ كما هو مذهب الجمهور من الصحابة والتابعين والأئمة، وممن قال ذلك على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله: وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ لْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ وهن الكلاب المعلمة، والبازى، وكل طير يعلم للصيد.

وروى عن الحسن أنه قال: الباز والصقر من الجوارح، وروى عن على بن الحسين مثله،.. والمحكى عن الجمهور أنّ الصيد بالطيور كالصيد بالكلاب؛ لأنها تكلب الصيد بمخالبها كما تكلبه الكلاب، فلا فرق، وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم؛ واختاره ابن جرير، واحتج فى ذلك بما رواه

ص: ۱۵۰

عن عدى بن حاتم، قال: سألت رسول الله (ص) عن صيد البازى، فقال: «ما أمسك عليك فكل».

العلامة فى الميزان: والجوارح: جمع جارحة وهى التى تكسب الصيد من الطير كالصقر والبازى والكلاب والفهود، وقوله: مُكَلِّبِينَ حال، وأصل التكليب تعليم الكلاب وتربيتها للصيد أو اتخاذ الصيد وإرسالها لذلك، وتقييد الجملة بالتكليب لايخلو من دلالة على كون الحكم مختصاً بكلب الصيد لايعدوه إلى غيره من الجوارح.

وقوله: مما أمسكن عليكم التقييد بالظرف للدلالة على أن الحل محدود بصورة صيدها لصاحبها لا لنفسها.

وقوله: واذكروا اسم الله عليه تتميم لشرائط الحل وأن يكون الصيد مع كونه مصطاداً بالجوارح ومن طريق التكليب والإمساك على الصائد مذكوراً عليه اسم الله تعالى.

ثم يقول: ومحصل المعنى أنّ الجوارح المعلمة بالتكليب- أى كلاب الصيد- إذا كانت معلمة واصطادت لكم شيئاً من الوحش الذى يحل أكله بالتذكية وقد سميتم عليه، فكلوا منه إذا قتلته دون أن تصلوا إليه فذلك تذكية له، وأما دون القتل فالتذكية بالذبح والإهلال به لله يغنى عن هذا الحكم.

يقول الشيخ الطبرسى: تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ للَّهُ أى لأن تؤدّبونهن حتى يصرن معلَّمة مما ألهمكم الله بعقولكم حتى ميّزتم بين المعلم وغير المعلم، وفى هذا دلالة أيضاً على أنّ صيد الكلب غير المعلم حرام إذا لم

ص: ۱۵۱

یدرک ذکاته؛ وقیل: معناه کما علمکم الله عن السدی وهذا بعید لأنَّ مِنْ بمعنی الکاف لا یعرف فی اللغة ولا تقارب بینهما لأنّ الکاف للتشبیه ومِنْ للتبعیض؛ واختلف فی صفة الکلب المعلم فقیل: هو أن یستشلی (تهیج) لطلب الصید إذا أرسله صاحبه ویمسک علیه إذا أخذه ویستجیب له إذا دعاه ولا یفرّ منه فإذا توالی منه ذلک کان معلماً؛ عن سعد بن أبی وقاص وسلمان وابن عمر.

وقیل: هو ما ذکرناه کله وإن لا یأکل منه عن ابن عباس وعدی بن حاتم وعطاء والشعبی وطاوس والسدی، فروی عدی بن حاتم عن النبی (ص) أنه قال: «إذا أکل الکلب من الصید فلا تأکل منه فإنما أمسک علی نفسه»؛ وقیل: حدّ التعلیم أن یفعل ذلک ثلاث مرات عن أبی یوسف ومحمد؛ وقیل: لا حدّ لتعلیم الکلاب وإذا فعل ما قلناه فهو معلَّم، ویدل علی ذلک ما رواه أصحابنا أنه إذا أخذ کلب المجوسی فعلمه فی الحال فاصطاد به جاز أکل ما یقتله، وقد تقدم أنّ عند أهل البیت لا یحل أکل صید غیر الکلب إلا ما أدرک ذکاته ومن أجاز ذلک قال: إن تعلم البازی هو أن یرجع إلی صاحبه، وتعلم کل جارحة من البهائم والطیر هو أن یشلی علی الصید فیستشلی ویأخذ الصید ویدعوه صاحبه فیجیب، فإذا کان کذلک کان معلماً أکل منه أو لم یأکل، روی ذلک عن سلمان وسعد بن أبی وقاص وابن عمر، وقال آخرون: ما أکل منه فلا یؤکل؛ رووه عن علی (ع) والشعبی وعکرمة.

ص: ۱۵۲

وعن التعليم يقول السيورى فى كنز العرفان: تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ للَّهُ فيه دلالة على كون التعليم أمراً مستفاداً كيفيته من الشارع، فقال أصحابنا نقلًا عن أئمتهم (هم) أنّ التعليم يحصل بأمور:

الأول: الاسترسال إذا أغرى.

الثاني: الانزجار إذا زجر.

الثالث: أن لا يعتاد أكل صيده.

الرابع: الاستمرار على ذلك غالباً ولا اعتبار بالندرة نفياً أو إثباتاً.

وعن قوله تعالى: فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ يقول الطبرسى: أى مما أمسك الجوارح عليكم، وهذا يقوى قول من قال: ما أكل منه الكلب لا يجوز أكله؛ لأنه أمسك على نفسه، ومن شرط فى استباحة ما يقتله الكلب أن يكون صاحبه قد سمى عند إرساله، فإذا لم يسمّ لم يجز له أكله إلّا إذا أدرك ذكاته، وأدنى ما يدرك به ذكاته أن يجده تتحرك عينه أو أذنه أو ذنبه، فتذكيته حينئذٍ بفرى الحلقوم والأوداج.

وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ أى قبل الإرسال عن ابن عباس والحسن والسدى؛ وقيل: معناه اذكروا اسم الله على ذبح ما تذبحونه، وهذا صريح فى وجوب التسمية والقول الأول أصح.

وَاتَّقُوا اللهَ أى اجتنبوا ما نهاكم الله عنه فلا تقربوه واحذروا معاصيه التى منها أكل صيد الكلب غير المعلم أو ما لم يمسكه عليكم أو ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد والذبائح.

ص: ۱۵۳

یَأَیُّهَا لَّذِینَ آمَنُواْ لَیَبْلُوَنَّکُمُ للَّهُ بِشَیْءٍ مِّنَ لصَّیْدِ تَنَالُهُ أَیْدِیکُمْ وَرِمَاحُکُمْ لِیَعْلَمَ للَّهُ مَن یَخَافُهُ بِلْغَیْبِ فَمَنِ عْتَدَی بَعْدَ ذلِکَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِیمٌ.

الروایات:

عن معاویهٔ بن عمار، عن أبی عبدالله (ع) قال فی قوله عزّوجّل: لَیَبْلُوَنَّکُمُ للَّهُ بِشَیْءٍ مِّنَ لصَّیْدِ تَنَالُهُ أَیْدِیکُمْ وَرِمَاحُکُمْ قال: «حشرت لرسول الله (ص) فی عمرهٔ الحدیبیهٔ الوحوش حتی نالتها أیدیهم ورماحهم.

عن أحمد بن محمد رفعه فی قول الله تبارک وتعالی: تَنَالُهُ أَیْدِیکُمْ وَرِمَاحُکُمْ قال: ما تناله الأیدی البیض والفراخ، وما تناله الرماح فهو ما لا تصل إلیه الأیدی.

عن الحلبی قال سألت أبا عبدالله (ع) عن قول الله عزّ وجّل: لَیَبْلُوَنَّکُمُ للَّهُ بِشَیْءٍ مِّنَ لصَّیْدِ تَنَالُهُ أَیْدِیکُمْ وَرِمَاحُکُمْ قال: «حشر علیهم الصید (من کل وجه) حتی دنا منهم لیبلونهم به.

وفی الدر المنثور أخرج ابن أبی حاتم عن مقاتل بن حیان قال: أنزلت هذه الآیهٔ فی عمرهٔ الحدیبیهٔ، فکانت الوحوش والطیر والصید تغشاهم فی رحالهم، لم یروا مثله قط فیما خلا؛ فنهاهم الله عن قتله وهم محرمون، لیعلم الله من یخافه بالغیب. (۱) مع المفسرین: الشیخ الطبرسی فی مجمع البیان، والشیخ السیوری فی کنز العرفان فی فقه القرآن: خص المؤمنین بالذکر وإن کان الکفار أیضاً

۱- وسائل الشیعهٔ، أبواب تروک الإحرم؛ المیزان، للسید الطباطبائی ۱۴۴ ۱۴۳: ۷، بحث روائی.

ص: ۱۵۴

مخاطبين بالشرائع؛ لأنهم القابلون لذلك المنتفعون به؛ وقيل: لأنه لم يعتد بالكفار.

البلاء هو الامتحان والاختبار، ولام القسم والنون المشددة للتأكيد، وقوله: بشيء من الصيد يفيد التحقير ليكون تلقينه للمخاطبين عوناً لهم على انتهائهم إلى ما سيواجههم من النهى فى الآية الآتية..

لَيَبْلُوَنَّكُمُ للَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ لصَّيْدِ أى ليختبرن الله طاعتكم عن معصيتكم؛ واللام للابتداء أو التأكيد.

بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ أى بتحريم شيء من الصيد وإنما بعّض لأنه عنى صيد البر. فيما السيورى يذهب إلى أنّ بشيء من من جنس الصيد ومن هنا للبيان؛ ومعنى الاختبار من الله أن يأمر وينهى ليظهر المعلوم ويصح الجزاء؛ قال أصحاب المعانى: امتحن الله أمة محمد (ص) بصيد البر كما امتحن أمة موسى (ع) بصيد البحر، وكما ابتلى قوم طالوت بالنهر.

القرطبى فى أحكام القرآن ذكر مسائل فى الآية:

الأولى: قوله تعالى لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ أى ليختبرنكم، والابتلاء الاختبار؛ وكان الصيد أحد معايش العرب العاربة، وشائعاً عند الجميع منهم، مستعملًا جداً، فابتلاهم الله فيه مع الإحرام والحرم، كما ابتلى بنى إسرائيل فى ألّا يعتدوا فى السبت. وقيل: إنها نزلت عام الحديبية؛ أحرم بعض الناس مع النبى (ص) ولم يحرم بعضهم، فكان إذا عرض صيدٌ اختلف فيه أحوالهم وأفعالهم، وشتبهت أحكامه عليهم، فأنزل الله هذه الآية بياناً لأحكام أحوالهم وأفعالهم، ومحظورات حجّهم وعُمرتهم.

ص: ۱۵۵

ثم يقول فی المسألة الثانیة: اختلف العلماء من المخاطب بهذه الآیة علی قولین:

أحدهما: أنهم المُحِلّون، قاله مالک.

الثانی: أنهم المحرمون قاله ابن عباس، وتعلق بقوله تعالی: لَيَبْلُوَنَّكُمُ فإنّ تکلیف الامتناع الذی یتحقق به الابتلاء هو مع الإحرام. قال ابن العربی: وهذا لا یلزم؛ فإن التکلیف یتحقق فی المُحِّل بما شُرط له من أمور الصید، وما شُرع له من وصفه فی کیفیة الاصطیاد.

ویخلص القرطبی إلی أنّ الصحیح أنّ الخطاب فی الآیة لجمیع الناس مُحلّهم ومُحرمهم؛ لقوله تعالی: لَيَبْلُوَنَّكُمُ للَّهُ أی لیکلفنکم، والتکلیف کله ابتلاء وإن تفاضل فی الکثرة والقلة، وتباین فی الضّعف والشدّة.

وفی المسألة الثالثة: قوله تعالی: بِشَيْءٍ مِّنَ لصَّيْدِ یرید ببعض الصید، فمِن للتبعیض، وهو صید البر خاصّة، ولم یعمّ الصید کله لأن للبحر صیداً، قاله الطَّبَریّ وغیره. وأراد بالصید المصید، لقوله: تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ.

القرطبی فی المسألة الرابعة: قوله تعالی: تَنَالُهُ أيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ بیان لحکم صغار الصید وکباره؛ وقرأ بن وثّاب والنَّخَعیّ: «یناله» بالیاء منقوطة من تحت. قال مجاهد: الأیدی تنال الفِراخ والبیض وما لا یستطیع أن یفِر، والرّماح تنال کبار الصید؛ وقال بن وهب قال مالک: وکل شیء یناله الإنسان بیده أو برمحه أو بشیء من سلاحه فقتله فهو صید، کما قال الله تعالی.

ص: ۱۵۶

و فی المسألـة الخامسة: خص الله تعالی الأیدی بالذکر، لأنها عُظْم التصرف فی الاصـطیاد، وفیها تدخل الجوارح والحِبالات، وما عمل بالید من فِخاخ وشِباک؛ وخص الرّماح بالذکر لأنها عُظْم ما یجرح به الصید، وفیها یدخل السهم ونحوه.

وفی المسألـة السابعـة: قال القرطبی: حتـج بعض الناس علی أن الصـید للآخـذ لا للمثیر بهذه الآیة، لأنّ المثیر لم تنل یده ولا رمحه بعدُ شیئاً، وهو قول أبی حنیفة.

وأما الطبرسی فیقول: تَنَالُهُ أیْدِیکُمْ وَرِمَاحُکُمْ قیل فیه أقوال:

أحدها: أنّ المراد به تحریم صید البر والذی تناله الأیدی من فراخ الطیر وصغار الوحش والبیض، والذی تناله الرماح الکبار من الصید، عن ابن عباس ومجاهد وهو المروی عن أبی عبد الله (ع).

وثانیها: أنّ المراد به صـید الحرم ینال بالأیـدی والرماح، لأنه یأنس بالناس ولا ینفر منهم فیه، کما ینفر فی الحل، وذلک آیة من آیات الله عن أبی علی الجبائی.

وثالثها: أنّ المراد به ما قرب من الصید وما بعد.

السیـوری فی کنز العرفان: أن ذلک الصـید المبتلی به لیس بعیداً عنهم ولا ما یصـعب علیهم تناوله، فإنّ ذلک مما لا فائدة فی الاختبار به، کما لایبتلی الله العنین بالحسـناء، والأخشم بلذیذ الرائحة (والأخشم: من لایکاد یشم شیئاً لسدة فی خیاشیمه) بل بما هو قریب منهم تناله أیدیهم ورماحهم؛ وکان قد کثر الصید عندهم بالحدیبیة وهو محرمون، بحیث یدخل فی أمتعتهم

ص: ۱۵۷

حتی کانوا یتمکنون من قبضه بأیـدیهم، وقیل: المراد بما تناله أیدیهم الصـغار ورماحهم الکبار عن الصادق (ع) وابن عباس؛ وقیل: بل الأول صید الحرم لأنسه بهم، والثانی صید الحل لنفوره عنهم.

الطبرسـی فی لِیَعْلَمَ اللهُ مَنْ یَخـافُهُ بِالْغَیْبِ معناه لیعاملکم معاملـهٔ من یطلب منکم أن یعلم مظاهرهٔ فی العـدل، ووجه آخر لیظهر المعلوم وهو أن یخاف بظهر الغیب، فینتهی عن صـید الحرم طاعهٔ له تعالی؛ وقیل: لیعلم وجود خوف من یخافه بالوجود، لأنه لم یزل عالماً بأنه سیخـاف فإذا وجـد الخوف علم ذلک موجوداً وهما معلوم واحـد وإن اختلفت العبارهٔ عنه فالحـدوث إنما یـدخل علی الخوف لا علی العلم وقوله: بِالْغَیْبِ معناه فی حال الخلوهٔ والتفرد.

وقیل: معناه أن یخشـی عقابه إذا تواری بحیث لا یقع علیه الحسّ عن الحسن؛ وقال أبو القاسم البلخی: إنّ الله تعالی وإن کان عالماً بما یفعلونه فیما لم یزل فإنه لا یجوز أن یُثیبهم ولا یعاقبهم علی ما یعلمه منهم وإنما یسـتحقُّون ذلک إذا علمه واقعاً منهم علی الوجه الذی کَلَّفهم علیه فإذاً لا بد من التکلیف والابتلاء.

والسـیوری یقول: إنّ ذلک الابتلاء لیس عبثاً، لصـیانهٔ أفعال الحکیم عن ذلک، کما دل علیه الـدلیل، بل لغایـهٔ مقصودهٔ وهی تمیز من یخافه بالغیب أی فی القیامهٔ ممن لا یخافه؛ وقیل: الغیب حال انفراد المکلف عن الناس...

فَمَنِ اعْتَدَی بَعْدَ ذَلِکَ أی من تجاوز حدَّ الله وخالف أمره بالصید فی الحرم وفی حال الإحرام.

ص: ۱۵۸

فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ أی مؤلم، وفی تنکیر العذاب وإبهامه تشدید لحال الصید..

الصید والحرم والإحرام

لقد سجلت للصید أحکام کثیرة وکفارات مفصلة فی موسم الحج والعمرة للإنسان المحرم، حینما ینوی الإحرام فی حج أو عمرة .. وأیضاً وهو یعیش أو یتواجد فی مناطق الحرم فی مکة المکرمة أو فی المدینة المنورة، فلا فرق بین الحرمین المبارکین الحرم المکی والحرم المدنی.

فالقرطبی فی تفسیره فی المسألة الثامنة فی الآیة ۹۵ من المائدة بعد أن یذکر: رجل حرام وامرأة حرام وجمع ذلک حرم .. یقول: وهذا اللفظ یتناول الزمان والمکان وحالة الإحرام بالاشتراک لا بالعموم؛ یقال: رجل حرام إذا دخل فی الأشهر الحُرم أو فی الحَرَم، أو تلبّس بالإحرام؛ إلّا أنّ تحریم الزمان خرج بالإجماع عن أن یکون معتبراً، وبقی تحریم المکان وحالة الإحرام علی أصل التکلیف؛ قاله ابن العربی.

وفی التاسعة، القرطبی وبعد أن یقول التالی: حَرَم المکان حَرَمان؛ حَرمُ المدینة وحَرَمُ مکة؛ یذکر أقوالًا مختلفة وأدلتها، نکتفی بشیء منها وبعض الروایات؛ یقول: وزاد الشافعی الطائف، فلا یجوز عنده قطع شجرِه، ولا صید صیده، ومن فعل ذلک فلا جزاء علیه- فأما حَرَم المدینة فلا یجوز فیه الاصطیاد لأحد ولا قطع الشجر کحرم مکة، فإن فعل أثم ولا جزاء علیه عند مالک والشافعی وأصحابهما؛ وقال بن أبی ذئب: علیه الجزاء .. وقال أبو حنیفة: صید المدینة غیر محرّم، وکذلک قطع شجرها ..

ص: ۱۵۹

عن سعید بن المسیّب "أنّ أبا هُریرة قال: لو رأیت الظّباء تَرتع بالمدینة ما ذَعَرتُها، قال رسول الله (ص): «ما بین لابتیها حرام "»فقول أبی هریرة ما ذَعَرتُها دلیل علی أنه لا یجوز ترویع الصید فی حرم المدینة، کما لا یجوز ترویعه فی حرم مکة ..

قوله (ص): «اللَّهُمَّ إنَّ إبراهیم حرّم مکة، وإنی أحرم المدینة مثل ما حَرم به مکة ومثله معه لا یُخْتلی خَلَاها ولا یُعضَد شجرُها ولا یُنفَّر صیدُها».

قوله (ص): «المدینة حَرَمٌ ما بین عَیْر إلی ثَوْر فمن أحدث فیها حَدَثاً أو آوی مُحدثاً، فعلیه لعنة الله والملائکة والناس أجمعین، لا یقبل الله منه یوم القیامة صَرْفاً ولا عَدْلًا». (۱) حدود الحرمین المبارکین:

ولضرورة معرفة الحرمین المکی والنبوی اللذین یحرم فیهما الصید، ویتم فیهما تفعیل أحکامه علی المحرم والمحل، نذکر التالی:

حدود الحرم المکی نصبت علیه أعلام من جهاته، وهی أحجار مرتفعة قدر متر منصوبة من جانبی کل طریق کما جاء فی کتاب «فقه السنة»، فمن جهة الشمال مکان یدعی: «التنعیم» وبینه وبین مکة ۶ کیلومترات؛ ومن الجنوب «أضاة» بینها وبین مکة ۱۲ کیلومتراً؛ ومن جهة الشرق "الجعرانة "وبینها وبین مکة ۱۶ کیلومتراً؛ ومن جهة الغرب

۱- الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، الآیة.

ص: ۱۶۰

"الشمیسی "وبینه وبین مکۀ ۱۵ کیلومتراً؛ فیما قال العلامـۀ الحلی الإمامی فی التذکرة: إنّ حد الحرم المکی برید فی برید- البرید ۱۲ میلًا-.

ویـذکر الزحیلی: أنّ حد الحرم من طریق المدینۀ علی ثلاثۀ أمیال من مکۀ عند بیوت بنی نفار أو السـقیا، وتعرف الآن بمساجد عائشۀ، ومن طریق الیمن علی سـبعۀ أمیال طرف أضاة لبن فی ثنیۀ لبن، ومن طریق العراق علی سـبعۀ أمیال من مکۀ علی ثنیۀ جبل بالمنقطع أو المقطع، ومن الطائف وبطن نمرة علی طریق عرفات علی سبعۀ أمیال من مکۀ عند طرف عرفۀ، ومن طریق الجعرانۀ علی تسعۀ أمیال فی شعب آل عبـد الله بن خالد، ومن جدة علی عشـرة أمیال من مکۀ عند منقطع الأعشاش، ومن بطن عرنۀ أحد عشـر میلًا؛ وأما وج- بفتح الواو وتشدید الجیم- وهو واد بالطائف فهو من الحل ..

أما حـد الحرم النبوی فقـدره اثنا عشـر میلًا یمتـد من عیر إلی ثور، وعیر جبل عنـد المیقات، وثور جبل عند أحد؛ والعلامۀ فی التذکرة قال: وحـدّ حرم المدینـۀ من عایر إلی عیر؛ وجاء فی کتاب المغنی "أنّ أهل العلم بالمدینۀ لا یعرفون ثوراً ولا عیراً "وغیر بعید أن تتغیر الأسماء بمرور الزمن.

الزحیلی یذکر أنّ حرم المدینۀ جنوباً وشمالًا برید فی برید ما بین عائر إلی ثور لخبر الصحیحین ":المدینۀ حرم من عیر إلی ثور "وعائر أو عیر اسم جبل مشهور بقرب المدینۀ، وثور: جبل صغیر وراء أحد من جهۀ الشمال، وجبل أحد من الحرم؛ وشرقاً وغرباً برید فی برید أیضاً ما بین لابتیها، لقوله (ص): «حرم رسول الله (ص) ما بین لابتی المدینۀ» فمساحتها

ص: ۱۶۱

برید فی برید من جهاتها الأربع، وسورها الآن هو طرفها فی زمنه (ص). وجعل النبی (ص) حول المدینة اثنی عشر میلًا. (۱) یأَیُّهَا لَّذِینَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِلْعُقُودِ أحِلَّتْ لَکُمْ بَهِیمَةُ لأنْعَامِ إلَّا مَا یُتْلَی عَلَیْکُمْ غَیْرَ مُحِلِّی لصَّیْدِ وَأنْتُمْ حُرُمٌ إنَّ للَّهَ یَحْکُمُ مَا یُرِیدُ. (۲)

المشهور فی القراءة: حرم بضم الحاء والراء، وفی الشواذ قرأ الحسن وإبراهیم ویحیی بن وَثّاب «حُرْم» بسکون الرّاء، وهی لغة تمیمیّة یقولون فی رُسُل: رُسْل وفی کُتُب کُتْب ونحوه.

وقد أجملت سورة المائدة فی أول آیة منها حرمة الصید علی المحرم.

وفی هذه الآیة أقوال ثلاثة، کما یبینها الشیخ الطبرسی فی مجمع البیان حیث یقول: فی غَیْرَ مُحِلِّی الصَّیْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ من قال: إنه حال من أوفوا فمعناه أوفوا بالعقود غیر محلی الصید وأنتم محرمون أی فی حال الإحرام؛ ومن قال: إنه حال من أحلت لکم فمعناه أحلت لکم بهیمة الأنعام أی الوحشیة من الظباء والبقر والحمر غیر مستحلین اصطیادها فی حال الإحرام.

ومن قال: إنه حال من یتلی علیکم فمعناه أحلت لکم بهیمة الأنعام کلها إلا ما یتلی علیکم من الصید فی آخر السورة غیر مستحلین اصطیادها فی حال إحرامکم ..

۱- الفقه علی المذاهب الخمسة، لمغنیة ۲۲۵- ۲۲۷؛ الفقه الإسلامی وأدلته، للدکتور وهبة الزحیلی ۳۱۸: ۳- ۳۱۹، ۳۳۳.

۲- سورة المائدة: ۱.

ص: ۱۶۲

القرطبی فی تفسیره: فی المسألـة الخامسة- قوله تعالی: غَیْرَ مُحِلِّی لصَّیْدِ أی ما کان صـیداً فهو حلال فی الإحلال دون الإحرام، وما لم یکن صیداً فهو حلال فی الحالین؛ وختلف النّحاة فی إلَّا مَا یُتْلَی هل هو ستثناء أو لا؟ فقال البصریون: هو ستثناء من بَهِیمَهُٔ الانْعَام و غَیْرَ مُحِلّی الصَّیْدِ استـثناء آخر أیضاً منه؛ فالاستثناءان جمیعاً من قوله: بَهِیمَهُٔ الانْعَامِ وهی المستثنی منها؛ التقدیر: إلّا ما یُتْلَی علیکم إلَّا الصّیدَ وأنتم مُحرِمون؛ بخلاف قوله: إنَّآ ارْسِـلْنَآ إلَی قَوْمٍ مُّجْرِمِینَ. (۱) إلَّا آلَ لُوطٍ. (۲) وقیل: هو مسـتثنی مما یلیه من الاستثناء؛ فیصیر بمنزلهٔ قوله عزّوجلّ: إنَّآ ارْسِـلْنَآ إلَی قَوْمٍ مُّجْرِمِینَ. ولو کان کـذلک لوجب إباحهٔ الصّـِید فی الإحرام؛ لأنه مسـتثنی من المحظور، إذ کان قوله تعالی: إلَّا مَا یُتْلَی عَلَیْکُمْ مسـتثنیً من الإباحـهٔ، وهذا وجه ساقط، فإذاً معناه أحِلّت لکم بهیمهٔ الأنعام غیر محلِّی الصـید وأنتم حُرُمٌ إلَّا ما یُتلی علیکم سِوَی الصّـِید؛ ویجوز أن یکون معنـاه أیضـاً أوفوا بـالعقود غیر مُحلِّی الصّـِید وأُحلّت لکم بهیمـهٔ الأنعام إلّا ما یُتلی علیکم. وأجـاز الفرّاء أن یکون إلَّا مَـا یُتْلَی عَلَیْکُمْ فی موضع رفع علی البـدل علی أن یعطف بـإلَّا کمـا یعطف بلا؛ ولا یجیزه البصـریون إلّا فی النکرهٔ أو ما قاربها من أسماء الأجناس نحو جاء القوم إلّا زیدٌ ..

قوله تعالی: وَأَنْتُمْ حُرُمٌ یعنی الإحرام بالحجّ والعُمرهٔ؛ یقال: رجل حرام وقوم حُرُم إذا أحرموا بالحجّ؛ ومنه قول الشاعر:

۱- سورهٔ الحجر: ۵۸.

۲- سورهٔ الحجر: ۵۹.

ص: ۱۶۳

فقلتُ لها فِیئی إلیکِ فإنّنِی حرامٌ وإنّی بعد ذاک لَبِیب

أی مُلَبٍّ؛ وسُمی ذلک إحراماً لما یحرّمه من دخل فیه علی نفسه من النساء والطِّیب وغیرهما.

ویقال: أحرم دخل فی الحرم؛ فیحرُم صَیْد الحرم أیضاً.

الطبرسی فی مجمع البیان: إنَّ اللَه یحَکُمُ مَا یُرِیدُ معناه أن الله یقضی فی خلقه مایشاء من تحلیل مایرید، وتحریم مایرید تحریمه، وإیجاب مایرید إیجابه، وغیر ذلک من أحکامه وقضایاه، فافعلوا ما أمرکم به وانتهوا عما نهاکم عنه فی قوله: أحِلَّتْ لَکُمْ بهَیِمَةُ الأنْعَامِ دلالة علی تحلیل أکلها وذبحها والانتفاع بها.

احِلَّ لَکُمْ صَیْدُ لْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّکُمْ وَلِلسَّیَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَیْکُمْ صَیْدُ لْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَتَّقُواْ للَّهَ لَّذِی إِلَیْهِ تُحْشَرُونَ. (۱)

بینت الآیة أنّ هناک نوعین من الصید، فجعلت منه الآیات حلالًا وحراماً.

الأول: حلیة صید البحر، صید حیوانه حلال، وأکله حلال للمحرم ولغیره فهما فیه سواء؛ أما وَطَعَامُهُ فهو شیء آخر؛ ولهذا جاءت الآیة

۱- سورة المائدة: ۹۶.

ص: ۱۶۴

بطعام البحر معطوفاً علی صید البحر؛ والشیء لا ـ یعطف علی نفسه، فإذا ما جاء العطف فهو عطف شیء علی شیء آخر، فالعطف یقتضی المغایرة.

فی مجمع البیان للشیخ الطبرسی:

ثُمَّ بیَّن سبحانه ما یحلُّ من الصید وما لا یحلُّ فقال: احِلَّ لَکُمْ صَیْدُ الْبَحْرِ أی أبیح لکم صید الماء، وإنما أحلَّ بهذه الآیة الطری من صید البحر، لأنّ العتیق لاخلاف فی کونه حلالًا عن ابن عباس وزید بن ثابت وسعید بن جبیر وسعید بن المسیب وقتادة ومجاهد.

وَطَعَامُهُ یعنی طعام البحر ثم اختلف فیه فقیل: یرید به ما قذفه البحر میتاً عن ابن عباس وابن عمر وقتادة؛ وقیل: یرید به المملوح عن ابن عباس فی روایة أخری وسعید بن المسیب وسعید بن جبیر ومجاهد وهو الذی یلیق بمذهبنا؛ وإنما سمی طعاماً؛ لأنه یدّخر لیطعم فصار کالمقتات من الأغذیة، فیکون المراد بصید البحر الطری وبطعامه المملوح، لأن عندنا لایجوز أکل ما یقذف به البحر میتاً للمحرم وغیر المحرم.

وقیل: المراد بطعامه ما ینبت بمائه من الزرع والثمار.

وابن عاشور (ت ۱۳۹۳ ه-) فی تفسیره التحریر والتنویر یقول: وقوله: وَطَعَامُهُ عطف علی صید البحر والضمیر عائد إلی الْبَحْرِ، أی وطعام البحر، وعطفه اقتضی مغایرته للصید؛ والمعنی: والتقاط طعامه أو وإمساکُ طعامه؛ وقد اختلف فی المراد من «طعامه»؛ والذی روی عن جلّة الصحابة: أنّ طعام البحر هو ما طفا علیه من میتة إذا لم یکن سبب موته إمساک الصائد له؛ ومن العلماء من نقل عنه فی تفسیر طعام البحر غیر هذا

ص: ۱۶۵

ممّا لا يلائم سياق الآية، وهؤلاء هم الذين حرّموا أكل ما يخرجه البحر ميّتاً، ويردّ قولهم ما ثبت عن رسول الله (ص) أنّه قال فى البحر: «هو الطهور ماؤه الحِلّ ميتته» وحديث جابر فى الحوت المسمّى العنبر، حين وجدوه ميّتاً، وهم فى غزوة، وأكلوا منه، وأخبروا رسول الله، وأكل منه رسول الله (ص).

يقول القرطبى فى تفسيره: وَلِلسَّيَّارَةِ فيه قولان: أحدهما للمقيم والمسافر كما جاء فى حديث أبى عُبيدة أنهم أكلوه وهم مسافرون، وأكل النبى (ص)، فبيّن الله تعالى أنه حلال لمن أقام، كما أحله لمن سافر؛ الثانى: أن السيَّارة هم الذين يَركبونه، كما جاء فى حديث مالك والنَّسائيّ ":أنّ رجلًا سأل النبى (ص) فقال: إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال النبيّ (ص): «هو الطّهُورُ ماؤُه الحِلُّ ميْتتهُ» ..

وابن عاشور يقول: استئناف بيانى نشأ عن قوله:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ فإنّه اقتضى تحريم قتل الصيد على المحرم وجعل جزاء فعله هدى مثل ما قَتَل من النعم، فكان السامع بحيث يسأل عن صيد البحر، لأنّ أخذه لا يسمّى فى العرف قتلًا، وليس لما يصاد منه مثل من النعم، ولكنّه قد يشكّ لعلّ الله أراد القتل بمعنى التسبّب فى الموت، وأراد بالمثل من النعم المقاربَ فى الحجم والمقدار، فبيّن الله للناس حكم صيد البحر وأبقاه على الإباحة، لأنّ صيد البحر ليس من حيوان الحرم، إذ ليس فى شىء من أرض الحرم بحر .. إنّ أصل الحكمة فى حرمة الصيد على المحرم هى حفظ حرمة الكعبة وحرمها،

ص: ۱۶۶

وأما عن معنی أحلّ لکم صید البحر فیقول ابن عاشور: إبقاء حلّیّته لأنّه حلال من قبل الإحرام، والخطاب فی لکم للذین آمنوا، والصید هنا بمعنی المصید لیجری اللفظ علی سنن واحدة فی مواقعه فی هذه الآیات، أی أحلّ لکم قتله، أی إمساکه من البحر.

ثم یواصل کلامه: والبحر یشمل الأنهار والأودیة، لأنّ جمیعها یسمّی بحراً فی لسان العرب، وقد قال الله تعالی: وَمَا یَسْتَوِی الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ.. ولیس العذب إلّا الأنهار کدجلة والفرات، وصید البحر: کلّ دوابّ الماء التی تصاد فیه، فیکون إخراجها منه سبب موتها قریباً أو بعیداً، فأمّا ما یعیش فی البرّ وفی الماء فلیس من صید البحر کالضفدع والسلحفاة، ولا خلاف فی هذا، أمّا الخلاف فیما یؤکل من صید البحر وما لا یؤکل منه، عند من یری أنّ منه ما لا یؤکل، فلیس هذا موضع ذکره، لأنّ الآیة لیست بمثبتة لتحلیل أکل صید البحر ولکنّها منبهة علی عدم تحریمه فی حال الإحرام.

محمد متولی الشعراوی فی تفسیره: لقد أباح لنا سبحانه الاستمتاع بکل صید البحر، وجاء هذا التحلیل هنا بأسلوب اللف والنشر، کما فی وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَکُمُ لَّیْلَ وَلنَّهَارَ لِتَسْکُنُواْ فِیهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ. (۱) وکلنا یعرف أنّ اللیل للراحة والنهار للتعب، واللیل یسلم للنهار، والنهار یسلم للیل، إذن فالمسکن یعود إلی اللیل، وابتغاء الفضل بالکد یعود

۱- سورة القصص: ۷۳.

ص: ۱۶۷

إلى النهار، إذن فقد جاء الحكم على طريق اللف والنشر المرتب، وهو ما فعله الشاعر فقال:

قلبى وجفنى واللسان وخالقى راضٍ وباكٍ شاكرٌ وغفورُ

فالقلب راض، والجفن باكٍ، واللسان شاكر، والخالق غفور، ولكن الشاعر جاء بالأحكام منشورة بعد أن لف الكلمات الأربع الأولى، أى أنه طوى المحكوم عليه مع بعضه ثم نشر الأحكام من بعد ذلك .. وبعد أن حلل الحق صيد البحر جاء بتحريم صيد البر إن كنا حُرُماً، وذلك تأكيد جديد على تحريم صيد البر فى أثناء الإحرام أو الوجود فى الحرم.

الطبرسى فى تفسيره: مَتَاعَاً لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ، قيل معناه: منفعة للمقيم والمسافر عن قتادة وابن عباس والحسن؛ وقيل: لأهل الأمصار وأهل القرى، وقيل: للمحل والمحرم.

الثانى: حرمة صيد البر وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ لْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً ما اتفقوا عليه وما اختلفوا فيه نجده فيما يلى من أقوالهم: اتفقت كلمتهم على حرمة صيد البر للمحرم، أى عملية الصيد نفسها، أو المصاد نفسه.

واختلفت كلمتهم فى الصيد بمعنى الشيء المصاد إن صاده غير المحرم.

واختلفوا فى المعنى بالصيد فقيل هو كل الوحش أكل أو لم يؤكل وهو قول أهل العراق واستدلوا بقول على (ع):

صَيْدُ المُلُوكِ أرانِبٌ وَثَعالِبٌ فَإذا رَكِبْت فَصِيدِىَ الأَبْطالُ

ويقول الطبرسى: وهو مذهب أصحابنا رضى الله عنهم.

ص: ۱۶۸

وقيـل: هو كل ما يؤكل لحمه وهو قول الشافعى. واختلفوا أيضاً فى النهى الوارد هل هو خاص بالحيوان الـذى يصاد عادةً، أم أنّ النهى شامل لكل حيوان ولو لم يكن مما يصاد، ومما لا يطلق عليه لفظ الصيد.

واختلف قولهم فى مَا دُمْتُمْ حُرُمَاً فى هـذه الآيهٔ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ كما فى الآيهٔ ۹۴: وأنتم محرمون أى فى حالـهٔ إحرام، أو أنتم فى الحرم، أو كلاهما.

يقول الشيخ الطبرسى: أى وأنتم مُحرمون بحج أو عمرهٔ.

وقيل: معناه وأنتم فى الحرم.

قال الجبائى: الآيهٔ تدل على تحريم قتل الصيد على الوجهين معاً؛ وهو الصحيح الذى يذهب إليه الشيخ الطبرسى.

وقال على ابن عيسى: تدل على الإحرام بالحج أو العمرهٔ فقط.

اتفقوا على حرمهٔ الاصطياد على المحرم، واختلفت أقوالهم فيما صاده الغير؛ الطبرسى فى تفسيره: هذا يقتضى تحريم الاصطياد فى حال الإحرام، أما بالنسبهٔ إلى ما صاده الغير فيذكر قولين، وتحريم أكل ما صاده الغير؛ وبه قال على وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير.

وقيل: إنّ لحم الصيد لا يحرم على المحرم إذا صاده غيره عن عمر وعثمان والحسن.

والصـيد قد يكون عبارهٔ عن الاصـطياد فيكون مصدراً، ويكون عبارهٔ عن المصيد فيكون اسماً، ويجب حمل الآيهٔ على الأمرين وتحريم الجميع.

وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ هـذا أمر منه تعالى بأن يتقى جميع معاصـيه ويجتنب جميع محارمه، لأنّ إليه الرجوع فى الوقت الـذى لا يملك أحد

ص: ۱۶۹

فیه الضرَّ والنفع سواه وهو یوم القیامهٔ، فیجازی المحسن بإحسانه والمسیء بإساءته.

ابن عاشور فی قوله: وَحُرِّمَ عَلَیْکُمْ صَیْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً زیادهٔ تأکید لتحریم الصید، تصریحاً بمفهوم قوله: لَا تَقْتُلُوا الصَّیْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ولبیان أنّ مدّهٔ التحریم مدّهٔ کونهم حُرُماً، أی محرمین أو مارّین بحرم مکهٔ، وهذا إیماء لتقلیل مدّهٔ التحریم استئناساً بتخفیف، وإیماء إلی نعمهٔ اقتصار تحریمه علی تلک المدّهٔ، ولو شاء الله لحرّمه أبداً.

وفی الموطأ: أنّ عائشهٔ قالت لعروهٔ بن الزبیر: یا بن أختی إنّما هی عشر لیال (أی مدّهٔ الإحرام) فإن تخلَّجَ فی نفسک شیء فدعه، تعنی أکل لحم الصید.

ثم یقول: والتحریم متعلّق بقتله لقوله قبله: لَا تَقْتُلُوا الصَّیْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ فلا یقتضی قوله: وَحُرِّمَ عَلَیْکُمْ صَیْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً تحریم أکل صید البرّ علی المحرم إذا اشتراه من بائع أو ناوله رجل حلال إیّاه، لأنّه قد علم أنّ التحریم متعلّق بمباشرهٔ المحرم قتله فی حال الإصابهٔ، وقد أکل رسول‌الله (ص) من الحمار الذی صاده أبو قتادهٔ، کما فی حدیث الموطأ عن زید بن أسلم، وأمر رسول الله (ص) بقسمهٔ الحمار الذی صاده زید البهزی بین الرفاق وهم محرمون؛ وعلی ذلک مضی عمل الصحابهٔ، وهو قول؛ وأمّا ما صید لأجل المحرم فقد ثبت أنّ النبی (ص) ردّ علی الصعب بن جَثّامهٔ حماراً وحشیاً أهداه إلیه وقال له: «إنّا لم نردّه علیک إلّا أنّا حُرُم» وقد اختلف الفقهاء فی محل هذا الامتناع، فقیل: یحرم أن یأکله مَن صِیدَ لأجله لا غیر،

ص: ۱۷۰

وهذا قول عثمان بن عفّان، وجماعة من فقهاء المدینة، وروایة عن مالک، وهو الأظهر، لأنّ الظاهر أنّ الضمیر فی قول النبی (ص) عائد إلی النبی (ص) وحده، لقوله: «لم نردّه»، وإنّما ردّه هو وحده؛ وقیل: یحرم علی المحرم أکل ما صید لمحرم غیره، وهو قول بعض أهل المدینة، وهو المشهور عن مالک؛ وکأنّ مستندهم فی ذلک أنّه الاحتیاط وقیل: لایأکل المحرم صیداً صِید فی مدّة إحرامه ویأکل ما صِید قبل ذلک، ونسب إلی علی بن أبی طالب (ع) وابن عباس، وقیل: یجوز للمحرم أکل الصید مطلقاً، وإنّما حرّم الله قتل الصید، وهو قول أبی حنیفة.

والحاصل أنّ التنزّه عن أکل الصید الذی صید لأجل المحرم ثابت فی السنّة بحدیث الصعب بن جَثّامة، وهو محتمل کما علمت، والأصل فی الامتناع الحرمة، لأنّه لو أراد التنزّه لقال: أمّا أنا فلا آکله، کما قال فی حدیث خالد بن الولید فی الضبّ.

یَا أَیُّهَا لَّذِینَ آمَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ لصَّیْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنکُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَ آءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ لنَّعَم یَحْکُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْکُمْ هَدْیاً بَالِغَ لْکَعْبَةِ أَوْ کَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاکِینَ أو عَدْلُ ذلِکَ صِیَاماً لِّیَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا للَّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَیَنْتَقِمُ للَّهُ مِنْهُ وَللَّهُ عَزِیزٌ ذُو نْتِقَامٍ. (۱)

۱- سورة المائدة: ۹۵.

ص: ۱۷۱

الروایات:

عن أبی عبدالله (ع) فی حدیث قال: «إذا فرض علی نفسه الحج ثم أتم بالتلبیة، فقد حرم علیه الصید وغیره، ووجب علیه فی فعله ما یجب علی المحرم».

عن أبی عبدالله (ع) قال: «واجتنب فی إحرامک صید البر کله، ولا تأکل مما صاده غیرک، ولا تشر إلیه فیصیده».

عن أبی عبدالله (ع) قال: «لاتأکل شیئاً من الصید (وأنت محرم) وإن صاده حلال».

فی الدرالمنثور: أخرج ابن أبی حاتم عن أبی جعفر محمد بن علی: أن رجلًا سأل علیاً (ع) عن الهدی مما هو؟..، قال: فسمعته یقول: يَا أَيُّهَا لَّذِينَ آمَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ لصَّيْـدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إلی قوله: هَدْياً بَالِغَ لْكَعْبَةِ؟ قال: نعم. فقال: إن قتلت ظبیاً فما علی؟ قال: شاة؛ قال علی: هَدْياً بَالِغَ لْكَعْبَةِ؟ قال الرجل: نعم، فقال علی: «قد سماه الله بالغ الکعبة کما تسمع».

والروایات فی هذا الخصوص کثیرة عن أئمة أهل البیت (هم)، وهی کذلک عند أهل السنة. (۱) الخطاب فی هذه الآیة کما فی غیره من الآیات حین یبین تشریعاً للجماعة المؤمنة، وهی الأقرب لتطبیق ما تحکم به السماء، بل التی یجب

۱- الوسائل، للعاملی؛ الدر المنثور؛ التاج الجامع للأصول، للشیخ منصور علی ناصف وغیرها.

ص: ۱۷۲

عليها الالتزام بمقتضى عهدها وبيعتها لله ورسوله، وإلا فإنها ينتظرها عقاب شديد إن تولت عن التطبيق وأعرضت عن الطاعة.

هـذا التشـريع "حرمة الصـيد "حدد بمكان محدد ووقت قليل وفى حالة كون المكلف عقد نية الإحرام، حيث جعله الفقهاء من تروك الإحرام ومحظوراته التى بعض مواردها فى الحرمـة وبعضـها فى الكراهـة، وأنها مشتركـة بين الرجل والمرأة أو مختصـة بأحـدهما دون الآخر؛ وقد ثبتت بالكتاب والسنة وبالإجماع فى الجملة.

فى هـذه الآيـة جاء النهى عن قتل الصـيد، ولكنه نهى مقيـد بفترة زمنية وهى فترة الإحرام، أو بمكان محدود وهو الحرم، أى أنّ هناك مـدّة للتحريم مـدّة كونهم حُرُماً، أى محرمين أو مارّين بحرم مكـة، وهـذا إيماء لتقليل مدّة التحريم استئناساً بتخفيف، وإيماء إلى نعمة اقتصار تحريمه على تلك المدّة، ولو شاء الله لحرّمه أبداً.

وقع بينهم كلام مختلف ومفصل حول ما يترتب على المحرم عنـد مخالفته النهى الوارد فى الآيـة المـذكورة عمـداً، وهذا يعنى إن قتله خطأً فلا إثم عليه ولا كفارة، كما يظهر للقارئ .. غير أن لهم كلاماً آخر يأتينا، وقبل ذلك فقد

ص: ۱۷۳

تعتبر لازمة وهى:

۱- المثلية فى الحيوان المقتول أى ما يماثله من النعم التى هى الإبل، والبقر، والغنم، فمثل بقر الوحش البقر، ومثل الغزال الغنم.

۲- الحكمان العدلان من المسلمين.

ص: ۱۷۴

۳- أن يكون الجزاء هدياً يهدى إلى الحرم، يطعمه فقراء الحرم ومساكينه.

۴- إن لم يوجد للحيوان مثل، يتصدق بقيمته طعاماً، وإن تعذر وجود الطعام فليصم عن كل مد يوماً.

وَأَنتُمْ حُرُمٌ فيها أقوال: أنتم مُحرمون بحج أو عمرة؛ وأنتم في الحرم.

إنّ الصيد يحرم في كل إحرام بحج كان أو بعمرة واجباً كان الحج والعمرة أو نفلًا لعموم اللفظ؛ هذا ما ذكره السيوري في كنز العرفان.

وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً ذكر الشيخ الطبرسي أقوالًا: قيل: هو أن يتعمد القتل ناسياً لإحرامه عن الحسن ومجاهد وابن زيد وابن جريج وإبراهيم قالوا: فأما إذا تعمد القتل ذاكراً لإحرامه فلا جزاء فيه، لأنه أعظم من أن يكون له كفارة.

وقيل: هو أن يتعمد القتل وإن كان ذاكراً لإحرامه عن ابن عباس وعطاء والزهري وهو قول أكثر الفقهاء.

فأما إذا قتل الصيد خطأ أو ناسياً فهو كالمتعمد في وجوب الجزاء عليه وهو مذهب عامة أهل التفسير والعلم وهو المروي عن أئمتنا (هم).

قال الزهري: نزل القرآن بالعمد وجرت السنة في الخطأ.

العلامة في الميزان: قوله: مُتَعَمِّداً حال من قوله: مَنْ قَتَلَهُ وظاهر التعمد ما يقابل الخطأ الذي هو القتل من غير أن يريد بفعله ذلك

ص: ۱۷۵

کمن یرمی إلی هدف فأصاب صیداً، ولازمه وجوب الکفارة إذا کان قاصداً لقتل الصید سواء کان علی ذکر من إحرامه أو ناسیاً أو ساهیاً.

وأما القرطبی فله کلام أکثر تفصیلًا حیث یقول فی المسألة العاشرة فی الآیة: ذکر الله سبحانه المتعمد ولم یذکر المخطیء والناسی، والمتعمد هنا هو القاصد للشیء مع العلم بالإحرام، والمخطیء هو الذی یقصد شیئاً فیصیب صیداً، والناسی هو الذی یتعمد الصید ولا یذکر إحرامه.

وختلف العلماء فی ذلک علی خمسة أقوال:

الأول- ما أسنده الدَّارَقُطْنی عن ابن عباس قال: إنما التکفیر فی العمد، وإنما غلّظوا فی الخطأ لئلا یعودوا.

الثانی- أن قوله: مُتَعَمِّداً خرج علی الغالب، فألحق به النادر کأصول الشریعة.

الثالث- أنه لا ـ شیء علی المخطیء والناسی، وبه قال الطَّبَری وأحمد بن حنبل فی إحدی روایتیه، وروی عن ابن عباس وسعید بن جُبَیر، وبه قال طاوس وأبو ثور، وهو قول داود، وتعلق أحمد بأن قال: لما خص الله سبحانه المتعمد بالذکر، دل علی أن غیره بخلافه، وزاد بأن قال: الأصل براءة الذمة فمن دعی شغلها فعلیه الدلیل.

الرابع- أنه یحکم علیه فی العمد والخطأ والنسیان؛ قاله بن عباس، وروی عن عمر وطاوس والحسن وإبراهیم والزُّهری، وبه قال مالک والشافعی وأبو حنیفة وأصحابهم؛ قال الزُّهری: وجب الجزاء فی العمد

ص: ۱۷۶

بالقرآن، وفی الخطأ والنسیان بالسُّنهٔ؛ قال ابن العربی: إن كان یرید بالسنهٔ الآثار التی وردت عن ابن عباس وعمر فنعما هی، وما أحسنها أسوهٔ.

الخامس- أن یقتله متعمـداً لقتله ناسـیاً لإحرامه- وهو قول مجاهـد- لقوله تعالی بعد ذلک: وَمَنْ عَادَ فَیَنْتَقِمُ للَّهُ مِنْهُ قال: ولو كان ذاكراً لإحرامه لوجبت علیه العقوبـهٔ لأوّل مرهٔ، قال: فـدل علی أنه أراد متعمـداً لقتله ناسـیاً لإحرامه؛ قال مجاهـد: فإن كان ذاكراً لإحرامه فقد حـل ولاـ حـج له لارتكابه محظور إحرامه، فبطل علیه كما لو تكلم فی الصـلاهٔ، أو أحـدث فیها؛ قال: ومن أخطأ فـذلک الـذی یجزئه، ودلیلنا علی مجاهـد أن الله سـبحانه أوجب الجزاء ولـم یـذكر الفساد، ولا فرق بین أن یكون ذاكراً للإحرام أو ناسـیاً له، ولا یصح عتبار الحـج بالصـلاهٔ فإنهما مختلفان، وقـد رُوِی عنه أنه لاحكم علیه فی قتله متعمداً، ویسـتغفر الله، وحَجُّهُ تام، وبه قال ابن زید؛ ودلیلنا علی داود "أن النبی (ص) سئل عن الضَّبع فقال: «هی صید» وجعل فیها إذا أصابها المحرم كبشاً، ولم یقل عمداً ولا خطأ.

وقـال بن بكیر من علمائنـا- والكلاـم للقرطبی-: قوله سـبحانه: مُتَعَمِّداً لم یرد به التجـاوز عن الخطأ، وإنما أراد لیبین أنه لیس كبن آدم الذی لم یجعل فی قتله متعمداً كفارهٔ، وأنّ الصید فیه كفّارهٔ، ولم یرد به إسقاط الجزاء فی قتل الخطأ؛ والله أعلم.

سید قطب فی تفسیره ":إن النهی ینصب علی قتل المحرم للصید عمداً فأما من قتله خطأً فلا إثم علیه ولا كفارهٔ "وتتمهٔ كلامه یأتینا فی الجزاء.

ص: ۱۷۷

هـذا فی التعمـد .. أما فی الجزاء الـذی حـددته الآیـة بالتالی: فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ لنَّعَمِ یَحْکُمُ بِهِ ذَوَا عَـدْلٍ مِّنْکُمْ هَـدْیاً بَالِغَ لْکَعْبَةِ أَوْ کَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاکِینَ أو عَدْلُ ذلِکَ صِیَاماً

فیه أربع قراءات، وکل قراءة تقتضی شیئاً:

فَجَزَآءٌ مِّثْلُ برفع جزاء وتنوینه، و «مِثْلُ» علی الصفة وهی قراءة أهل الکوفة ویعقوب. والخبر مضمر، التقدیر فعلیه جزاء مماثل واجب أو لازم من النَّعم؛ وهذه القراءة تقتضی أن یکون المِثل هو الجزاء بعینه.

و جَزَا ءُ بالرفع غیرمنون، و مِثْلِ بالإضافـة، أی فعلیه جزاءُ مثل ما قتل، وهی قراءة الباقین؛ و مِثْل مقحمة کقولک أنا أکرم مثلک، وأنت تقصد أنا أکرمک؛ ونظیر هذا قوله تعالی:

أوَ مَن کَانَ مَیْتاً فَأَحْیَیْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً یَمْشِی بِهِ فِی لنَّاسِ کَمَن مَّثَلُهُ فِی لظُّلُمَاتِ. (۱) التقدیر کمن هو فی الظلمات، وقوله: لَیْسَ کَمِثْلِهِ شَیْءٌ. (۲)

أی لیس کهو شـیء، وهـذه القراءة تقتضـی أن یکون الجزاء غیر المثـل، إذ الشـیء لا یضاف إلی نفسه؛ وقال أبو علی: إنما یجب علیه جزاء المقتول، لاـ جزاء مثـل المقتول، والإضافـة توجب جزاء المثـل لاـ جزاء المقتول، وهو قول الشافعی علی ما یأتی؛ وقوله: مِنَ النَّعَمِ صفـة لجزاء علی القراءتین جمیعاً، وقرأ الحسن مِنَ النَّعْمِ بإسـکان العین وهی لغة؛ وقرأ عبد الرحمنفَجَزَآءٌ بالرفع والتنوین مِثْل بالنصب؛ قال أبوالفتح: مِثْل

۱- سورة الأنعام: ۱۲۲.

۲- سورة الشوری: ۱۱.

ص: ۱۷۸

منصوبـهٔ بنفس الجزاء،؛ والمعنى أن يجزى مثـل مـا قتـل؛ وقرأ ابن مسـعود والأـعمش فَجَزَآؤه مِّثْلُ بإظهار «هاء» ويحتمل أن يعود على الصـيد أو على الصائـد القاتـل؛ وقرأ أهل المدينـهٔ وابن عامر أو كفارهُٔ بغير تنوين طعامِ على الإضافـهٔ، والباقون أو كفارهٔ بالتنوين طعامُ بالرفع ولم يختلفوا في مساكين أنه جمع وروى في الشواذ قراءهٔ أبي عبـد الرحمن فجزاءٌ منون مثل منصوب وقراءهٔ محمد بن علي الباقر (ع) وجعفر بن محمـد الصادق (ع) يحكم به ذو عدل منكم. (۱) قـال الزجاج: ويجوز أن يكون المعنى فجزاء ذلك الفعل مثل ما قتل، فيكون جزاء مبتدأً ومثل خبره؛ واختلف في هذه المماثلهٔ أهي في القيمهٔ أو الخلقهٔ؟ فالذي عليه معظم أهل العلم أنّ المماثلهٔ معتبرهٔ في الخلقـهٔ، ففي النعامـهٔ بدنـهٔ، وفي حمـار الوحش وشـبهه بقرهٔ، وفي الظبي والأـرنب شاهٔ وهو المروي عن أهل البيت (هم) وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي وعطاء والضحاك وغيرهم.

وقال إبراهيم النخعي: يُقَوَّم الصـيد قيمـهٔ عادلـهٔ ثم يشترى بثمنه مثله من النعم فاعتبر المماثلـهٔ بالقيمـهٔ؛ والصـحيح عنـد الطبرسـي القول الأول. (۲) سـيد قطب: فإذا كان القتل عمداً، فكفارته أن يذبح بهيمةً من الأنعام من مسـتوى الصـيد الذي قتله؛ فالغزالهٔ مثلًا تجزئ فبها نعجهٔ أو عنزهٔ،

۱- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي؛ مجمع البيان، للطبرسي.

۲- مجمع البيان للشيخ الطبرسي.

ص: ۱۷۹

والأیل- بتشدید الیاء وکسرها- تجزئ فیه بقرة، والنعامة والزرافة وما إلیها تجزئ فیها بدنة، والإرنب والقط وأمثالهما یجزئ فیه إرنب، وما لا مقابل له من البهیمة یجزئ عنه ما یوازی قیمته.

مغنیة فی الفقه علی المذاهب الخمسة: یَحْکُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْکُمْ أن یحکم اثنان من أهل العدالة بأن هذا الحیوان الأهلی هو مثل الحیوان الوحشی المقتول؛ هَدْیاً بَالِغَ الْکَعْبَةِ أنه إذا أتی مکة ذبح المماثل الأهلی وتصدق به.

العلامة فی المیزان: وقوله: فجزاء مثل ما قتل من النعم یحکم به ذوا عدل منکم هدیاً بالغ الکعبة لظاهر معناه: فعلیه جزاء ذلک الجزاء مثل ما قتل من الصید، وذلک الجزاء من النعم المماثلة لما قتله یحکم به أی بذلک الجزاء المماثل رجلان منکم ذوا عدل فی الدین حال کون الجزاء المذکور هدیاً یهدی به بالغ الکعبة ینحر أو یذبح فی الحرم بمکة أو بمنی علی ما یبینه السنة النبویة.

فقوله: جزاء بالرفع مبتدأ لخبر محذوف یدل علیه الکلام، وقوله: مثل ما قتل وقوله: من النعم وقوله: یحکم به، أوصاف للجزاء، وقوله: هدیاً بالغ الکعبة موصوف وصفة، والهدی حال من الجزاء .. وقد قیل غیر ذلک.

وقوله: أو کفارة طعام مساکین أو عدل ذلک صیاماً خصلتان أخریان من خصال کفارة قتل الصید، وکلمة "أو "لا یدل علی أزید من

ص: ۱۸۰

مطلق التردید، والشارح السنة، غیر أن قوله: أو کفارة حیث سمی طعام المساکین کفارة ثم اعتبر ما یعادل الطعام من الصیام لا یخلو من إشعار بالترتیب بین الخصال.

سید قطب: ویتولی الحکم فی هذه الکفارة اثنان من المسلمین ذوا عدل، فإذا حکما بذبح بهیمة أطلقت هدیاً حتی تبلغ الکعبة، تذبح هناك وتطعم للمساکین، أما إذا لم توجد بهیمة فللحکمین أن یحکما بکفارة طعام مساکین، بما یساوی ثمن البهیمة أو ثمن الصید (خلاف فقهی) فإذا لم یجد صاحب الکفارة صام ما یعادل هذه الکفارة، مقدراً ثمن الصید أو البهیمة، ومجزأ علی عدد المساکین الذین یطعمهم هذا الثمن؛ وصیام یوم مقابل إطعام کل مسکین .. أما کم یبلغ ثمن إطعام مسکین فهو موضع خلاف فقهی ولکنه یتبع الأمکنة والأزمنة والأحوال.

وفی مجمع البیان: وفی هذه الآیة یحکم به ذوا عدل منکم قال ابن عباس: یرید یحکم فی الصید بالجزاء رجلان صالحان منکم أی من أهل ملتکم ودینکم فقیهان عدلان فینظران إلی أشبه الأشیاء به من النعم فیحکمان به هدیاً بالغ الکعبة أی یهدیه هدیاً یبلغ الکعبة؛ وهنا قال ابن عباس: یرید إذا أتی مکة ذبحه وتصدَّق به.

وقال أصحابنا- والقول للطبرسی-: إن کان أصاب الصید وهو محرم بالعمرة ذبح جزاءه أو نحره بمکة قبالة الکعبة، وإن کان محرماً بالحج ذبحه أو نحره بمنی.

أو کفارة طعام مساکین:

ص: ۱۸۱

قيل فى معناه قولان أحدهما: أن يُقوَّم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاماً ويتصدق به عن عطاء وهو الصحيح والآخر: أن يُقوَّم الصيد المقتول حيّاً ثم يجعل طعاماً عن قتادة.

أو عدل ذلك صياماً وفيه أيضاً قولان:

أحدهما: أن يصوم عن كل مدّ يُقوَّم من الطعام يوماً عن عطاء وهو مذهب الشافعى.

والآخر: أن يصوم عن كل مُدّين يوماً وهو المروى عن أئمتنا (هم) وهو مذهب أبى حنيفة.

هل هى مرتبة أو مخيرة؟

واختلفوا فى هذه الكفارات الثلاث فقيل: إنها مرتبة عن ابن عباس والشعبى والسدى قالوا: وإنما دخلت أو لأنه لا يخرج حكمه عن إحدى الثلاث.

وقيل: إنها على التخيير عن ابن عباس فى رواية أخرى وعطاء والحسن وإبراهيم وهو مذهب أبى حنيفة والشافعى وكلا القولين- يقول الطبرسى- رواه أصحابنا.

لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ: أى عقوبة ما فعله فى الآخرة إن لم يتب. وقيل معناه ليذوق وخامة عاقبة أمره وثقله بما يلزمه من الجزاء فإن سأل سائل، فقال: كيف يسمّى الجزاء وبالًا وإنما هى عبادة فإذا كانت عبادة فهى نعمة ومصلحة؟ فالجواب أن الله سبحانه شدَّد عليه التكليف بعد أن عصاه فثقل ذلك عليه كما حَرَّم الشحم على بنى إسرائيل لما اعتدوا فى السبت فثقل

ص: ۱۸۲

ذلـك عليهم وإن كـان مصـلحة لهم: عفـا الله عما سـلف من أمر الجاهليـة عن الحسن؛ وقيل: عفا الله عما سـلف من الدفعـة الأولى فى الإسلام أى قبل التحريم.

وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللهُ مِنْهُ: أى من عاد إلى قتل الصـيد محرماً فالله سـبحانه يكافيه عقوبة بما صـنع واختلف فى لزوم الجزاء بالمعاودة فقيل إنه لا جزاء عليه عن ابن عباس والحسن وهو الظاهر فى روايات أصحابنا، وقيل: إنه يلزمه الجزاء عن عطاء وسعيد بن جبير وإبراهيم وبه قال بعض أصحابنا.

وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ: معناه قادر لا يغلب ذو انتقام ينتقم ممن يتعدى أمره ويرتكب نهيه.

وينص السـياق القرآنى على حكمـة هـذه الكفارة، ففى الكفارة معنى العقوبـة، لأنّ الذنب هنا مخل بحرمة يشدد فيها الإسـلام تشديداً كبيراً، لذلك يعقب عليها بالعفو عما سـلف، والتهديد بانتقام الله ممن لا يكف: عَفَا للَّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ للَّهُ مِنْهُ وَللَّهُ عَزِيزٌ ذُو نْتِقَامٍ.

فـإذا اعتز قاتـل الصـيد بقوته وقـدرته على نيـل هـذا الصـيد الـذى أراد الله له الأمـان فى مثابـة الأمان، فالله هو العزيز القوى القادر على الانتقام!

الصيد فى الفقه:

الصـيد احتل مكانته فى الشـريعة الإسـلامية، وقد أطال فقهاء المذاهب الكلام فى الصيد للمحرم آداباً وأحكاماً وكفارات، وابتدأوا من صيد

ص: ۱۸۳

النعامـة التی تشـبه الناقـة إلی صـید الجرادة، حتی أنهم فرعوا فروعـاً کثیرة وافترضوا صوراً شتی .. یسـتطیع القـارئ العودة لما کتبوه فی مصادره.

ففی جـامع المقاصـد للمحقق الثانی الشـیخ الکرکی (ت ۹۴۰ ه-) فی شـرح القواعـد وهو یعـدد تروک الإـحرام جـاء فی متن القواعد التالی:

"الصـید، وهو الحیوان الممتنع بالأصالـة اصـطیاداً وأکلًا- وإن ذبحه وصاده المحل- وإشارةً ودلالـةً وإغلاقاً وذبحاً، فیکون میتـةً یحرم علی المحل والمحرم، والصلاة فی جلده، والفرخ والبیض کالأصل؛ والجراد صید، وما یبیض ویفرخ فی البر.

ولا یحرم صـید البحر، وهو ما یبیض ویفرخ فیه، ولا الدجاج الحبشی، ولا فرق بین المستأنس والوحشی، ولا یحرم الإنسی بتوحشه، ولا فرق بین المملوک والمباح، ولا بین الجمیع وأبعاضه، ولا یختص تحریمه بالإحرام، بل یحرم فی الحرم أیضاً" ...

وهـذه قراءة مضـغوطة انتقیتها من کتاب: الفقه علی المذاهب الخمسة للشـیخ محمدجواد مغنیة تبین لنا خلاصة آراء هذه المذاهب فی أحکام الصید للمحرم ما اتفقوا علیه وما اختلفوا فیه، وهو ما رأیناه فیما ذکرناه أعلاه من أقوال المفسرین.

یقول الشیخ: اتفقوا قولًا واحداً علی تحریم التعرض لصید البر بالقتل أو الذبح أو الدلالة علیه أو الإشارة إلیه، ولذا یحرم التعرض لبیضه وأفراخه.

ص: ۱۸۴

أما صيد البحر فجائز ولا فدية فيه، لقوله تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. (۱)

وتحريم الصيد فى الحرم يشمل المحل والمحرم على السواء، أما خارج الحرم فيجوز للمحل دون المحرم، ولو ذبح المحرم الصيد يصير ميتة، ويحرم أكله على جميع الناس.

واتفقوا على أن للمحرم أن يقتل الحدأة- نوع من الطير- والغراب والفأرة والعقرب، وزاد جماعة الكلب العقور وكل مؤذ.

ثم يذكر الشيخ أقوال المذاهب مبيناً اتفاق بعضهم واختلاف الآخر:

الشافعية والإمامية: الصيد البرى إن كان له مثل أهلى فى الشكل والصورة، كالبقر الوحشى تخير القاتل بين أن يخرج مثله من النعم، فيذبحه ويتصدق به، وبين أن يقوّم المثل بدراهم يشترى بها طعاما، ثم تصدق بالطعام على المساكين لكل مسكين مدان، أى ۱۶۰۰ غرام على وجه التقريب، وبين أن يصوم عن كل مدين يوماً؛ وبهذا قال المالكية إلا أنهم قالوا: يقوّم نفس الصيد لا مثله؛ وقال الحنفية: يضمن الصيد بالقيمة سواء أكان له مثل أم لم يكن؟ ومتى قومه تخير القاتل بين أن يشترى بالثمن المماثل من النعم ويخرجه، وبين أن يشترى طعاماً و يتصدق به، وبين أن يصوم عن كل مد يوماً (التذكرة وفقه السنة).

۱- سورة المائدة: ۹۶.

ص: ۱۸۵

واتفق الإمامیة والشافعیة علی أنّ الکفارة تسقط عن الجاهل والناسی إلا ـ فی الصید، فإن الکفارة تجب فیه، حتی ولو وقع سهواً، (الجواهر، فقه السنة)؛ انتهی ما ذکره مغنیة.

وفی ختام هذه الفقرة نذکر خلاصة فقهیة نافعة عن کفارة ما یفعله المحرم بشیء محرم علیه، وهی علی ضروب ثلاثة: أحدها: یوجب الکفارة سواء فعله عامداً أو ساهیاً؛ والثانی: یوجبها مع العمد دون النسیان؛ والثالث: فیه الإثم دون الکفارة.

وبما أنّ مقالتنا عن الصید فلا ـ نتعرض إلی الثانی والثالث، لأن الأول یندرج تحته الصید بلاخلاف بین الجمهور من أبی حنیفة والشافعی وأصحابهما وعامة أهل العلم، فمن قتل صیداً له مثل أو ذبحه وکان حراً کامل العقل، محلًا فی الحرم، أو محرماً فی الحل، فعلیه فداؤه بمثله من النعم ...

قال الشیخ فی الخلاف: إذا قتل صیداً، فهو مخیر بین ثلاثة أشیاء، بین أن یخرج مثله من النعم، وبین أن یقوّم مثله دراهم ویشتری به طعاماً ویتصدق به، وبین أن یصوم عن کل مد یوماً، ولا یجوز إخراج القیمة بحال، وإن کان الصید لامثل له فهو مخیر بین شیئین، بین أن یقوم الصید ویشتری بثمنه طعاماً ویتصدق به، وبین أن یصوم عن کل مد یوماً، ولا یجوز إخراج القیمة بحال، وبه قال الشافعی؛ وفی الوجیز: الواجب فی الصید مثله من النعم، أو إطعام بمثل قیمة النعم، أو صیام بقدر الطعام لکل مد یوم.

وقال أبو حنیفة: الصید مضمون بقیمته سواء کان له مثل أو لم‌یکن له مثل، إلا أنه إذا قومه فهو مخیر بین أن یشتری بالقیمة من النعم

ص: ۱۸۶

ويخرجه، وبين أن يشترى طعاماً ويتصدق به، وبين أن يصوم عن كل مد يوماً .. وهو خلاف ظاهر الآية فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل فأوجب مثلًا من النعم، وذلک يبطل قول من قال: الواجب قيمة الصيد. (۱) يَا أَيُّهَا لَّذِينَ آمَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ للَّهِ وَلَا لشَّهْرَ لْحَرَامَ وَلَا لْهَدْىَ وَلَا لْقَلاَئِدَ وَلا آمِّينَ لْبَيْتَ لْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَصْطَادُواْ. (۲)

ما إن ينتهى وقت الإحرام بالكامل، حتى ينتهى الحظر عن الصيد، لكن فى غير البيت الحرام أو منطقة الحرم التى لا يصح صيد فيها أصلًا، وتبقى محظورةً ..

۱- الغنية ۱۶۰- ۱۶۱؛ الخلاف ۳۹۶: ۲ مسألة ۲۵۸، ۳۹۷ مسألة ۲۶۰، ۳۹۹ مسألة ۲۶۱؛ کلها عن جامع الخلاف والوفاق لعلى بن محمد القمى. مع مراجعة الفقه الإسلامى وأدلته، للدکتور وهبة الزحيلى ۲۴۸: ۳- ۲۸۰ تفصيل عن الصيد .. وأن صيد البر من محظورات الإحرام دون صيد البحر، وما يترتب على فعله من جزاء وضوابط.

۲- سورة المائدة: ۲.

ص: ۱۸۷

یقول سید قطب عن البیت الحرام ":إنها منطقـة الأمان یقیمها الله فی بیته الحرام، کما یقیم فترة الأمان فی الأشهر الحرم .. منطقة یأمن فیها الناس والحیوان والطیر والشجر أن ینالها الأذی، وأن یروعها العدوان .. إنه السلام المطلق یرفرف علی هذا البیت، استجابة لدعوة إبراهیم- أبی هـذه الأمـة الکریم- ویرفرف علی الأرض کلها أربعة أشهر کاملة فی العام- فی ظل الإسلام- وهو سلام یتذوق القلب البشری حلاوته وطمأنیته وأمنه، لیحرص علیه- بشروطه- ولیحفظ عقد الله ومیثاقه، ولیحاول أن یطبقه فی الحیاة کلها علی مدار العام، وفی کل مکان" ..

إذن بعد أن وفوا بعقدهم الذی عقدوه مع الله تعالی، وانتهت مدته، لهم أن یمارسوا الصید وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَصْطَادُواْ.

لقد اختلف علماء الأصول فی صیغة الأمر إذا وردت بعد الحظر بین من ذهب إلی الوجوب، ومن ذهب إلی الندب والإباحة، ومن قال بإنه أمر مشترک بین الإباحة والندب والوجوب، فیما توقف غیرهم ..

الشیخ السیوری بعد أن یقرر اختلاف الأصولیین فی الأمر عقیب النهی هل هو للوجوب أو للإباحة؟ یقول: وقد احتج أصحاب القول الثانی بآیة: فَإِذَا قُضِیَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِی الأرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ وَاذْکُرُوا اللهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ. (۱) فإنه أطلق لهم ما حرمه علیهم من المعاملة، والانتشار لیس بواجب اتفاقاً ومنها: وَیَسْأَلُونَکَ عَنِ الْمَحِیضِ .... (۲)

۱- سورة الجمعة: ۱۰.

۲- سورة البقرة: ۲۲۲.

ص: ۱۸۸

وبالآيـة محور كلامنـا: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَصْطَادُواْ جاءت بعـد حظر ونهى حيث أباح لهم ما منعهم منه بسـبب إحرامهم .. فهى رافعـة للحظر ليس إلا، والأمر فَصْطَادُواْ لا يعنى إلا الإباحة لقاعدة "الأمر بعد الحظر للإباحة؛ "وقال السيورى بالحرف الواحد: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَصْطَادُواْ أمر إباحة بعد أن كان الصيد حراماً فى حال الإحرام. (۱)

يقول الشيخ الطبرسـى: إذا حللتم من إحرامكم، فاصـطادوا فيها الصـيد الـذى نهيتهم أن تحلوا فاصـطادوا إن شـئتم حينئذ، لأن السـبب المحرم قد زال عند جميع المفسرين.

الميزان: وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَصْطَادُواْ أمر واقع بعد الحظر لايدل على أزيد من الإباحة بمعنى عدم المنع، والحل والإحلال- مجرداً ومزيداً فيه- بمعنى وهو الخروج من الإحرام.

أما القرطبى وبعـد أن يـذكر أنه أمر إباحةٍ- بإجماع الناس- يقول: وليس بصـحيح، بل صـيغة «فعل» الواردة بعد الحظر على أصـلها من الوجوب، وهو مذهب القاضى أبى الطّيّب وغيره، لأن المقتضى للوجوب قائم وتقدّم الحظر لا يصلح مانعاً، دليله قوله تعالى: فَإِذَا نسَلَخَ لأَشْهُرُ لْحُرُمُ فَقْتُلُواْ لْمُشْرِكِينَ. (۲)

فهذه «فعل» على الوجوب لأن المراد بها الجهاد، وإنما فهمت الإباحة هناك وما كان مثله من قوله: فَإِذَا قُضِيَتِ لصَّلَاةُ فَنتَشِرُواْ. (۳) فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ. (۴) من النظر إلى المعنى والإجماع، لا من صيغة الأمر ..

۱- كنز العرفان فى فقه القرآن ۱۷۰: ۱- ۳۳۳، مع زيادة مناسبة منى.

۲- سورة التوبة: ۵.

۳- سورة الجمعة: ۱۰.

۴- سورة البقرة: ۲۲۲.

ص: ۱۸۹

شخصیات من الحرمین الشریفین (۲۷)

عَدِی بن حاتم الطائی (رضوان الله علیه)

محمد سلیمان

عـدی بن حاتم الجواد بن عبـد الله بن سـعد بن الحشـرج بن امرئ القیس بن عـدی بن أخزم بن ربیعـهٔ بن جرول بن ثمل بن عمرو بن الغوث بن طی بن أدد بن مالک بن زیـد کهلان الطائی الأنصاری؛ واسم طیء جلهمـهٔ، وسـمی طیئاً، لأنه أول من طوی المنازل، وقیل أول من طوی بئراً؛ وکان أبوه حاتم من أجود العرب، وکنیته أبو سـفانهٔ، وهی ابنته الوحیـدهٔ کما یظهر؛ وعـدی من قبیلـهٔ طیء العربیهٔ، التی انتهت إلیه رئاستها بعد أبیه .. وهو أبو طریف الطائی، ویقال: أبو وهب.

إ نّ النسب المـذکور لعـدی بن حاتم الطائی العائد إلی قبیلهٔ طیء أو طیئ، یجرنا إلی الحدیث- ولو باختصار- عن هذه القبیلهٔ تاریخها وفروعها وإسلامها.

فقبیلهٔ طیء أو طیئ من القبائل القحطانیّهٔ الکبیرهٔ، عدیدهٔ فروعها أو قبائلها .. ولکن یبقی أشهر هذه القبائل؛ قبیلتا جندب بن خارجهٔ بن فطرهٔ بن طیء، والغوث بن طیء.

ص: ۱۹۰

حرب الفساد:

أحيطت حياة قبيلة طيء بمعارك ضارية، ومن جملة تلك المعارك "حرب الفساد "التى وقعت بين بنى جديلة وبنى الغوث .. وسميت بحرب الفساد لأنها أفسدت العلاقات بين قبائل طيء أيما فساد، وطال أمدها- كما ذكروا- حتى بلغت مائة وثلاثين سنة أى أكثر من ثلاثة أضعاف حرب البسوس بين بكر و تغلب، هذه الحرب الضروس التى دامت أربعين سنة، منذ شرارتها الأولى حين صرخت البسوس "واذلاه "وهى امرأة تميمية لما رأت ناقة قتلت ..

و ذكر بعض المؤرخين أنّ حرب الفساد لم تكن حرباً كباقى الحروب، وقد أدت إلى نزوح بنى جديلة إلى الشام وإلى حلب وعلى قول آخرإلى العراق وبلاد مصر، وقد شهد عدى بن حاتم يوم اليحاميم من أيام تلك الحرب الضارية، وأيامها عديدة ومريرة حتى غدا بعضهم يخصف نعاله بأذنى خصمه ويشرب الخمر بجمجمته، يقول شاعر منهم:

نخصف بالآذان منكم نعالنا ونشرب كرهاً منكم بالجماجم

وكان زيد الخيل وهو من أكبر شخصيات طيئ يعمل على وقف القتال ويدعو إلى الصلح .. يقول عدى: وإنى لواقف يوم اليحاميم والناس يقتتلون إذ نظرت إلى زيد الخيل قد أحضر ابنيه مكنفاً وحريثاً فى شعب لا منفذ له وهو يقول: أى بنى أبقيا على قومكما، فإن اليوم يوم التفانى، فإن يكن هؤلاء أعمامنا فهؤلاء أخوال، ولم تبق لجديلة بقية بعد يوم اليحاميم،

ص: ۱۹۱

ولم يحضر حاتم بن عبد الله الطائى هذه الحرب، وكان مجاوراً لبنى بدر آنذاك فدخلوا بلاد حلب فحالفوهم وأقاموا معه.

و قبيلة طيء المعروفة بالبداوة ..، كانت تسكن أراضى الجوف مع قبيلتى مراد وهمدان .. وقد حطت طيء رحالها فى سميرا وفيد من أراضى نجد بجوار قبيلة بنى أسد حين هاجرت إليها بعد قبيلة الأزد، ثم وسعت أرضها باحتلالها لجبلى «أجأ» و «سلْمى» اللذين كانا فى يد بنى أسد، وألحقت ذلك بتمددها على جزء من أرض تميم بين نجد والحيرة، وكانت قبيلة طيء قد تحالفت مع بنى أسد ومع غطفان، ثم حصل اختلاف بين طيء وبنى أسد قبل البعثة النبوية بفترة وجيزة، فانحازت غطفان إلى بنى أسد ضد طيء ونشبت الحرب بينهم، فأخرج غطفان وبنو أسد قبيلة طيء من أرضها، وعلى أثر ذلك ألغى ذو الخمار بن عوف الجذمى الحلف بين طيء وغطفان، وراح يستنجد بقبيلتى غوث وجديلة فرعى طيء، لاستعادة الأراضى التى خسرتها قبيلة طيء؛ واستمر هذا النزاع يضيق تارةً ويتسع أخرى، حتى كتب رسول الله (ص) بعد البعثة النبوية كتاباً إلى بنى أسد يمنعهم فيه من التعرض لأرض طيء ومياهها ..

إسلام قبيلة طيء:

إنّ الحديث عن إسلام قبيلة طيء يأخذنا بدايةً ولو قليلًا إلى إسلام القبائل العربية اليمنية، ولا أرى بأساً أن أذكر ذلك فى مقالتى هذه ولكن بكلام مضغوط، فلما دانت قريش بالفتح، ودانت بعدها هوازن وثقيف فى الطائف وكان ذلك فى شهر رمضان سنة تسع هجرية، حين قدم

ص: ۱۹۲

رسول‌الله (ص) من تبوك، وكانت قبائل اليهود الثلاث القوية فى المدينة قد انتهت شوكتها، فأجليت بنو قينقاع وبنو النضير إلى الشام، وأبيدت بنوقريظة، واستسلمت خيبر الاستسلام الأخير، وقبول النصارى دفع الجزية بعد أن أذعنوا للمسلمين، وتوسع النفوذ الإسلامى إلى حدود (أيله و جرباء و تبوك و دومة الجندل) فى شمال الجزيرة العربية بعد غزوة تبوك .. صحيح أن الإسلام وصل بلاد اليمن قبل الهجرة النبوية، لكن إسلامهم بلغ ذروته فى التاسعة هجرية المعروفة بعام الوفود بعد فتح مكّة سنة ٨ هجرية، فغدت قبائل اليمن ترسل وفودها إلى رسول الله (ص) معلنةً إسلامها بشكل واسع؛ ولعل هذا وقع لأسباب طرأت على الساحة يومذاك كما ذكرناها.

يضاف إليها الفرقة والنزاع بين القبائل اليمانية، مما دفع بعضها إلى البحث عمن تعتمد عليه كسند قوى لها، خصوصاً بعد ما أصاب دولة اليمن من ضعف وتشتت لقواها السياسية والعسكرية .. لهذا ولتلك الأسباب ولعل لغيرها سلكت هذه القبائل طريق الهدى، وكان إيذاناً لها بدخول الناس فى دين الله أفواجاً، وانسياح الإسلام فى أرجاء الجزيرة كلها فى عام واحد؛ وهذا لا يجعلنا نغفل عن التوفيق الإلهى لمن كان ينتظر الفرصة المناسبة للدخول فى الإسلام بجد وصدق، خصوصاً إذا ما أخذنا بالرأى الذى يبين أن الإسلام أو على الأقل أخباره وبعض تعاليمه وصلت إليهم خلال وجود النبى (ص) فى مكة.

وبما أن النظام القبلى كان هو الذى يسود المجتمع اليمنى، فإنّ الناس يتبعون غالباً رؤساءهم وشيوخهم، الذين كانوا سباقين إلى الإسلام

ص: ١٩٣

ومسارعين فى القدوم على رسول الله (ص) فى المدينة المنورة ..

فقـد أرسـل بعض رؤسـاء القبائـل ممثليهم إلى النبى (ص) يعلمونه بإسـلامهم، مثـل رؤساء قبيلـة حمير الـذين أوفـدوا مالك بن مرارة الرهـاوى إلى المدينـة لمقابلـة رسول الله (ص) فيمـا لم يكتف رؤساء قبائل أخرى بممثليهم بل شـكلوا وفوداً إلى الرسول (ص) ليعلنوا إسـلامهم مثل وفود دوس، والنخع، وغافق، وتجيب، والصـدف، وخولان، وكندة، بينما جاء بعض رؤساء قبائل أخرى بأنفسـهم، ليعلنوا إسـلامهم أمام رسول الله (ص) مثل عمرو بن معدى كرب الزبيدى فى بنى زبيد، ومهرى بن الأبيض، وفروة بن مسيك المرادى رئيس قبيلة مراد، و وفود رهاء وبجيلة والأزد وغافق وبارق وطىء.

هـذا وأن بعض الوفود التى قـدمت إلى المدينـة كان يضم أعـداداً كبيرة من شـيوخ القبائل وأفرادها، حتى بلغ أكثر من ألف نفر، ومن الواضح أن هذا العدد الكبير حين يعود بعد إسـلامهم إلى بلادهم، فإنه سـيكون ذا تأثير كبير فى نشـر الإسـلام وبسط نفوذه، فأشعر بلغ وفـدهم خمسـين نفراً، وبلغ وفـد دوس سـبعين أهل بيت، وبلغ وفـد بجيلة أربعمائة نفر، ووفد النخع مائتى نفر، ووفد طىء خمسة عشـر نفراً، و وفد صداء خمسة عشر نفراً وهكذا بقية الوفود، وخصوصاً أنها وفود تضم زعماءهم وأشرافهم ..

تعامله (ص):

لقـد كـان تعـامله (ص) مع القـادمين ينبثق من خلقه العظيم، فكان (ص) يسـتقبلهم بلطف، و يحسن ضـيافتهم، وصولًا إلى تعميق روح الإيمان فى قلوبهم ..

ص: ١٩۴

و من صور ذلک التعامل الرائع:

- كان (ص) يأمر بجوائز وصِلات لمن يفد عليه ويعلن إسلامه، كما فعل مع وفد خولان، وبجيلة وغامد، وتجيب.

- وكان (ص) يبعث بعض أصحابه إلى القبائل اليمانية، لتعليمهم القرآن والأحكام الشرعية، وليس دورهم يقف عند هذا الدور التثقيفی التعليمی، بل وكبادرة طيبة فی إصلاح الوضع الاجتماعی لهم، كان (ص) يأمر مبعوثيه إليهم بتوزيع ما يحصلون عليه من الصدقات بين فقراء تلک القبائل.

- فالإمام علی بن أبی طالب (ع) بعثه (ص) لأخذ صدقات بنی نجران، ومن أصحابه الآخرين الذين نالوا شرف بعثاته المذكورة:

خالد بن سعيد بن العاص الذی أرسله النبی (ص) مع فروة بن مسيک المرادی.

عمرو بن حزم الأنصاری الذی أرسله (ص) إلى بنی الحارث بن كعب.

عمرو بن العاص وأبو زيد الأنصاری اللذين ارسلا إلى أزد عمان.

المهاجر بن أبی أمية وكان قد بعث إلى صنعاء.

زياد بن لبيد الأنصاری اوفد إلى حضرموت.

معاذ بن جبل الذی ارسل إلى حمير لدعوتهم إلى الإسلام، وكان عامل النبی (ص) على الجند ..

ص: ۱۹۵

وعدی علی صدقات قومه:

عـدی بن حاتم بعـد إسـلامه جعله رسول الله (ص) علی صـدقات قومه، وبقی فی وظیفته هذه حتی بعد وفاته (ص). وقد ورد أن عدیاً لما أسـلم بین یدی رسول الله (ص) وأراد أن یرجع إلی بلاده بعث إلیه رسول الله (ص) یتعذر من الزاد، ویقول: والله ما أصبح عند آل محمـد سـفهٔ من طعام "القبضـهٔ من الملـح "ولکنک ترجع ویکون خیر .. فلما قـدم علی أبی بکر أعطاه ثلاثین فریضـهٔ "ثلاثین بعیراً" فقال عـدی: یا خلیفـهٔ رسول الله! أنت إلیها الیوم أحوج وأنا عنها غنی، فقال أبو بکر: خذها فإنی سـمعت رسول الله (ص) یتعذر إلیک ویقول: ترجع ویکون خیر؛ فقـد رجعت وجاء الله بخیر، فأنا منفـذ ما وعـد رسول الله (ص) فی حیاته، فأنفذها، فقال عدی: آخذها الآن فهی عطیهٔ من رسول الله (ص)، فقال أبو بکر: فذاک.

وجاءت هـذه العطیـهٔ لعـدی بعد أن جمع الصدقهٔ من قومه وجاء بها إلی رسول الله (ص) ولکنه فوجئ بوفاته (ص) یقول الخبر: فقبض النبی (ص) وهی فی یـده،.. نـاداه رجـل من بنی أسـد.. یا بن حاتم فارجع فاقسم هـذه الإبل بین قومک، فتکون سـید الحیین ما بقیت؛ فقال عـدی: إن یکن محمـد قـد مات فإن الذی أسـلمت له حی لم یمت، فساق الصدقهٔ.. فکانت ثالثهٔ ثلاث صدقات أو ثانیهٔ صدقتین قدمتا علی أبی بکر بعد رسول الله (ص)، فأعطی منها عدیاً ثلاثین بعیراً..

ص: ۱۹۶

رسائله (ص) وعهوده:

كما كان من صور تعامله (ص) أن كتب الرسائل إلى عدد من رجال اليمن وقادتها مثل أبى ظبيان الغامدى يستميلهم ويدعوهم إلى الإسلام، فيما كتب عهوداً إلى عدد من قادة اليمن وشيوخها منحهم فيها عناوين سياسية وأقرهم على مناطقهم، ثم طلب منهم رعاية أحكام الإسلام وحدوده؛ ومن هؤلاء القادة: رؤساء حمير، و زبيد، ومراد، وهمدان، وخثعم، وطيء، عهد (ص) إلى كل واحد منهم بإدارة قبيلته ومن هؤلاء: وائل بن حجر بن سعد الحضرمى الذى أضحى رئيساً لقومه، وقيس بن سلمة الجعفى الذى عينه أميراً على قبائل مران وحريم وكلاب، وفروة بن مسيك المرادى الذى غدا أمير مراد و زبيد، وأبو موسى الأشعرى- وهو قائد سرية فى حنين- عينه النبى (ص) والياً على عدن وزبيد ورمع والساحل، وصرد بن عبدالله الأزدى قائد الجيش الذى فتح جرش، وجرير بن عبدالله البجلى قائد الجيش الذى خرب صنم "ذو الخلصة "ممثله (ص) لدى ذى الكلاع وذى عمرو، وقيس بن الحصين الحارثى الذى جعله (ص) أميراً على قبيلة «بنوالحارث بن كعب» وبعد أن أسلم عدى بن حاتم الطائى- كما قلنا- غدا عاملًا على صدقات قومه، ومالك بن مرارة الذى عين عاملًا على صدقات الحميريين وكلف بأخذ الجزية من مشركيهم.

ص: ١٩٧

زيد الخيل:

وقبيلة طيء فهي كباقي القبائل اليمنية، ففي السنة التاسعة (عام الوفود) وقد رأت الفتح العظيم، والنصر الكبير لرسول الله (ص) بفتح مكة ودانت له قريش، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ورأت وفود العرب قد وفدت إلى حيث المدينة المنورة أفواجاً، جماعات جماعات كثيرة، من كل حدب وصوب، لتبايع رسول الرحمة محمد (ص) وتعلن إسلامها وولاءها، وخير ما صورت هذه الحالة الآيات القرآنية في سورة النصر:

بسم الله الرحمن الرحيم* إذا جاء نصر الله والفتح* ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً* فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً.

أعدت قبيلة طيء وفدها من خمسة عشر نفراً، فيهم زيد الخيل بن مهلهل، وهو سيدهم، فلما انتهوا إليه كلموه، وعرض عليهم الإسلام فأسلموا، فحسن إسلامهم، وقال رسول‌الله (ص) كما حدثني- و القول لابن إسحاق- من لا أتهم من رجال طيء: ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني، إلا رأيته دون ما يقال فيه، إلا زيد الخيل، فإنه لم‌يبلغ كل ما كان فيه، ثم سماه رسول الله (ص) زيد الخير، وقطع له فيداً "وهو اسم مكان "وأرضين معه، وكتب له بذلك، فأسلموا على يدي رسول الله (ص) فخرج من عند رسول‌الله (ص) راجعاً إلى قومه، فقال رسول الله (ص): «إن ينج زيد من حمى المدينة»، فإنه قال: قد سماها رسول الله (ص) غير الحمى وغير أم ملدم، فلم يثبته، فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه، يقال له: فردة، أصابته الحمى بها فمات، ولما أحس زيد بالموت قال:

ص: ۱۹۸

أمرتحل قومى المشارق غدوةً وأترك فى بيت بفردة منجد "أى بنجد"

ألا رب يوم لو مرضت لعادنى عوائد من لم يبر منهن يجهد

"يبرى (بالبناء للمجهول) أى يبريه السفر ويضعفه."

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه، التى قطع له رسول الله (ص) فحرقتها بالنار.

وتحكى الرسالة التى بعثها رسول الله (ص) إلى عشيرة معاوية بن جرول، وعشيرة عامر بن الأسود جوين الطائى، وعشيرة زيد الخيل الطائى اهتمام النبى (ص) بهذه القبيلة.

ويتضح مما تقدم أنّ الإسلام قد انتشر بين القبائل اليمنية انتشاراً سريعاً، وأنه بلغ درجة كبيرة من الانتشار والرسوخ فى أواخر حياة رسول‌الله (ص) كما يتبين على الأغلب أنّ دخول تلك القبائل فى الدين الحنيف حصل طواعية وباندفاع ذاتى وتأصّل بين قبائلها حتى عرفوا بمواقفهم الجليلة وبصدقهم وجهادهم وعطائهم.. يشهد على ذلك الوفود التى كانت تتقاطر على المدينة، فتعلن إسلامها و تحمل صدقاتها إلى النبى (ص) ومن الرسائل والكتب التى كتبها رسول الله (ص) إلى رؤساء القبائل اليمانية يأمرهم فيها بالعمل بحدود الإسلام وأحكامه.

وقد أبلت قبيلة طيء فى قضية الردة بلاءً حسناً، فلم يرتد منها- كما فعلت القبائل الأخرى- إلا رجلان اثنان، ويبدو أن عدياً بعد إسلامه كان له دور كبير فى إخماد ما كان يجيش فى نفوس كثير منهم من رغبة فى الارتداد.

ص: ۱۹۹

إنها دروس ما أروعها!

إذا ما تأملنا الموقف العظيم لرسول الله (ص) فى قصة إسلام قبائل اليمن، وبالذات قصة إسلام سفانة وأخيها، لاضطرنا ذلك على إعادة قراءته والوقوف عند كل فعل بل عند كل كلمة لرسول الله (ص)، فسنجد فيها قدرةً فائقةً وحكمةً عاليةً عالج فيها كل ما كانت عليه تلك القبائل، ليحقق ما كان تريده السماء وهو هدايتهم.

وقد استطاع أن يحدث تغييراً يعد أصعب أنواع التغيير، وهو تغيير ما كانوا يعتقدونه من معتقدات باطلة، لكنها رسخت فى أنفسهم وسلوكهم، وما يترتب على هذا من تبديل لوضعهم الاجتماعى، ولعلاقاتهم المتأزمة والمصبوغة بالدماء والثارات لفترات طويلة جداً، وبأسلوب يتسم بالمهارة والإتقان، وهى مهارة مهمة يحتاجها صناع التأثير.

تأمل ما ذكرته باختصار عن تلك القبائل وعن كيفية إسلامها وموقف رسول الله (ص) فستجد مدى القدرات التى كان يتمتع بها نبى الرحمة محمد (ص). وتعال معى أيضاً للقصة التالية، فستجد درساً آخر يحكى خلق النبى (ص) وحكمته فى تبليغ دعوة ربه، وتسويق ما أمره الله به، يظهر هذا مع عدى بن حاتم الطائى ومن قبله أخته سفانة، التى أسلمت وحسن إسلامها .. ويضع الباحث يده على دروس تربوية عديدة فى كل هذا.

عدى الهارب من الله ورسوله!

فلا بد لنا أولًا من أن ننصت لعدى وهو يحدثنا عن موقفه من رسول الله (ص) قبل إسلامه على المستوى النفسى، وعن وضعه الدينى

ص: ۲۰۰

والاجتماعی، حیث یقول: ما من رجل من العرب کان أشد کراهیة لرسول‌الله (ص) حین سمع به منی، أما أنا فکنت امرئاً شریفاً، وکنت نصرانیاً، وکنت أسیر فی قومی بالمرباع "أی آخذ الربع من الغنائم لأنی سیدهم "فکنت فی نفسی علی دین، وکنت ملکاً فی قومی لما کان یصنع بی، فلما سمعت برسول الله (ص) کرهته، فقلت لغلام کان لی عربی، وکان راعیاً لإبلی: لا أباً لک، أعدد لی من إبلی أجمالًا ذللًا سماناً، فاحتبسها قریباً منی، فإذا سمعت بجیش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنی، ففعل.

ثم إنه أتانی ذات غداة، فقال: یا عدی! ما کنت صانعاً إذا غشیتک خیل محمد فاصنعه الآن، فإنی قد رأیت رایات، فسألت عنها، فقالوا: هذه جیوش محمد؛ قال: فقلت: فقرب إلی أجمالی، فقربها، فاحتملت بأهلی وولدی، ثم قلت: ألحق بأهل دینی من النصاری بالشام، فسلکت الجوشیة "ویقال الحوشیة وهی جبل للضباب قرب صریة من أرض نجد، "وخلفت بنتاً لحاتم فی الحاضر "وهی سفانة کما رجحه السهیلی إذ لا یعرف له بنت غیرها، والحاضر: الحی، "فلما قدمت الشام أقمت بها.

واستمر عدی یحدثنا قائلًا: وتخالفنی خیل لرسول الله (ص) فتصیب ابنة حاتم فیمن أصابت، فقدم بها علی رسول الله (ص) فی سبایا من طیء، وقد بلغ رسول الله (ص) هربی إلی الشام، فجعلت بنت حاتم فی حظیرة بباب المسجد، کانت السبایا یحبسن فیها.

ص: ۲۰۱

سفانة فی الأسر:

فبعد أن وقعت أسیرةً فی جیش علی بن أبی طالب (ع) عند ما غزا طیئاً فی ربیع الآخر من السنة التاسعة هجریة فی جند قوامهم مائة فارس ولتخریب قریة «فلس» فحمل علی (ع) علی أرض حاتم وعادوا بغنائم وسبایا، ولکن وقبل أن یأمر بقتال أهلها، قال لهم: «قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسکم وأموالکم».

فقالت النساء لسفانة: إنهم یرثون النساء کما تورث الإبل؛ فقالت سفانة: کیف؟ قال النساء: لأنها لا ترث شیئاً من أموال الأهل؛ قالت سفانة: هل یمضون بی سبیاً؟ لو فعلوا ذلک لقتلت نفسی، فقالت لها إحدی النسوة: من یدخل الإسلام لا یؤخذ سبیاً، ألم تسمعی ابن أبی طالب (ع) یقول: «قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسکم وأموالکم»؟

وارتفع صوت علی بن أبی طالب: الأسر، الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع، وأصابت خیل رسول الله (ص) ابنة حاتم فی سبایا علی، فقدم بها علی رسول الله (ص).

إسلام سفانة بنت حاتم الطائی ثم عدی:

وما زلنا مع عدی وهو یواصل حدیثه: فمر بها النبی (ص)، فقامت إلیه، وکانت امرأة جزلة، فقالت: یا رسول الله! هلک الوالد وغاب الوافد

ص: ۲۰۲

فـامنن علیَّ منَّ الله علیـک؛ قـال: ومن وافـدک؟ قـالت: عـدی بن حـاتم؛ قـال: الفار من الله ورسوله؟ قالت: ثم مضـی رسول الله (ص) وترکنی.

حتی إذا کان من الغـد مر بی، فقلت له مثل ذلک، وقال لی مثل ما قال بالأمس، حتی إذا کان بعـد الغـد مر بی وقـد یئست منه، فأشار إلی رجل من خلفه أن قومی فکلمیه.

فقمت إلیه فقلت: یا رسول الله، هلک الوالـد وغاب الوافد، فامنن علیَّ منَّ الله علیک؛ وفی خبر: وأنا عجوز کبیرة ما بی من خدمة، فإن رأیت أن تخلی عنی، ولاـ تشـمت بی أحیـاء العرب، فـإن أبی سـید قومه، کـان یفـک العـانی، ویحمی الـذمار، ویفرج عن المکروب، ویطعم الطعام، ویفشی السلام، ولم یطلب إلیه طالب قط حاجة فرده، أنا ابنة حاتم الطائی، فامنن علیَّ منَّ الله علیک.

فقال (ص): قـد فعلت، فلا تعجلی بخروج حتی تجـدی من قومک من یکون لک ثقـة حتی یبلغک إلی بلادک ثم آذنینی، وفی خبر: ثم قال لأصحابه: خلوا عنها فإنّ أباها کان یحبّ مکارم الأخلاق.

فسألت عن الرجل الذی کان أشار إلی أن أکلمه فقیل: علی بن أبی طالب (ع) وأقمت حتی قدم رکب من بلی أو قضاعة، قالت: وإنما أریـد أن آتی أخی بالشـام؛ قـالت: فجئت رسول الله (ص) فقلت: یـارسول الله، قـد قـدم رهـط من قومی، لی فیهم ثقـة وبلاـغ؛ قـالت: فکسانی رسول الله (ص)، وحملنی، وأعطانی نفقة، فخرجت معهم حتی قدمت الشام.

ص: ٢٠٣

وفى خبر: وأقامت سفانة حتى قدم رهط من قومها فيهم ثقة وبلاغ فقالت: يا رسول الله، قدم رهط من قومى فيهم ثقة وبلاغ، فمنَّ عليها بالحرية، وأعطاها عطاءاً جزيلًا، وكساها، وأعطاها نفقة، وحملها على بعير.

فقالت سفانة: شكرتك يد افتقرت بعد غنى، ولا ملكتك يد اغتنت بعد فقر، وأصاب الله بمعروفك مواضعه، ولا جعل لك إلى لئيم حاجة، ولا سلب نعمة كريم إلا وجعلك سبباً لردها عليه.

وخرجت سفانة مع الرهط حتى قدمت الشام، وبينما عدى بن حاتم- الذى كان يدين بالمسيحية يومذاك، و قد فرّ إلى الشام- قاعد فى أهله فنظر إلى ظعينة "امرأة فى هودج "تصوب إليه.. ولنترك عدياً يحدثنا بلسانه عن المقطع هذا من حياته، قال عدى: فوالله إنى لقاعد فى أهلى، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلى تؤمنا، فقلت: ابنة حاتم؟ فإذا هى هى، فلما وقفت على انسحلت "أخذت فى اللوم ومضت فيه مجدةً "تقول: القاطع الظالم، احتملت أو فررت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك، عورتك! قلت: أى اخية، لا تقولى إلّا خيراً، فوالله ما لى من عذر، لقد صنعت ما ذكرت.

ثم نزلت فأقامت عندى، فقلت لها، وكانت امرأةً حازمةً: ماذا ترين فى أمر هذا الرجل "؟يعنى رسول الله (ص ")قالت: أرى والله أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذل فى عز اليمن وأنت أنت، قلت: والله إنّ هذا الرأى.

ص: ٢٠٤

وفى خبر: قالت سفانة: لقد فعلت فعلة لو كان أبوك موجوداً لفعلها، ابتدر راغباً أو راهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، فقال عدى: إنى لأرجو الله أن يجعل يدى فى يده.

يقول عدى: فخرجت حتى أقدم على رسول الله (ص) المدينة، فدخلت عليه، وهو فى مسجده، فسلمت عليه، فقال: من الرجل؟

فقلت: عدى بن حاتم، جئت من نفسى بلا أمان أو كتاب؛ فقام رسول الله (ص) فانطلق بى إلى بيته، فوالله إنه لعامد بى إليه، إذ لقيته أمرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلًا تكلمه فى حاجتها.

قلت فى نفسى: والله ما هذا بملك.

ثم مضى بى رسول الله (ص) حتى إذا دخل بى فى بيته، تناول وسادةً من أدم محشوة ليفاً فقذفها إلى فقال: «اجلس على هذه».

قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: «بل أنت»، فجلست عليها، و جلس رسول الله (ص) بالأرض.

قلت فى نفسى: والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال: إيه يا عدى بن حاتم، ألم تك ركوسياً "؟من الركوسية وهم قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين؛ "قلت: بلى؛ قال: أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟ قلت: بلى؛ قال: «فإنّ ذلك لم يكن يحل لك فى دينك»؛ قلت: أجل والله.

وعرفت أنه نبى مرسل يعلم ما يُجهل.

ثم قال (ص): «لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكن المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من

ص: ۲۰۵

يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم! فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت، لا تخاف إلا الله، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم».

قلت: فأسلمت.

وفى خبر: ثم قال رسول الله (ص) لعدى: «ما يُفِرُّك! أيفرك أن تقول: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم من إله سوى الله»؟!

فقال: لا، ثم قال رسول الله (ص): «إنما تفر أن يقال: الله أكبر، وهل تعلم شيئاً أكبر من الله»؟!

فقال: لا، فقال رسول الله (ص): «فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضالون».

فقال عدى: إنى حنيف مسلم، فانبسط وجه رسول الله (ص)، ثم وكل به رجلًا من الأنصار فنزل عنده.

وكان عدى يقول: قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونن، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت، وأيم الله لتكونن الثالثة، ليفيضن المال حتى لا يوجد من يأخذه. (۱)

۱- السيرة النبوية لابن هشام ۲۲۴ : ۴ - ۲۲۸؛ تاريخ الطبرى ۱۸۶ : ۲ - ۱۸۸؛ مختصر تاريخ دمشق ۲۹۷ : ۱۶ - ۲۹۸؛ وأسد الغابة والطبقات.

ص: ۲۰۶

شيء من حياة عدى:

عاش هذا الصحابى الجليل عدى بن حاتم رضوان الله عليه مأة وثمانين سنة ودفن فى قرقيسياء وهى بلد على نهر الخابور، قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ، وعندها مصب الخابور فى الفرات كما جاء فى إحدى روايتين ذكرهما صاحب مختصر دمشق فى ترجمته، فيما ذكر فى الرواية الأولى أنه توفى فى الكوفة زمن المختار الثقفى الذى كانت حكومته على الكوفة (۱۸) شهراً، وهى من ربيع الأول سنة (۶۶ ه-) إلى النصف من شهر رمضان سنة (۶۷ ه-) وعدى حسب هذه الرواية ابن عشرين ومأة سنة، إذ كانت وفاته بين سنة (۶۶- ۶۷ ه-)، وهو ما ذكره بعض المؤرّخين؛ لهذا قد تكون ولادته ما بين سنة (۵۲) و (۵۴) قبل الهجرة النبويَّة المباركة، إن أخذنا برواية عمره ۱۲۰ سنة ويبدو أنها المعتبرة، وأن عمره حين أسلم ستون سنة أو تزيد قليلًا، فكان مسلماً مؤمناً مجاهداً متبعاً للحق وأهله لم ينكص ولم يبدل ولم يغير حتى لحق بركب الخالدين .. بعد أن كان قبل البعثة النبوية و بعد الهجرة النبوية حتى السنة التاسعة هجرية- كما ذكرنا- على دين النصرانية أو الركوسية، وهو دين بين النصرانية والصابئية، لكنه لم يكن وثنياً، وكانت له زعامة قومه ورئاستهم، وقد احتواه الخلُق النبوى فجعله يدخل الإسلام ويعتنقه بصدق ووعى وبصيرة.

من صفاته:

وكان عدى بن حاتم رجلًا، جسيماً، شجاعاً، مقاتلًا، حتى ذهبت إحدى عينيه فى معركة الجمل، وذهبت الأخرى فى وقعة صفين، ويبدو أن

ص: ٢٠٧

ذهاب العين لم يكن كاملًا، لأن عدياً اشترك فى معركة النهروان، وعاصر ما بعدها من الأحداث، صحيح أن العور لغةً ذهاب بصرها، لكن هناك من يقول: إنّ العرب يعبِرون عن انقلاب الجفن، وما شابهه من العيوب التى تُصيب العين ولا تذهب بالبصر كلّه، ب- (العور).

كما كان أديباً شاعراً ذا حكمة، ملئت ترجمته فى كل المصادر بأدبه الذى سطره شعراً ونثراً عبر مواقف شجاعة وجريئة قل نظيرها وهو ما سنراه فى وقعة صفين وغيرها.

كريم من بيت كريم:

وكان قد ولد ونشأ وسط بيت يشخص فيه والده الذى ضرب مثلًا رائعاً فى الكرم والجود، إما أن يكون وحيداً فيه أو كان أحد كرام ثلاثة؛ تزوج حاتم النوار التى طالما كانت تلومه على كرمه، فتزوج ماوية بنت عفزر، من بنات ملوك اليمن، وكانت تحب الكرم وتوقر الكرماء، فأنجبت له عدياً.

وقد تركت صفات الأب بصماتها على عدى، حتى ورث تلك الخصال الحميدة عن أبيه، الذى روى فيه الإمام الرضا (ع) كما فى المستدرك: «أن رسول الله (ص) قال لعدى: دفع عن أبيك العذاب لسخاوة نفسه، أو رفع عن أبيك العذاب بسخاوة نفسه».

عن عدى أنه قال: «لما دخل على رسول الله (ص) ألقى إليه وسادة، فجلس على الأرض، فقال: أشهد أنى لا أبتغى فى الأرض علواً ولا فساداً، قال: فأسلم، قال رسول الله (ص): إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه».

ص: ۲۰۸

یقول عدی: کان أبی یقول: ما بدأت أحداً بشر، ولا تذمرت علی جار لی، ولا سألنی أحد شیئاً فرددته.

ونشأ علی تلک المکارم التی هذبها له الإسلام، فکانت علی أجمل ما تکون.

وفی ذلک یقول الشاعر:

شابه حاتماً عدی فی الکَرم ومن یشابِه أبه فما ظلَم

إذن کان عدی طیباً سمحاً جواداً کریماً کأبیه، وهذه ألوان من جوده وکرمه:

- أنه سمع رجلًا من الأعراب یقول: یا قوم، تصدقوا علی شیخ معیل، وعابرِ سبیل، شهِد له ظاهره، وسمع شکواه خالقه، بدنه مطلوب، وثوبه مسلوب.

فقال له عدی: من أنت؟

قال: رجل من بنی سعد، فی دیة لزمتنی.

قال: فکم هی؟

قال: مأة بعیر.

قال عدی: دونکَها فی بطن الوادی.

- أرسل الأشعث بن قیس إلی عدی یستعیر منه قدورحاتم أبیه، فأمر بها عدی فملئت، وحملها الرجال إلی الأشعث، فأرسل الأشعث إلیه: إنما أردناها فارغة، فأرسل إلیه عدی: إنا لا نعیرها فارغةً.

ص: ۲۰۹

- ولطالما كان عدى يفت الخبز للنمل، ويقول: إنهن لجارات، ولهن حق.

- وقد خطب عمرو بن حريث إلى عدى بن حاتم، فقال: لا أزوجك إلّا على حكمى، فرجع عمرو وقال: امرأة من قريش على أربعة آلاف درهم أعجب إلى من امرأة من طيء على حكم أبيها؛ فرجع، ثم أبت نفسه، فرجع إليه، فقال: على حكمى؟ قال: نعم؛ فرجع عمرو بن حريث، فلم ينم ليلته مخافة أن يحكم عليه بما لا يطيق، فلما أصبح، بعث إليه أن عرفنى ما حكمت به على؟ فأرسل إليه: إنى حكمت بأربع مأة درهم وثمانين درهماً سنة رسول الله (ص)؛ وفى رواية: مهر عائشة، فبعث إليه بعشرة آلاف درهم وكسوة، فردها وفرق الثياب فى جلسائه وقال من الطويل:

يرى ابن حريث أن همى ماله وما كنت موصوفاً بحب الدراهم

و قالت قريش: لا تحكمه إنه على كل حال عدى بن حاتم

فيذهب منك المال أول وهلة وحمامها والنخل ذات الكمائم

فقلت: معاذ الله من ترك سنة جرت من رسول الله والله عاصمى

وقلت: معاذ من سوء سنة تحدثها الركبان أهل المواسم

- وفى سماحته وصبره على الأذى؛ ذكروا أنه أخذ رجل بلجام عدى بن حاتم فقال له: أتفخر بأبيك وهو جمر فى النار؟! وتفخر على قومك بأن تجلس على وطاء دونهم؟! وذكر أشياء تقصر به، وهو واقف لا يحرك بغلته، فقال له لما سكت: إن كان بقى عندك شيء تريد أن تذكره فافعل قبل أن يأتى شباب الحى، فإنهم إن سمعوك تقول هذا لشيخهم لم يرضوا.

ص: ۲۱۰

وله أقوال جميلة منها:

- ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلّا وأنا على وضوء.

- وما جاء وقت صلاة قط إلّا وقد أخذت لها أهبتها، وما جاءت إلّا وأنا إليها بالأشواق.

- لسان المرء ترجمان عقله.

- ولما طلبوا منه أن يخبرهم عن السيد الشريف؟ قال: هو الأحمق فى ماله، الذليل فى عرضه، الطارح لحقده، المعنى بأمر عامته.

- ولما قالوا له: أى الأشياء أثقل عليك؟ قال: تجربة الصديق، ومسلة (أى مسألة) اللئيم، و رد سائلى بلا نيل.

- ثم قيل له: فأى الأشياء أوضع للرجال؟ قال: كره الإسلام، وإضاعة الأسرار، والثقة بكل أحد؛ كان أبى يقول: ما بدأت أحداً بشر، ولا تذمرت على جار لى، ولا سألنى أحد شيئاً فرددته.

إنّ معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى، وإنّ منكركم اليوم معروف زمان ما أتى، وإنكم لن تبرحوا بخير ما دمتم تعرفون ما كنتم تنكرون، ولا تنكرون ما كنتم تعرفون، وما دام عالمكم يتكلم بينكم غير مستخف.

وقد ذكروا أنه قال حين قتل عثمان: لا ينتطح فى قتله عنزان، فلما كان يوم صفين فقئت عينه فقيل له: لا ينتطح فى قتل عثمان عنزان! قال: بلى، وتفقأ عيون كثيرة؛ وإنما فقئت عينه يوم الجمل، ولهذا لما خرج الناس يقولون قتل عثمان: قال عدى: لا تحبق فى قتله عناق حولية، فلما كان يوم الجمل فقئت عينه، وقتل ابنه محمد مع على، وقتل ابنه الآخر مع الخوارج،

ص: ۲۱۱

فقيل له: يا أبا طريف، هل حبقت فى قتل عثمان عناق حولية؟ فقال: بلى وربك، والتيس الأعظم.

وقول عدى هذا يضرب للأمر الذى لا يعبأ به، لا غير له ولا يدرك به ثأر، أو لا يكون له تغيير ولا نكير، أو لا يلتقى فيها اثنان ضعيفان، وهو إشارة إلى قضية لا يجرى فيها خلف و نزاع. (۱)

من مروياته:

عدى وآية الصيام:

لما نزلت هذه الآية: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأسْوَدِ. (۲) قال: عمدت إلى عقالين أبيض وأسود، فجعلتهما تحت وسادتى، فجعلت أقوم من الليل فلا أستبين الأسود والأبيض، فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله (ص) فأخبرته، فضحك وقال: «إن كان وسادك إذاً لعريض، إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل».

قال عدى: أتيت رسول الله (ص) وفى عنقى صليب من ذهب.

فقال (ص) لى: «يا عدى اطرح هذا الوثن من عنقك»، قال: فطرحته، ثم انتهيت إليه وهو يقرأ من سورة براءة هذه الآية: إتَّخَذُوا

۱- مستدرك الوسائل ح ۷۵۱۴؛ بحار الأنوار وفقه الإمام الرضا ع؛ هامش الصفحة ۳۰۲- ۳۰۳ من مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور ۱۶ وفيه مصادر هذا المثل.

۲- سورة البقرة: ۱۸۷.

ص: ٢١٢

أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ... (١) حتى فرغ منها، فقلت له: إنا لسنا نعبدهم.

فقال (ص): «أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتستحلونه؟» قال: فقلت: بلى، قال (ص): فتلك عبادتهم».

عنه عن النبى (ص): قال: قال رسول الله (ص): «يؤمر يوم القيامة بناس من الناس إلى الجنة حتى إذا دنوا منها ونظروا إليها واستنشقوا رائحتها وإلى ما أعد الله لأهلها، نودوا أن اصرفوهم لا نصيب لهم فيها، قال: فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون بمثلها، قال: فيقولون يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثوابك، وما أعددت فيها لأوليائك كان أهون علينا، قال: ذاك أردت بكم، كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مختبئين (أو مخبتين) تراؤن الناس بخلاف ما تعطونى من قلوبكم، هبتم الناس ولم تهابونى، أجللتهم الناس ولم تجلونى، وتركتم للناس ولم تتركوا لى، فاليوم أذيقكم أليم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب».

وعنه عن رسول الله (ص) أنه قال: «كلكم يناجى ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ينظر إلى أيمنه فيرى عمله، ثم ينظر أمامه فيرى النار، ثم قال: اتقوا النار ولو بشق تمرة».

وعنه قال: أتيت رسول الله (ص) فأسلمت، فرأيت وجهه استبشر ثم سألوه فحمد الله وأثنى عليه وقال: إنّ أحدكم ملاقى الله فقائل ما أقول ألم أجعلك سميعاً بصيراً؟ ألم أجعل لك مالًا وولداً؟ فماذا قدمت؟ فينظر بين يديه

١- سورة التوبة: ٣١.

ص: ۲۱۳

ومن خلفه وعن یمینه وعن شماله، فلا یجد شیئاً، فلا یتقی النار إلا بوجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبکلمة طیبة».

وعنه أیضاً، قال: ما دخلت علی النبی (ص) إلا توسع لی، أو قال: تحرک لی، فـدخلت علیه ذات یوم وهو فی بیت مملوء من أصـحابه، فلما رآنی توسع لی حتی جلست إلی جانبه.

وفی الصـید الذی کان مولعاً به وصاحب کلاب وجوارح قرأت له ست روایات، أکتفی بواحدة: قال:- سألت رسول الله (ص) فقلت:- إنا قوم نتصـید بهذه الکلاب، فقال (ص): «إذا أرسلت کلابک المعلمة، وذکرت اسم الله فکل مما أمسکن علیک، إلّا أن یأکل الکلب فلا تأکل، فانی أخاف أن یکون إنما أمسک علی نفسه، فإن خالطها کلب من غیرها فلا تأکل». (۱) حواره مع ابن الزبیر ومعاویة:

وذکر له موقف مع ابن الزبیر ثم معاویـة، کما ورد فی مختصـر تاریخ دمشق حین اسـتأذن علی معاویة وعنده عبد الله بن الزبیر، فقال له عبـدالله: بلغنی یا أمیرالمؤمنین أن عنـد هذا الأعور جواباً، فلو شـئت هجته. فقال: أما أنا فلا أفعل، ولکن دونکاه إن بدا لک، فلما دخل عدی قال له عبدالله بن الزبیر: فی أی یوم فقئت عینک یا أبا طریف؟

۱- مختصر تاریخ دمشق ۱۶ ترجمته: وهامش الصفحة ۲۶۷- ۳۰۳- ۳۰۴؛ حلیة الأولیاء لأبی نعیم ۴- ۷- ۸ عدی بن حاتم.

ص: ۲۱۴

فقال له: فی الیوم الذی قتل فیه أبوک، وکشفت فیه إستک، ولطم فیه علی قفاک، وفی روایة وضربت علی قفاک، وأنت مهزوم.

وفی روایة: یا أبا طریف متی ذهبت عینک؟

قال: یوم فر أبوک منهزماً فقتل، وضربت علی قفاک وأنت هارب، وأنا مع الحق وأنت مع الباطل.

فضحک معاویة وقال له: ما فعلت الطرفات؟ وهم- طریف وطرفة ومطرف طریف- قال: قتلوا، قال: ما أنصفک ابن أبی طالب أن قتل بنوک معه وبقی له بنوه، قال: إن کان ذلک، لقد قتل وبقیت أنا من بعده.

وفی روایة أخری وبحضور عمرو بن العاص، قال له معاویة: ما فعل الطرفات؟ ویعنی طریفاً وطرافاً وطرفةً أبناؤه.

قال: قتلوا مع أمیر المؤمنین (ع).

فقال له: ما أنصفک علی، إذ قدم أبناءک وأخر أبناءه!

قال: بل أنا ما أنصفته؛ قتل وبقیت بعده!

فقال معاویة: أما إنه قد بقیت قطرة من دم عثمان مالها إلّا کذا، و أومی بیده إلیه.

فقال له عدی: إنّ السیوف التی أغمدت علی حسک فی الصدور، و لعلک تسل سیفاً تسل سیوف.

فالتفت معاویة إلی ابن العاص، فقال: کلمة شدها فی قرنک.

ثم خرج عدی وهو یقول:

ص: ٢١٥

يحاولنى معاوية بن صخر وليس إلى التى يبغى سبيل

يذكرنى أبا حسن علياً وخطبى فى أبى حسن جليل

يكاشرنى ويعلم أن طرفى على تلك التى أخفى دليل

ويزعم أننا قوم طغام حراريون ليس لنا عقول

وقال ابن الوليد وقال عمرو عدى بعد صفين ذليل

فقلت صدقتما قد هد ركنى وفارقنى الذين بهم أصول

ولكنى على ما كان منى أخبر صاحبى بما أقول

وإن أخاكما فى كل يوم من الأيام محمله ثقيل

قال له معاوية: أليس زعمت أنه لا تحبق فى قتل عثمان عنز؟ قال: قد والله حبق فيه التيس الأكبر، قال معاوية: إلا أنه قد بقى من دمه قطرة ولا بد أن اتتبعها، قال عدى: لا أبا لك شم السيف يسل السيف، فالتفت معاوية إلى حبيب بن مسلمة فقال: اجعلها فى كنانتك فإنها حكمة.

ولما أسن استأذن قومه فى وطاء (خلاف الغطاء، ما انخفض من الأرض) يجلس فيه فى ناديهم وقال: إنى أكره أن يظن أحدكم أنى أرى أن لى عليه فضلًا، ولكنى قد كبرت ورق عظمى، فقالوا: انتظر، فلما أبطأوا عليه أنشأ يقول من الوافر:

أجيبوا يا بنى ثعل بن عمرو ولاتكموا الجواب من الحياء

فإنى قد كبرت ورق عظمى وقل اللحم من بعد النقاء

وأصبحت الغداة أريد شيئاً يقينى الأرض من برد الشتاء

وطاءً يا بنى ثعل بن عمرو وليس لشيخكم غير الوطاء

فإن ترضوا به فسرور راض وإن تأبوا فإنى ذو إباء

ص: ۲۱۶

سأترک ما أردت لما أردتم وردک من عصاک من العناء

لأنی من مساءتکم بعید کبعد الأرض من بعد السماء

وإنی لا أکون لغیر قومی ولیس الدلو إلا بالرشاء

فأذنوا له أن یبسط فی نادیهم، وطابت به أنفسهم، وقالوا: أنت شیخنا وسیدنا، وما فینا أحد یکره ذلک ولا یدفعه. (۱)

عدی وأهل البیت (هم):

کان عدی بن حاتم علی جانب عظیم من الوثاقة، ومن خلص أصحاب أمیرالمؤمنین (ع)، وقد کان حاضراً فی کل مواقعه ضد الناکثین والقاسطین والمارقین، ومن بعده مع الإمام الحسن (ع).

وکانت له مواقف مشرفة، وکلمات صادقة، وقصائد رائعة تحکی مدی إیمانه بالله تعالی ورسوله (ص) ومودته لأهل البیت (هم)، وثباته علی مبدئه الحق بوعی وبصیرة.

وکان ممن اعتقدوا ورووا أنّ الأئمة بعد النبی (ص) اثنا عشر إماماً، کلهم من قریش.

وفی مناشدة أمیرالمؤمنین (ع) حین قال: «أُنشد الله من شهد یوم غدیرخم إلا قام، ولا یقوم رجل یقول نبئت أو بلغنی، إلا رجل سمِعت أذناه، ووعاه قلبه.

۱- المحاسن والمساوئ: ۳۳؛ الدرجات الرفیعة: ۳۶۰؛ مختصر تاریخ دمشق ۱۶ ترجمته؛ أعیان الشیعة: ۴۱.

ص: ۲۱۷

فقام سبعة عشر رجلًا، وکان منهم عدی بن حاتم.

فقال أمیرالمؤمنین (ع): «هاتوا ما سمعتم».

فنقلوا واقعة الغدیر حتی انتهوا إلی القول: ثم أخذ (ص) بیدک یا أمیرالمؤمنین، فرفعها وقال: «من کنت مولاه فهذا علی مولاه، أللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

فقال علی (ع): «صدقتم، وأنا علی ذلک من الشاهدین».

وقد ذکر بعضهم عدیاً بأشعاره فیمن فاز بولائه ومودته لعلی (ع) ومنهم طلبة بن قیس بن عاصم المنقری:

إذا فاز دونی بالمودة مالک وصاحبه الأدنی عدی بن حاتم

وفاز بها دونی شریح بن هانئ ففیم نادی للأمور العظائم

ولو قیل من یفدی علیا فدیته بنفسک یاطلب بن قیس بن عاصم

لقلت نعم تفدیه نفس شحیحة ونفدی بسعد کلها حی هاشم

وأیضاً لأیمن بن خریم بن فاتک وقد اعتزل علیاً (ع) ومعاویة شعر یذکر عدیاً فیه، و دوره فی وقعة صفین:

أما والذی أرسی ثبیراً مکانه وأنزل ذا الفرقان فی لیلةالقدر

لئن عطفت خیل العراق علیکم ولله لا للناس عاقبة الأمر

تقحمها قدماً عدی بن حاتم و الاشتر یهدی الخیل فی وضح الفجر

(۱)

۱- أعیان الشیعة للعاملی، ترجمة عدی؛ کتاب الاحتجاج، للطبرسی؛ وقعة صفین، لابن مزاحم: ۵۰۳- ۵۵۳- ۵۵۴.

ص: ۲۱۸

ما قیل فیه:

إضافةً إلی ما مرّ علینا من مدح له، فقد ورد فیه العدید من الأقوال، وهی تحمل ثناءاً علیه وتکریماً له:

فی أسد الغابة عن ابن عباس أنّ رسول الله (ص) أربعة سادة فی الإسلام، بشر بن هلال العبدی، وعدی بن حاتم، وسراقة بن المدلجی، وعروة بن مسعود الثقفی.

وکان منها ما ذکروه فی استنقاذه من ارتد من طیء بعد وفاة رسول الله (ص)، فکان خیر مولود ولد فی طیء، وأعظمه علیهم برکةً؛ فمن تلک الخیریة، وهذه البرکة، و مما أضیف إلیهما من مواقفه المتصفة بالإیمان والشجاعة والمروءة والوفاء والصدق والکرم والتسامح، وما قدمه للمسلمین؛ فقد کان لصدقاته التی جاء بها من قومه بعد إسلامه دور ظل یذکر له .. جاءت أوصافهم له وأقوالهم فیه:

استأذن عدی علی عمر فقال له: تعرفنی؟ قال عمر: نعم، فحباک الله أحسن المعرفة، أسلمت إذ کفروا، ووفیت إذ غدروا، وأعطیت إذ منعوا.

و فی حدیث آخر: وأقبلت إذ أدبروا، فقال: حسبی یا أمیرالمؤمنین حسبی.

وعنه قال: أتیت عمر بن الخطاب فی أناس من قومی، فجعل یفرض للرجل من طیء فی ألفین ویعرض عنی، قال: فاستقبلته فأعرض عنی، ثم أتیته من حیال وجهه فأعرض عنی؛ فقلت: یا أمیرالمؤمنین! أتعرفنی؟ قال: فضحک حتی استلقی لقفاه، ثم قال: نعم والله إنی لأعرفک،

ص: ۲۱۹

آمنت إذ کفروا، وأقبلت إذ أدبروا، ووفیت إذ غدروا، وإنّ أول صدقة بیضت وجه رسول الله (ص) و وجوه أصحابه صدقة طیء، جئت بها إلی رسول‌الله (ص)، ثم أخذ یعتذر ثم قال: إنما فرضت لقوم أجحفت بهم الفاقة وهو سادة عشائرهم لما ینوبهم من الحقوق.

وعن نابل مولی عثمان بن عفان وحاجبه قال: جاء عدی بن حاتم إلی باب عثمان وأنا علیه فنحیته عنه، فلما خرج عثمان إلی الظهر عرض له، فلما رآه عثمان رحب به وانبسط إلیه، فقال عدی: انتهیت إلی بابک وقد غم آذنک الناس عنک؛ فالتفت إلی عثمان فانتهرنی وقال: لا تحجبه واجعله أول من تدخله، فلعمری إنا لنعرف له حقه وفضله، و رأی الخلیفتین فیه وفی قومه، فقد جاءنا بالصدقة یسوقها، والبلاد تضطرم کأنها شعل النار من أهل الردة، فحمده المسلمون علی ما رأوا منه.

وقد وصفه ابن عبد البر بأنه: کان سیداً شریفاً فی قومه، فاضلًا، کریماً، خطیباً، حاضر الجواب.

وقال فیه ابن کثیر: کان حاتم جواداً ممدحاً فی الجاهلیة، وکذلک ابنه فی الإسلام.

وقال ابن حجر العسقلانی یعرفه: ولد الجواد المشهور، أبو طَریف، وکان جواداً.

وقال ابن الأثیر: وکان جواداً، شریفاً فی قومه، معظماً عندهم، وعند غیرهم.

ص: ۲۲۰

وقال الزركلى: عدى بن حاتم أمير، صحابى، من الأجواد العقَلاء، كان رئيس طَىء فى الجاهلية والإسلام.

عدى وعلماء الرجال:

حظى عدى بمنزلة رفيعة عند علماء الرجال:

فقد عده الشيخ فى رجاله (تارةً) من أصحاب رسول الله (ص) (وأخرى) من أصحاب على (ع)، وعده من السابقين الذين رجعوا الى أميرالمؤمنين (ع)، وروى عنه.

وذكر الفضل بن شاذان فى ترجمة البراء بن مالك: أنه من السابقين الذين رجعوا إلى أميرالمؤمنين، وقد عد ستة عشر صحابياً كان عدى واحداً منهم.

وانظر فقرة "شهد معركة الجمل "التالية ما جاء عنه فى ترجمة عبدالله بن خليفة الطائى من معجم رجال الحديث. (۱) شهد معركة الجمل:

لعدى وقبيلته طىء مواقف كبيرة فى هذه الوقعة، ومنها: أنه استنفر قومه لنصرة الإمام على (ع)، ذلك حين قام إلى الإمام على (ع) وهو يعد العدة للذهاب إلى البصرة لملاقاة ما أعده طلحة والزبير، فقال: يا أميرالمؤمنين، لو تقدمت إلى قومى أخبرهم بمسيرك وأستنفرهم، فإن لك من

۱- معجم رجال الحديث للسيد الخوئى ۱۲: رقم ۷۶۶۱، ۴: رقم ۱۶۶۲.

ص: ۲۲۱

طیء مثل الـذی معـک، فقـال علی: نعم، فافعـل، فتقـدم عـدی إلی قومه، فاجتمعت إلیه رؤساء طیء، فقال لهم: یا معشـر طیء، إنکم أمسـکتم عن حرب رسول الله (ص) فی الشـرک، ونصـرتم الله ورسوله فی الإسـلام علی الردهٔ، وعلی قادم علیکم، وقد ضـمنت له مثل عـدهٔ من معه منکم، فخفوا معه، وقـد کنتم تقاتلون فی الجاهلیـهٔ علی الـدنیا، فقاتلوا فی الإسـلام علی الآخرهٔ، فإن أردتم الدنیا فعند الله مغـانم کثیرهٔ، وأنـا أدعوکم إلی الـدنیا والآـخرهٔ، وقـد ضـمنت عنکم الوفاء، وباهیت بکم الناس، فأجیبوا قولی، فإنکم أعز العرب داراً، لکم فضـل معاشـکم وخیلکم، فـاجعلوا أفضـل المعـاش للعیـال وفضول الخیـل للجهـاد، وقـد أظلکم علی والنـاس معه من المهـاجرین والبـدریین والأنصـار، فکونوا أکثرهم عـدداً، فـإنّ هـذا سبیل للحی فیه الغنی والسـرور، وللقتیل فیه الحیاهٔ والرزق، فصاحت طیء: نعم، نعم، حتی کاد أن یصم من صیاحهم؛ فلما قدم علی طیء أقبل شیخ من طیء قد هرم من الکبر، فرفع له من حاجبیه، فنظر إلی علی (ع) فقـال له: أنت ابن أبی طالب؟ قال: نعم، قال: مرحباً بک وأهلًا، قـد جعلناک بیننا وبین الله، وعـدیاً بیننا وبینک، ونحن بینه وبین الناس، لو أتیتنـا غیر مبـایعین لـک لنصـرناک، لقرابتک من رسول‌الله (ص)، وأیامک الصالحـهٔ، ولئن کان ما یقال فیک من الخیر حقاً إن فی أمرک وأمر قریش لعجباً، إذ أخرجوک وقدموا غیرک؛ سـر، فوالله لا یتخلف عنک من طیء إلّا عبد أو دعی إلّا بإذنک؛ فشخص معه من طیء ثلاثهٔ عشـر آلاف راکب؛ وفی مروج الذهب سـتمأهٔ راکب؛ وما أن رأی زفر بن زید بن حذیفهٔ الأسدی، وکان من سادهٔ بنی أسد موقف عدی هذا وما

ص: ۲۲۲

كـان من اسـتجابة قومه طيء حتى بـادر قائلًا: يا أميرالمؤمنين، إنّ طيئاً إخواننا وجيراننا قـد أجابوا عـدياً، ولى فى قومى طاعـة، فأذن لى فـآتهم؛ قـال: نعم، فأتـاهم فجمعهم وقال: يا بنى أسـد، إنّ عـدى بن حاتم ضـمن لعلى قومه فأجابوه، وقضوا عنه ذمامه، فلم يعتل الغنى بـالغنى، ولاـ الفقير بـالفقير، و واسـى بعضـهم بعضاً، حتى كأنهم المهاجرون فى الهجرة، والأنصار فى الأثرة، وهم جيرانكم فى الـديار، وخلطاؤكم فى الأموال، فأنشـدكم الله لا يقول الناس غداً: نصـرت طيء وخذلت بنو أسد، وإن الجار يقاس بالجار، كالنعل بالنعل، فإن خفتم فتوسـعوا فى بلادهم، وانضـموا إلى جبلهم، وهذه دعوة لها ثواب من الله فى الدنيا والآخرة، فقام إليه رجل منهم، فقال له: يا زفر، إنك كعـدى، ولا أسـد كطيء، ارتـدت العرب، فثبتت طيء على الإسـلام، وجاد عـدى بالصدقـة، وقاتل بقومه قومك، فوالله لو نفرت طيء بأجمعهـا لمنعت رعاؤهـا دارهـا، ولو أن معنـا أضـعافنا لخفنا على دارنا، فإن كان يرضـيك قـدر ما يرد عنا عـذر الخـذلان، وإثم المعصية، فلك ذلك منا، فسار معه من أسد جماعة ليس كجماعة طيء، حتى قدم بها على على. (۱)

ولما توجه الإمام أميرالمؤمنين (ع) من المدينـة المنورة إلى الناكثين بالبصـرة لقيه بعـد الربـذة عبـد الله بن خليفة وإذ هم يتحدثان أقبل سواد كبير من قبل جبال طى، فقال أميرالمؤمنين (ع): أنظروا ما هـذا السواد؟ فـذهبت الخيل تركض، فلم تلبث أن رجع فقيل هـذه طى قد جاءتك تسوق الغنم والإبل والخيل، فمنهم من جاءك بهداياه وكرامته، ومنهم من يريد النفوذ

۱- الإمامة والسياسة تاريخ الخلفاء لابن قتيبة الدينورى ۷۷: ۱- ۷۸.

ص: ۲۲۳

معک إلی عدوک؛ فقال أمیرالمؤمنین (ع): جزی الله طیاً خیراً، وفضل الله المجاهدین علی القاعدین أجراً عظیماً.

فلما انتهوا إلیه سلموا علیه، قال عبدالله بن خلیفة: فسرنی والله ما رأیت من جماعتهم وحسن هیئتهم، وتکلموا فأقروا والله لعینی ما رأیت خطیباً أبلغ من خطیبهم، وقام عدی بن حاتم الطائی فحمد الله وأثنی علیه ثم قال: أما بعد فإنی کنت أسلمت علی عهد رسول الله (ص) وأدیت الزکاة علی عهده، وقاتلت أهل الردة من بعده، أردت بذلک ما عند الله، وعلی الله ثواب من أحسن واتقی، وقد بلغنا أنّ رجالًا من أهل مکة نکثوا بیعتک وخالفوا علیک ظالمین، فأتیناک لنصرک بالحق، فنحن بین یدیک، فمرنا بما أحببت، ثم أنشأ یقول:

فنحن نصرنا الله من قبل ذلکم وأنت بحق جئتنا فستنصر

فنکفیک دون الناس طراً بأسرنا وأنت به من سائر الناس أجدر

فقال أمیرالمؤمنین (ع): جزاکم الله من حی عن الإسلام وأهله خیراً، فقد أسلمتم طائعین، وقاتلتم المرتدین، ونویتم نصر المسلمین ...

وبرز عبد الله بن خلیفة الطائی فی جماعة من طی:

یا طی طی السهل والأجبال ألا اثبتوا بالبیض والعوالی

فقاتلوا أئمة الضلال

(۱)

۱- معجم رجال الحدیث ۱۱: رقم ۹۸۵۳، ترجمة عبدالله بن خلیفة الطائی.

ص: ٢٢٤

واحتل عـدى مكانته القياديـة فى معركـة الجمل حيث كان واحـداً من الأمراء فى معركـة الجمل على خيل قضاعة ورجالتها، وله كلام جميل يدل على عظيم ولائه واستعداده والتزامه حين أقبل أميرالمؤمنين (ع) عليه وقال له: يا عدى! أنت شاهد لنا وحاضر معنا وما نحن فيه؟

فقال عـدى: شـهدتك أو غبت عنك فأنا عنـدما أحببت، هـذه خيولنا معـدة، و رماحنا محـددة، و سـيوفنا مجردة، فإن رأيت أن نتقـدم تقدمنا، وإن رأيت أن نحجم أحجمنا، نحن طوع لأمرك، فأمر بما شئت، نسارع إلى امتثال أمرك.

وقد استشهد فى هذه المعركة ابنه طريف، فيما فقئت عين عدى.

ونظر على (ع) يوماً إلى عـدى بن حاتم فوجده كئيباً حزيناً، فقال: ما لى أراك كئيباً حزيناً؟ فقال: وما يمنعنى يا أميرالمؤمنين! وقد قتل ابنى وفقئت عينى؟ فقـال: يا عـدى، إنه من رضـى بقضاء الله جزى عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جزى عليه وحبط عمله. (١) شهد معركة صفين:

كان ممن شـهد صـفين إلى جانب الإمام (ع) وجعله على قضاعة وطىء، وإذا أخذنا بالرواية التى تنص على أنه توفى بين سنة ۶۶- ۶۷ هجرية، و أنّ عمره حين وفاته ١٢٠ سـنة يكون عمره فى صفين قد قارب التسعين سنة، ولم يكن تقدمه فى العمر عائقاً عن أن يبالغ فى مواقفه وخطبه

١- كتاب الجمل، للشيخ المفيد: ٢٧٠- ٣۶٧؛ مختصر تاريخ دمشق ٢٩٣: ١۶- ٣٠۵.

ص: ۲۲۵

وأشعاره، حتى ظل فى ولائه لعلى (ع) وفى شجاعته نموذجاً يذكره الآخرون له، ويستشهدون به، بل ويتمنونه.

مواقفه:

ومن مواقفه فى صفين وقبل اندلاع المعركة كما جاء فى قول نصر بن مزاحم فى حديث صالح بن صدقة بإسناده قال: قام عدى بن حاتم إلى على (ع) فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ عندى رجلًا من قومى لايجارى به، وهو يريد أن يزور ابن عم له، حابس بن سعد، (۱) الطائى، بالشام- فلو أمرناه أن يلقى معاوية لعله أن يكسره ويكسر أهل الشام، فقال له على: نعم، فمره بذلك- وكان اسم الرجل خفاف بن عبد الله- فقدم على ابن عمه حابس بن سعد بالشام، وكان حابس سيد طىء فحدث خفاف حابساً أنه شهد عثمان بالمدينة، وسار مع على إلى الكوفة؛ وكان لخفاف لسان وهيئة وشعر، فغدا حابس وخفاف إلى معاوية فقال حابس: هذا ابن عمى قدم الكوفة مع على، وشهد عثمان بالمدينة، وهو ثقة؛ فقال له معاوية: هات يا أخا طىء، حدثنا عن عثمان؛ قال: حصره المكشوح، وحكم فيه حكيم، ووليه محمد وعمار، وتجرد فى أمره ثلاثة نفر: عدى بن حاتم، والأشتر النخعى، وعمرو بن الحمق، وجد فى أمره رجلان، طلحة والزبير وأبرأ الناس منه على.

۱- حابس بن سعد، قيل كانت له صحبة، وقتل بصفين؛ تهذيب التهذيب ۱۲۷: ۲؛ و قال ابن دريد فى الاشتقاق: ۲۳۵ «كان على طىء الشام مع معاوية، وقتل، وكان عمر ولاه قضاء مصر ثم عزله».

ص: ۲۲۶

قال: ثم مه؟ قال: ثم تهافت الناس على على بالبيعة تهافت الفراش، حتى ضلت النعل وسقط الرداء، ووطئ الشيخ، ولم يذكر عثمان ولم يـذكر له، ثم تهيأ للمسير وخف معه المهاجرون والأنصار، وكره القتال معه ثلاثـة نفر: سـعد بن مالك، وعبـد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة، فلم يستكره أحـداً، واستغنى بمن خف معه عمن ثقـل. ثم سـار حتى أتى جبل طيء، فأتاه منا جماعـة كان ضارباً بهم الناس، حتى إذا كان في بعض الطريق أتاه مسير طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة، فسرح رجالًا إلى الكوفة فأجابوا دعوته، فسار إلى البصرة فهى فى كفه، ثم قـدم إلى الكوفة، فحمـل إليه الصبى، ودبت إليه العجوز، وخرجت إليه العروس فرحـاً به، وشوقـاً إليه، فتركته وليس همه إلّا الشام.

عن المحل بن خليفـة قال: قام عـدى بن حاتم الطائى بين يدى على (ع) فحمد الله بما هو أهله وأثنى عليه، ثم قال: «يا أميرالمؤمنين، ما قلت إلّا بعلم، ولا دعوت إلّا إلى حق، ولا أمرت إلّا برشـد، فإن رأيت أن تسـتأنى هؤلاء القوم وتسـتديمهم حتى تأتيهم كتبك، ويقـدم عليهم رسلك فعلت.

فإن يقبلوا يصـيبوا ويرشـدوا، والعافيـة أوسع لنا ولهم، وإن يتمادوا فى الشـقاق ولا ينزعوا عن الغى فسـر إليهم، وقـد قـدمنا إليهم العذر ودعوناهم إلى ما فى أيدينا من الحق، فوالله لهم من الله أبعد، وعلى الله أهون،

ص: ۲۲۷

من قوم قاتلناهم بناحیهٔ البصرهٔ أمس، لما أجهد لهم الحق فترکوه، ناوخناهم براکاء القتال. (۱) حتی بلغنا منهم ما نحب، وبلغ الله منهم رضاه فیما یری».

فقام زید بن حصین الطائی- وکان من أصحاب البرانس المجتهدین- فقال: ألحمد لله حتی یرضی، ولا إله إلّا الله ربنا، ومحمد رسول‌الله نبینا؛ أما بعد، فوالله لئن کنا فی شک من قتال من خالفنا، لا یصلح لنا النیهٔ فی قتالهم حتی نستدیمهم ونستأنیهم، ما الأعمال إلّا فی تباب، ولا السعی إلّا فی ضلال، والله یقول: وَأَمَّا بِنِعْمَهِٔ رَبِّکَ فَحَدِّثْ. إنا والله ما ارتبنا طرفهٔ عین فیمن یبتغون دمه، فکیف بأتباعه القاسیهٔ قلوبهم، القلیل فی الإسلام حظهم، أعوان الظلم ومسددی أساس الجور والعدوان، لیسوا من المهاجرین ولا الأنصار، ولا التابعین بإحسان، فقام رجل من طیء فقال: یا زید بن حصین، أکلام سیدنا عدی بن حاتم تهجن؟ قال: فقال زید: ما أنتم بأعرف بحق عدی منی، ولکنی لا أدع القول بالحق وإن سخط الناس.

فقال عدی بن حاتم: الطریق مشترک، والناس فی الحق سواء، فمن اجتهد رأیه فی نصیحهٔ العامهٔ فقد قضی الذی علیه.

ثم تبعه أی عدی بن حاتم بلوائه وهو یقول:

أبعد عمار وبعد هاشم ابن بدیل فارس الملاحم

نرجو البقاء مثل حلم الحالم وقد عضضنا أمس بالأباهم

۱- البراکاء، بضم الراء وفتحها: الابتراک فی الحرب، وهو أن یجثو القوم علی رکبهم. والمناوخهٔ: مفاعله من النوخ، وهو البروک.

ص: ٢٢٨

فاليوم لا نقرع سن نادم ليس امرؤ من يومه بسالم

حين كـان عـدى مع الأشتر النخعى وشـريح بن هانئ على رأى واحـد حين قاموا إلى على (ع)، فتكلموا بلسان واحـد وقالوا: إن الـذين أشاروا عليك بالمقام، إنما خوفوك بحرب الشام، وليس فى حربهم شىء أخوف من الموت ونحن نريده.

وكـان هـذا لمـا اسـتشار على (ع) النـاس، فأشـاروا عليه بالمقـام بالكوفـة عـامه ذلـك، فيمـا كـان من رأى على (ع) كمـا هو قوله: «إن استعدادى لحرب أهل الشام، وجرير عندهم إغلاق للشام، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه».

عدى فى وفد إلى معاوية:

فعن المحل بن خليفة قال: لما توادع على (ع) ومعاوية بصـفين اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصـلح، فأرسل على بن أبى طالب إلى معاويـة عدى بن حاتم، وشـبث بن ربعى، ويزيد بن قيس، وزياد بن خصـفة، فدخلوا على معاوية، فحمد الله عدى بن حاتم وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فإنا أتيناك لندعوك إلى أمر يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ويحقن الله به دماء المسـلمين، وندعوك إلى أفضـلها سابقة وأحسـنها فى الإسـلام آثاراً، وقد اجتمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذى رأوا فأتوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فانته يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل.

ص: ۲۲۹

فقال له معاوية: كأنك إنما جئت متهدداً ولم تأت مصلحاً، هيهات ياعدى كلا والله إنى لابن حرب، ما يقعقع لى بالشنان أما والله إنك لمن المجلبين على ابن عفان، وأنت لمن قتلته، وإنى لأرجو أن تكون ممن يقتله الله هيهات يا عدى، قد حلبت بالساعد الأشد.

وفى وقعة من وقائع صفين، وقد احتدمت المنازعة حتى أكلت الكثير من الفريقين، أقبل بعدها عدى بن حاتم يطلب علياً فى موضعه الذى خلفه فيه، فلم يجده، فسأل عنه، فدل عليه، فأقبل إليه، فقال: يا أميرالمؤمنين، أما إذ كنت حياً، فالأمر أمم "أى يسير وهين "واعلم أنى ما مشيت إليك إلا على أشلاء القتلى، وما أبقى هذا اليوم لنا ولا لهم عميداً.

وكان عدى أكثر من صبر فى تلك الساعة مع على (ع). (۱) الإمام على (ع) يسره:

- ولما رأى عدى تثاقل جند الإمام على (ع) عن مواصلة القتال فى صفين، جاء يلتمس علياً، ما يطأ إلّا على إنسان ميت أو قدم أو ساعد، فوجده تحت رايات بكر بن وائل، فقال: يا أميرالمؤمنين، ألا نقوم حتى نموت؟ فقال على (ع): ادنه، فدنا حتى وضع أذنه عند أنفه فقال: ويحك، إنّ عامة من معى يعصينى، وإنّ معاوية فيمن يطيعه ولا يعصيه.

وقال عدى بن حاتم:

أقول لما أن رأيت المعمعه واجتمع الجندان وسط البلقعه

هذا على والهدى حقاً معه يا رب فاحفظه ولا تضيعه

فإنه يخشاك ربى فارفعه ومن أراد عيبه (أو غيه) فضعضعه

۱- الأخبار الطوال، للدينورى: ۱۸۶.

ص: ۲۳۰

- وفى وقعة من وقائع صفين، لما اختلط أمرهم حتى ترك أهل الرايات مراكزهم، وأقحم أهل الشام من آخر النهار، وتفرق الناس عن على، فأتى ربيعة ليلًا فكان فيهم.

- وأقبل عدى بن حاتم يطلب علياً فى موضعه الذى تركه فيه فلم يجده، فطاف يطلبه، فأصابه فى مصاف ربيعة فقال: «يا أميرالمؤمنين، أما إذ كنت حياً فالأمر أمم (أى قريب)، ما مشيت إليك إلّا على قتيل، وما أبقت هذه الوقعة لنا ولهم عميداً، فقاتل حتى يفتح الله عليك؛ فإنّ فى القوم بقية بعد».

- ولعدى كلام جميل حين دخل الإمام على (ع) على مصاف ربيعة قائلًا لهم: «أنتم درعى ورمحى» حتى راحت ربيعة تفخر بكلام على (ع)، فقال عدى بن حاتم: يا أميرالمؤمنين، إنّ قوماً أنست بهم وكنت فيهم فى هذه الجولة، لعظيم حقهم علينا، والله إنهم لصبر عند الموت، أشداء عند القتال.

وركب على (ع) فرسه الذى كان لرسول الله، وكان يقال له: «المرتجز»، فركبه ثم تقدم أمام الصفوف ثم قال: بل البغلة بل البغلة. فقدمت له بغلة رسول الله (ص) «الشهباء»، فركبها ثم تعصب بعمامة رسول الله (ص) السوداء ثم نادى: «أيها الناس! من يشر نفسه لله يربح، هذا يوم له ما بعده، إن عدوكم قد مسه القرح كما مسكم» فانتدب له ما بين عشرة آلاف إلى اثنى عشر ألفاً قد وضعوا سيوفهم على عواتقهم، وتقدمهم على (ع) منقطعاً على بغلة رسول الله (ص) وهو يقول:

ص: ۲۳۱

دبوا دبیب النمل لا تقوتوا وأصبحوا بحربکم وبیتوا

حتی تنالوا الثأر أو تموتوا أولا فإنی طالما عصیت

قد قلتم لو جئتنا، فجیت لیس لکم ما شئتم وشیت

بل ما یرید المحیی الممیت

- وهنا تبعه عدی بن حاتم بلوائه وهو یقول:

أبعد عمار وبعد هاشم وابن بدیل فارس الملاحم

نرجو البقاء مثل حلم الحالم وقد عضضنا أمس بالأباهم

فالیوم لا نقرع سن نادم لیس امرؤ من یومه بسالم

وحمل الناس حملة واحدة فلم یبق لأهل الشام صف إلا انتقض، وأهمدوا ما أتوا علیه حتی أفضی الأمر إلی مضرب معاویة.

وعلی (ع) یضربهم بسیفه ویقول:

أضربهم ولا أری معاویه الأخزر العین العظیم الحاویه

هوت به فی النار أم هاویه

ص: ۲۳۲

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، ...

قال الشنى أبيات شعر فى ذلك، نذكر منها بيتاً يبين دور عدى بن‌حاتم:

ورغبه فينا عدى بن حاتم بأمر جميل صدق القول والفعلا

(۱) عدى ممن غم معاوية؟!

لقد قالها معاوية صراحة وجهاراً أنّ هناك أشخاصاً أدخلوا عليه الغم، وأربكوا عليه وضعه، فراح ينتدب لكل واحد منهم رجلًا من رجاله.

فعن عمر بن سعد قال: ولما تعاظمت الأمور على معاوية قبل قتل عبيدالله بن عمر بن الخطاب، دعا عمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة وعبيدالله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال لهم: إنه قد غمنى رجال من أصحاب على، منهم سعيد بن قيس فى همدان، والأشتر فى قومه، والمرقال، وعدى بن حاتم، وقيس بن سعد فى الأنصار، ... وقد عبأت لكل رجل منكم رجلًا منهم، فاجعلوا ذلك إلى؛ فقالوا: ذلك إليك؛ قال:.. وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيء، يعنى عدى بن حاتم.

عدى و ابن خالد:

وإنّ عبد الرحمن بن خالد غدا فى اليوم الخامس، وكان أرجاهم عند معاوية أن ينال حاجته، فقواه معاوية بالخيل والسلاح، وكان معاوية

۱- وقعة صفين: ۴۰۳ ۴۰۶.

ص: ۲۳۳

يعده ولداً، فلقيه عدى بن حاتم فى حماۀ مذحج وقضاعۀ، فبرز عبد الرحمن أمام الخيل وهو يقول:

قل لعدى ذهب الوعيد أنا ابن سيف الله لا مزيد

... ثم حمل فطعن الناس، وقصده عدى بن حاتم، وسدد إليه الرمح، وهو يقول:

أرجو إلهى وأخاف ذنبى وليس شىء مثل عفو ربى أو «ولست أرجو غير عفو ربى»

يا ابن الوليد بغضكم فى قلبى كالهضب بل فوق قنان الهضب.

فلما كاد أن يخالطه بالرمح توارى عبد الرحمن فى العجاج، واستتر بأسنۀ أصحابه، واختلط القوم، ورجع عبد الرحمن إلى معاويۀ مقهوراً، وانكسر معاويۀ.

ووقف معاويۀ أخيراً وقد جزع أهل الشام على قتلاهم فراح يسليهم بقوله:

... فأبشروا فإنّ الله قد قتل من القوم ثلاثۀ، قتل عمار بن ياسر وهو كان فتاهم، وقتل هاشماً وكان جمرتهم، وقتل ابن بديل وهو فاعل الأفاعيل، وبقى الأشعث والأشتر وعدى ابن حاتم؛ فأما الأشعث فحماه مصره، وأما الأشتر وعدى فغضبا للفتنۀ، والله قاتلهما غداً إن شاء الله.

موقف عدى من رفع المصاحف:

... فثار أهل الشام فنادوا فى سواد الليل: ياأهل العراق، من لذرارينا إن قتلتمونا، ومن لذراريكم إن قتلناكم؟! الله الله فى البقيۀ؛ فأصبح

ص: ٢٣٤

أهل الشام وقد رفعوا المصاحف على رؤوس الرماح وقلدوها الخيل؛ والناس على الرايات قد اشتهوا ما دعوا إليه، ورفع مصحف دمشق الأعظم تحمله عشرة رجال على رؤوس الرماح، ونادوا: يا أهل العراق! كتاب الله بيننا وبينكم، وأقبل أبو الأعور السلمى على برذون أبيض وقد وضع المصحف على رأسه ينادى: يا أهل العراق! كتاب الله بيننا وبينكم، وهنا أقبل عدى بن حاتم فقال:

يا أميرالمؤمنين، إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق فإنه لم يصب عصبة منا إلّا وقد أصيب مثلها منهم، وكل مقروح، ولكنا أمثل بقية منهم، وقد جزع القوم وليس بعد الجزع إلّا ما تحب، فناجز القوم.

فقام الأشتر النخعى فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ معاوية لا خلف له من رجاله، ولك بحمد الله الخلف، ولو كان له مثل رجالك لم يكن له مثل صبرك ولا بصرك، فاقرع الحديد بالحديد، واستعن بالله الحميد.

ثم قام عمرو بن الحمق فقال: يا أميرالمؤمنين، إنا والله ما أجبناك ولا نصرناك عصبية على الباطل، ولا أجبنا إلّا الله عزوجل، ولا طلبنا إلّا الحق، ولو دعانا غيرك إلى ما دعوت إليه لا ستشرى فيه اللجاج، وطالت فيه النجوى، وقد بلغ الحق مقطعه، وليس لنا معك رأى.

فقام الأشعث بن قيس مغضباً فقال: يا أميرالمؤمنين، إنا لك اليوم على ما كنا عليه أمس، وليس آخر أمرنا كأوله، وما من القوم أحد أحنى على أهل العراق ولا أوتر لأهل الشام منى، فأجب القوم إلى كتاب الله، فإنك أحق به منهم، وقد أحب الناس البقاء وكرهوا القتال.

ص: ٢٣٥

فقال علی (ع): إنّ هذا أمر ينظر فيه.

وقد وقع الاختلاف فی الموادعهٔ:

لما عظم الأمر، واستحر القتال، وانطلقت الأقوال: إنّ هذه الحرب قد أكلتنا، وأذهبت الرجال، والرأی الموادعهٔ؛ وقال بعضهم: لا بل نقاتلهم اليوم علی ما قاتلناهم عليه أمس، وكانت الجماعهٔ قد رضيت الموادعهٔ، وجنحت إلی الصلح والمسالمهٔ؛ فقام علی (ع) خطيباً فقال: «أيها الناس، إنی لم أزل من أمری علی ما أحب حتی قدحتكم الحرب، وقد والله أخذت منكم وتركت، وهی لعدوكم أنهك؛ وقد كنت بالأمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت ناهياً فأصبحت منهياً، فليس لی أن أحملكم علی ما تكرهون».

قام عدی بعد آخرين، ليتجلی وعيه وبصيرته حين اختلف أهل العراق فی الموادعهٔ مع جند معاويهٔ عبر قوله الذی جاء بعد أقوال أخری لأصحاب علی (ع): أيها الناس، إنه والله لو غير علی دعانا إلی قتال أهل الصلاهٔ ما أجبناه، ولا وقع بأمر قط إلّا ومعه من الله برهان، وفی يديه من الله سبب، وإنه وقف عن عثمان بشبههٔ، وقاتل أهل الجمل علی النكث، وأهل الشام علی البغی، فانظروا فی أموركم وأمره، فإن كان له عليكم فضل، فليس لكم مثله، فسلموا له، وإلّا فنازعوا عليه.

والله لئن كان إلی العلم بالكتاب والسنهٔ إنه لأعلم الناس بهما، ولئن كان إلی الإسلام إنه لأخو نبی‌الله، والرأس فی الإسلام، ولئن كان إلی العقول والنحائز (جمع نحيزهٔ وهی الطبيعهٔ) إنه لأشد الناس عقلًا، وأكرمهم

ص: ۲۳۶

نحيزة، ولئن كـان إلى الشـرف والنجـدة إنه لأعظم الناس شـرفاً ونجـدة، ولئن كان إلى الرضا، لقـد رضـى به المهاجرون والأنصار فى شورى عمر، وبايعوه بعد عثمان، ونصـروه على أصحاب الجمل والشام، فما الفضل الذى قربكم إلى الهدى، وما النقص الذى قربه إلى الضلال؟! والله لو اجتمعتم جميعاً على أمر واحد لأتاح الله له من يقاتل لأمر ماض، وكتاب سابق.

فاعترف أهل صفين لعدى بن حاتم بعد هذا المقام، ورجع كل من تشعب على على (ع).

وبعـد أن قـام على (ع) خطيبـاً، فحمـد الله وأثنى عليه، قال: «أيها الناس، إنه قـد بلغ بكم وبعـدوكم ما قـد رأيتم، ولم يبق منهم إلّا آخر نفس، وإنّ الأمور إذا أقبلت اعتبر آخرها بأولها، وقـد صبر لكم القوم على غير دين، حتى بلغوا منكم ما بلغوا، وأنا غاد بنفسـى بالغـداة فأحاكمهم بسيفى هذا إلى الله».

فقام عـدى وقال: يا أميرالمؤمنين، إنّ أهل الباطل لا تعوق أهل الحق، وقد جزع القوم حين تأهبت للقتال بنفسك، وليس بعد الجزع إلّا ما تحب، ناجز القوم.

وما يزال يشـير على على (ع) بالقتال حتى بعد أن استشـهد عماررضوان الله تعالى عليه، قال: والله ياأميرالمؤمنين ما أبقت هذه الوقعة لنا ولا لهم عميداً، فقاتل حتى يفتح الله تعالى لك، فإنّ فينا بقية؛ فقال على (ع): «يا عدى، قتل عمار بن ياسـر؟» قال: نعم، فبكى على (ع) وقال: «رحمك الله

ص: ۲۳۷

يا عمار، استوجب الحياة والرزق الكريم، كم تريدون أن يعيش عمار، وقد نيف على التسعين»؟

وهكذا كان عدى سباقاً لقتال القوم، وكلما رأى ضعفاً ينتاب جبهة الإمام على (ع) أو فرقة تلم بجنده بادر بالقول والفعل لدرء ما يحدث ويشجع القوم على القتال ومواصلته.

وعبارته فى كتاب وقعة صفين: إن كان أهل الباطل لا يقومون بأهل الحق، فإنه لم يصب عصبة منا وقد أصيب مثلها منهم، وكل مقروح، ولكنا أمثل بقية منهم. (۱)

عدى والتحكيم:

لقد اختلف القوم على الإمام على (ع) وكانوا بين رافض للهدنة والتحكيم، ويريد مواصلة الحرب ضد معاوية وجنده، ومن هؤلاء مالك الأشتر وقيس بن سعد، وكانا أشد الناس فى هذا، فيما عمل آخرون للصلح، وكان منهم الأشعث بن قيس، وشريح بن هانئ، وعمرو بن الحمق، وزحر بن قيس، وعدوا معهم عدى بن حاتم، وأيضاً عدوه فيمن رضى أن يتولى التحكيم من طرف الإمام على (ع) أبو موسى الأشعرى، خلافاً لما استقام عليه رأى الإمام (ع) أن يرسل عبد الله بن عباس لمقابلة عمرو بن العاص من طرف معاوية.

۱- الإمامة والسياسة ۱۳۸: ۱، ۱۴۴، ۱۴۶؛ كتاب وقعة صفين: ۴۸۲.

ص: ۲۳۸

کما کان عدی من الذین اختیروا شهوداً علی الحکمین، وکان منهم عبد الله بن عباس، والأشعث بن قیس، وزیاد بن کعب، وحجر بن عدی وآخرون؛ وذکروا أنّ عدیاً قال لعمرو: أما والله یا عمرو إنک لغیر مأمون الغناء، وإنک یا أبا موسی لغیر مأمون الضعف، وما ننتظر بالقول منکما إلّا أن تقولا والله ما لکما مع کتاب الله إیراد ولا صدر؛ فقال أبو موسی: کفوا عنا، فإنا إنما نقول فیما بقی، ولسنا نقول فیما مضی.

ولما انتهی التحکیم إلی من انتهی إلیه من خدیعة عمرو بن العاص لأبی موسی، وتشاتما ثم انصرف عمرو إلی معاویة، ولحق أبو موسی بمکة، وانصرف القوم إلی علی (ع)، قال عدی للإمام علی (ع): أما والله یا أمیرالمؤمنین، لقد قدمت القرآن، وأخرت الرجال، وجعلت الحکم لله.

فقال علی (ع): «أما إنی قد أخبرتکم أن هذا یکون بالأمس، وجهدت أن تبعثوا غیر أبی موسی، فأبیتم علی، ولا سبیل إلی حرب القوم حتی تنقضی المدة فصعد المنبر.. (۱)

۱- الإمامة والسیاسة ۱۵۷: ۱ ۱۵۸.

ص: ۲۳۹

من الأحداث الأخرى فى صفين:

عدى مستجاراً

وكان عدى واحداً من الذين استجار بهم الأصبغ بن ضرار الأزدى حين أخذه الأشتر أسيراً فى صفين، وجاء به ليلًا وشد وثاقه ينتظر به الصباح، وكان شاعراً مفوهاً، فرفع صوته فأسمع الأشتر:

أأخشى ولى فى القوم رحم قريبهٔ أبى الله أن أخشى والاشتر جارى

وجار سعيد أو عدى بن حاتم وجار شريح الخير قر قرارى

وفى الصباح لما جاؤوا به إلى على (ع)، قال للاشتر: فإذا أصبت منهم أسيراً فلا تقتله؛ فإنّ أسير أهل القبلهٔ لا يفادى ولا يقتل، فرجع به الأشتر إلى منزله وقال: لك ما أخذنا منك، وليس لك عندنا غيره.

ابنه زيد وموقفه منه:

على هامش وقعهٔ صفين، وفى حادث غير متوقع آلم عدياً كثيراً، وحين أقبل الناس على قتلاهم يدفنونهم.. كان هناك شخص من طىء وهو حابس بن سعد الطائى، خال زيد بن حاتم، الذى كانت له حكايهٔ مع الخليفهٔ الثانى عمر بن الخطاب، حين دعاه فقال له: إنى أريد أن أوليك قضاء حمص، فكيف أنت صانع؟ قال: أجتهد رأيى، وأستشير جلسائى، فانطلق فلم يمض إلّا يسيراً حتى رجع، فقال: يا أميرالمؤمنين، إنى رأيت رؤيا أحببت أن أقصها عليك؛ قال: هاتها، قال: رأيت كأن الشمس أقبلت من المشرق ومعها جمع عظيم، وكأن القمر أقبل من المغرب ومعه جمع عظيم، فقال له عمر: مع

ص: ٢٤٠

أيهما كنت؟ قال: كنت مع القمر، قال عمر: كنت مع الآية الممحوة، اذهب، فلا والله لا تعمل لى عملًا.

فرده فشهد مع معاوية صفين، وكانت راية طىء معه، فقتل يومئذ فمر به عدى بن حاتم، ومعه ابنه زيد بن عدى فرآه قتيلًا، فقال: يا أبه، هذا والله خالى، قال: نعم، لعن الله خالك، فبئس والله المصرع مصرعه، فوقف زيد فقال: من قتل هذا الرجل- مراراً- فخرج إليه رجل من بكر بن وائل طوال يخضب، فقال: أنا والله قتلته، قال له: كيف صنعت به؟ فجعل يخبره، فطعنه زيد بالرمح فقتله، وذلك بعد أن وضعت الحرب أوزارها.

فحمل عليه عدى يسبه ويسب أمه ويقول: يا ابن المائقة، لست على دين محمد إن لم أدفعك إليهم، فضرب [زيد] فرسه فلحق بمعاوية، فأكرمه معاوية وحمله وأدنى مجلسه، فرفع عدى يديه فدعا عليه فقال: أللهم إن زيداً قد فارق المسلمين، ولحق بالمحلين أو «بالملحدين» أللهم فارمه بسهم من سهامك لا يشوى أو قال: لا يخطئ- فإن رميتك لا تنمى، لا والله لا أكلمه من رأسى كلمة أبداً، ولا يظلنى وإياه سقف بيت أبداً؛ قال وقال زيد فى قتل البكرى:

من مبلغ أبناء طى بأننى ثأرت بخالى ثم لم أتأثم

تركت أخا بكر ينوء بصدره بصفين مخضوب الجيوب من الدم

وذكرنى ثأرى غداة رأيته فأوجرته رمحى فخر على الفم

لقد غادرت أرماح بكر بن وائل قتيلًا عن الأهوال ليس بمحجم

قتيلًا يظل الحى يثنون بعده عليه بأيد من نداه وأنعم

لقد فجعت طى بحلم ونائل وصاحب غارات ونهب مقسم

لقد كان خالى ليس خال كمثله دفاعاً لضيم واحتمالًا لمغرم

ص: ۲۴۱

ولما لحق زيد بن عدى بمعاوية، تكلم رجال من أهل العراق فى عدى بن حاتم، وطعنوا فى أمره، وكان عدى سيد الناس مع على (ع) فى نصيحته وغنائه، فقام إلى على (ع) فقال: يا أميرالمؤمنين، أما عصم الله رسوله من حديث النفس والوساوس وأمانى الشيطان بالوحى؟ وليس هذا لأحد بعد رسول الله (ص) وقد أنزل فى عائشة وأهل الإفك، والنبى (ص) خير منك، وعائشة يومئذ خير منى، وقد قربنى زيد للظن وعرضنى للتهمة، غير أنى إذا ذكرت مكانك من الله ومكانى منك ارتفع حنانى، وطال نفسى، و والله أن لو وجدت زيداً لقتلته، ولو هلك ما حزنت عليه، فأثنى عليه على (ع) خيراً؛ وقال عدى فى ذلك:

يا زيد قد عصبتنى بمصابة وما كنت للثوب المدنس لابسا

فليتك لم تخلق وكنت كمن مضى وليتك إذ لم تمض لم تر حابسا

ألا زاد أعداء وعق ابن حاتم أباه وأمسى بالفريقين ناكسا

وحامت عليه مذحج دون مذحج وأصبحت للأعداء ساقاً ممارسا

نكصت على العقبين يا زيد ردةً وأصبحت قد جدعت منا المعاطسا

قتلت امرأً من آل بكر بحابس فأصبحت مما كنت آمل آيسا.

(۱)

۱- وقعة صفين، لابن مزاحم: ۵۲۳.

ص: ۲۴۲

شهد عدی معرکهٔ النهروان:

لا یقل ثباته فی هذه المعرکهٔ عن وقعتی الجمل وصفین، حتی أنه لما أخبر بأن ولده طرفهٔ قد قتل، طلبه فوجده، فدفنه، ثم قال: ألحمد لله الذی ابتلانی بیومک علی حاجتی إلیک! (۱)

عدی فی خلافهٔ الإمام الحسن (ع)

وبعد وفاهٔ الإمام علی (ع) ظل عدی علی ولائه لأهل بیت النبوهٔ (هم)، ولکن فی هذه المرهٔ مع الإمام الحسن (ع).

عدی أول الناس عسکراً!

لما أراد معاویهٔ التوجه إلی العراق لقتال الإمام الحسن (ع)، یقول أبو الفرج فی هذا:

فاجتمعت العساکر إلی معاویهٔ بن أبی سفیان، وسار قاصداً إلی العراق، وبلغ الحسن (ع) خبر مسیره، وأنه بلغ جسر منبج، فتحرک لذلک، وبعث حجر بن عدی یأمر العمال والناس بالتهیؤ للمسیر، ونادی المنادی: الصلاهٔ جامعهٔ، فأقبل الناس یثوبون ویجتمعون، فقال الحسن (ع): إذا رضیت

۱- تاریخ الطبری ۱۲۳: ۳، أحداث سنهٔ ۳۷ هجریهٔ.

ص: ۲۴۳

جماعهٔ الناس فأعلمنی، وجاء سعید بن قیس الهمدانی، فقال: اخرج، فخرج الحسن (ع) فصعد المنبر، فحمد الله وأثنی علیه، ثم قال: «أما بعد، فإن الله کتب الجهاد علی خلقه، وسماه کرهاً یشیرالإمام (ع) إلی الآیهٔ الکریمهٔ: کُتِبَ عَلَیْکُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ کُرْهٌ لَکُمْ. (۱) ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنین: وَاصْبِرُوا إنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِینَ. (۲)

فلستم أیها الناس نائلین ما تحبون، إلّا بالصبر علی ما تکرهون، إنه بلغنی أنّ معاویهٔ بلغه أنا کنا أزمعنا علی المسیر إلیه، فتحرک لذلک، فأخرجوا رحمکم‌الله إلی معسکرکم بالنخیلهٔ، حتی ننظر وتنظروا ونری وتروا».

قال: وإنه فی کلامه لیتخوف خذلان الناس إیاه، فسکتوا فما تکلم منهم أحد، ولا أجاب بحرف، فلما رأی ذلک عدی بن حاتم قال: أنا ابن حاتم، سبحان الله، ما أقبح هذا المقام؟! ألا تحبون إمامکم، وابن بنت نبیکم؟ أین خطباء مضر؟ أین المسلمون؟ أین الخواضون من أهل المصر الذین ألسنتهم کالمخاریق فی الدعهٔ، فإذا جد الجد فرواغون کالثعالب، أما تخافون مقت الله، ولا عیبها وعارها.

ثم استقبل الحسن (ع) بوجهه فقال: «أصاب الله بک المراشد، وجنبک المکاره، ووفقک لما یحمد ورده وصدره، فقد سمعنا مقالتک، وانتهینا إلی أمرک، وسمعنا منک، وأطعناک فیما قلت وما رأیت، وهذا وجهی إلی معسکری، فمن أحب أن یوافینی فلیوافی».

۱- سورهٔ البقرهٔ: ۲۱۶.

۲- سورهٔ الأنفال: ۴۶.

ص: ۲۴۴

ثم مضى لوجهه، فخرج من المسجد ودابته بالباب، فركبه ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان عدى أول الناس عسكراً.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى، ومعقل بن قيس الرياحى، وزياد بن صعصعة التيمى، فأنبوا الناس ولاموهم وحرضوهم، وكلموا الحسن بمثل كلام عدى فى الإجابة والقبول.

فقال لهم الحسن (ع): «صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء بالقول، والمودة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً» ثم نزل. (۱)

۱- مقاتل الطالبيين، لأبى الفرج الأصفهانى: ۷۰۶۹.

ص: ۲۴۵

جولة فى الصحافة السعودية

د. حسن بن محمد سفر (۱)

توسعة صحن المطاف

بين المصلحة الشرعية والآثار الإيجابية. (۲)

يعيش العالم الإسلامى والدولى متغيرات جيوسياسية، جيوطموغرافية إضافةً إلى الزيادة فى الوعى الثقافى، والحراك الدينى، تمسكاً وتديناً، كون الإسلام عقيدة وشريعة ونظاماً، وقد أدرك العالم ما فى الإسلام من روحانيات وسكينة وسلم وسلام، خصوصاً المسلمين الذين عاشوا حقباً من الزمن فى الأقطاب المتجمدة، كدول روسيا التى اشتمت شعوبها الحرية والانفكاك من قيود العبودية، فهرعوا إلى الالتفات إلى شعائرهم وأداء فرائضهم كالحج والعمرة، فكان المقتضى الشرعى والإنسانى أن تهيأ لهم أماكن الشعائر كالمطاف وتوسعة المسعى، وهو عين ما تقوم به الدولة من رعاية وخدمة للحرمين الشريفين.. لذلك فإن المنطلق فى الشروع لتوسعة المطاف بعد دراسة، أصبح أمراً ضرورياً ولازماً وحيث إنّ القواعد الفقهية

۱- أستاذ السياسة الشرعية والأنظمة، عضو مجمع الفقه الإسلامى الدولى.

۲- جريدة عكاظ، العدد: ۳۱۴۰، ۲۱ يناير ۲۰۱۰ م.

ص: ۲۴۶

السياسية تسعف كقاعدة (إذا ضاق الأمر اتسع وإذا اتسع ضاق) وقاعدة (تصرف الإمام على الرعية منوط بالمصلحة)؛ وإن التوسعة لصحن المطاف هى من باب التوسعة والراحة للمسلمين والخلو من التزاحم والتدافع.

ومن خلال الاستقراء لنصوص الشريعة ومقاصدها، والمتغيرات، وازدياد أعداد المسلمين، تتغلب الجوانب المصلحية فى التمديد والتوسعة، مع المحافظة على الآثار والإبقاء على الرواق القديم، مع إدخال بعض التوسعات والتحسينات عليه، وتفريغ جزء منه للطائفين، وإعادة هيكلة وتوضيب العقبات بشكل هندسى حضارى للتخفيف من كثافة الطائفين فى صحن المطاف، ويمكن أن يطاف خلال الأروقة يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وحبذا لو كان هناك تقنين تنظيمى لدخول الطائفين والمعتمرين أوقات الذروة، إذا وصل سقف الاستيعاب ذروته، محافظةً على سلامة الأرواح، والأنفس، والنسوة، خصوصاً فى المواسم الرمضانية، والأعياد، والعمرة، ويجرى القياس بما هو معمول به فى التفويج لجسر الجمرات انتظاماً والله ولى التوفيق.

مولد النبى (ص).. ومولد خديجة (ها). (۱)

د. محمد عبده يمانى

۱- جريدة المدينة، الأربعاء، ۲۴ فبراير، ۲۰۱۰ م.

ص: ۲۴۷

هـذا حـديث عن مولـد النبی الكريم عليه أفضل الصـلاة وأتمّ التسـليم، والـذی ولد بمكة المكرمة، وكذلك عن مولد السـيدة خديجة رضـی الله عنهـا، هـذه السـيدة التی أحبهـا الله عزّوجـل، وحبب إليها رسول الله (ص) فكانت نعم السـند، ونعم المعين؛ ولـذلك عنـدما نسترجع جوانب من السـيرة النبويـة نحسّ بأن هناك محطات مهمـة، ومواقف ذات دلالات خاصـة، فی سـيرة النبی (ص) ولعل زواجه بالسـيدة خديجة بنت خويلد له دلالة عظيمة وأثر كبير فی حياته، وحياة الدعوة الإسـلامية، فهذه السيدة التی ولدت قبل ولادته بخمسة عشر عاماً أی على وجه التقريب فی عام (۵۵۶ م) قد ولدت فی مكة المكرمة وتوفيت بها فی العام الثالث قبل الهجرة وبعد البعثة بعشـر سنين، وقبرها معروف إلى اليوم فی الحجون.

هـذه السـيدة ليست سـيدةً عاديـةً ولا ـ عـابرة، وإنمـا امرأة مختـارة، اختارها الله عزّ وجل لتكون بجوار النبی (ص) فهی التی سـعت إليه ورغبت فی الزواج منه، وهی امرأة من الحنفاء لم تعبـد صـنماً، لم تدعم رسول الله (ص) بمالها فقط، ولكنها وقفت معه بكل ما تملك من رأی حصـيف وهمّـة عالية وإيمان برب كريم، أقسـمت به حتی قبل أن تدخل الإسـلام يوم قالت: «كلا والله .. لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتقری الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر».

هذا القسم يدلّ على إيمانها بالله الذی نوّر بصـيرتها، وفی قسـمها هذا إشارة واضـحة إلى صفاء فطرتها، وإلی ثقتها العظمی بالله تعالی، وأن هذه الصفات قد حثت عليها الشرائع السابقة، وهی لعلی يقين أنه نبیّ هذه الأمة،

ص: ۲۴۸

ولکن لیزداد قلبها یقیناً أخذته إلی ابن عمها ورقة بن نوفل، ذلک الشیخ الورع الزاهد الذی تعمّق فی الإنجیل، وفهم ما فیه من بشارات فهماً حقیقیاً أنّ نبیاً قد أظلّ زمانه، وعلماء أهل الکتاب ینتظرونه؛ لیقول لها بقلب مطمئن: إنه نبیّ هذه الأمة وجاء تأکیده تأکیداً لما کانت تراه من رؤی وتشعر به من مشاعر.

والنبی (ص) قد خصّه الله بفضائل کبری، فمن ینظر فی ولادته یجد أنها قد کانت بمکة المکرمة بعد ولادة السیدة خدیجة فی الثانی عشر من ربیع الأول من عام الفیل سنة ۵۷۱ م، ونشأ و دعا إلی الله عزّوجل، ونزل علیه القرآن بمکة المکرمة، وهاجر منها إلی المدینة المنورة بإذن ربه، وشاء الله أن یولد من أبوین کریمین لم یلتقیا علی سفاح قطّ، وقال عنهما: «خیار من خیار» حیث یقول (ص): «إن الله اصطفی کنانة من ولد إسماعیل، واصطفی قریشاً من کنانة، واصطفی من قریش بنی هاشم، واصطفانی من بنی هاشم، فأنا خیار من خیار من خیار»؛ وکانا من أهل الفترة و أهل الفترة بنص القرآن لا یعذبون لأن الدعوة لم تبلغهم.

وفی نصوص القرآن والأحادیث النبویة الشریفة ما یوضح ذلک بکل جلاء ویغنی عن کل ذلک، وأنّ النبی (ص) تنقل فی الأصلاب الطاهرة والأرحام الزکیة، فما افترقت فرقتان منذ آدم (ع) إلّا کان فی خیرهما.. ویکفینا: وَتَقَلّبَکَ فِی السَّاجِدِینَ وأنه دعوة أبیه إبراهیم (ع) الذی دعا له: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِیهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ والمقصود بالأمة فی الآیة: وَمِن ذُرِّیَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَکَ هم الذین کانوا علی الملّة حتی مبعث النبی (ص) وآمنوا به.

ص: ۲۴۹

إذاً فهو إنسان تنقل فی الأصلاب الطاهرة، والأرحام الکریمة، إلی أن ولد من أبوین کریمین لم یلتقیا علی سفاح قطّ، وسمی محمداً، ومن أسمائه (نبی الرحمة) و (رسول الرحمة) وهو (الرحمة المهداة).

وقد روی الحاکم عن أبی هریرة قال: قال رسول الله (ص): «إنما أنا رحمة مهداة» کما رواه الطبری بلفظ: «بعثت رحمة مهداة» ویذکر الشیخ أبوزهرة فی کتابه خاتم النبیین أنّ الرحمة کانت عنده ذات أثر عام، وللخلق کافة، ویذکر أن بعض أصحابه قالوا: یارسول الله أکثرت من ذکر الرحمة ونحن نرحم أزواجنا وذریاتنا. فقال (ص): «ماهذا أرید إنما أرید الرحمة بالکافة».

وقال القاضی عیاض فی کتابه الشفا: (ومما ذکر من خصائصه وبرّ الله سبحانه وتعالی به أنه خاطب الأنبیاء جمیعاً بأسمائهم فقال تعالی: یا آدم، یا نوح، یا إبراهیم، یا موسی، یا داود، یا عیسی، یا زکریا، یا یحیی، ولم یخاطبه سبحانه وتعالی إلّا بقوله: یا أیها النبی، یا أیها الرسول، یا أیها المزمل، یا أیها المدثر.

وقال ابن الجوزی: ما أقسم الله تبارک وتعالی بحیاة أحد غیره (ص) لأنه أکرم البریة عنده، وذلک قوله: لَعَمْرُکَ وما معناه: وبقائک یا محمد، وقیل: وعیشک، وقیل: وحیاتک.

وقال ابن عباس: ما خلق الله تبارک وتعالی ما ذرأ وما برأ نفساً أکرم علیه من سیدنا محمد (ص) ومن تعظیم الله له (ص) أن أخذ له میثاق النبیین، قال الله تعالی: وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِیثَاقَ النَّبِیِّینَ لَمَا آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتَابٍ

ص: ۲۵۰

وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أأقْرَرْتُمْ وَأخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِى قَالُوا أقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأنَا مَعَكُمْ مِنْ الشَّاهِدِينَ.

وعن جابر قال: قال (ص): «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلی: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لی الأرض مسجداً، فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لی الغنائم ولم تحل لأحد من قبلی، وكان النبی يبعث فی قومه خاصةً، وبعثت إلی الناس كافةً، وأعطيت الشفاعة».

وذكر الرواة أنه (ص) قال: «أعطيت جوامع الكلم، وختمت بی النبوة والرسالة، وأنا خاتم النبيين» وقال تعالی: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أبَا أحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وذكروا أنه (ص) قال: «وجُعلت أمتی خير أمة أخرجت للناس».

ولاشك أننا عندما نعلّم أولادنا نماذج مما اختص الله به نبينا من ميزات ومزايا وخصائص، وكيف أكرمه وقرن اسمه باسمه فإنّ هذا يزيدهم حباً له وتمسكاً بما قال وفعل، وكما قال قتادة: رفع الله ذكره (ص) فی الدنيا والآخرة، فما من خطيب ولا مستشهد ولا صاحب رسالة إلا ويقول: أشهد أن لا إله إلّا الله، وأن محمداً رسول الله، وهذا تشريف عظيم له (ص).

ولابد لأبنائنا أن يعرفوا أنه خير من آمن وأدی الأمانة ونصح الأمة وجاهد فی سبيل الله حتی أتاه اليقين، وكيف كان ذلك، اجعلوهم يستمعون لكم وأنتم تقصّون عليهم قصة أعظم وأنبل كفاح لأعظم وأنبل نبی ورسول، دعوهم يطلعون علی ما عاناه (ص) وهو ينشر دعوته بين قوم ران الجهل علی قلوبهم، فأعمی أفئدتهم، واستبدت الوثنية بعقولهم، فطمست

ص: ۲۵۱

على بصائرهم؛ قولوا لهم: إنه (ص) بـدأ الـدعوة إلى سبيل ربه بالكلمـة الطيبـة والموعظـة الحسـنة، وجادل قومه بالتى هى أحسن، ولم يكن فظاً ولا غليظاً ولا عاتياً ولا متكبراً، بل كان فيه اللطف واللين، والحلم والصبر، والتواضع والشـهامة والمروءة، وقـد حاول مع قومه بكل الوسائل لهدايتهم، ولم يسـتعمل السـيف إلّا بعد أن عُذِّب وأتباعه، وظُلم وأتباعه على أيدى صناديد قريش ومشركيها الذين نهبوا المـال، وعـذبوا الأجسـاد، واسـتباحوا الحرمـات، وقتلـوا النسـاء والأطفـال، وآخر الأـمر اضـطروهم للهجرة إلى الحبشـة، وتركك الأـهل والأوطان.

ثم كانت الهجرة إلى المدينة، فأذن الله لهم بالقتال كما قال سبحانه: أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ وذلك بعد أن أمعنت قريش فى ضـلالها، وتوغلت فى عنادها وكفرها، فخرج من مكة مهاجراً بدينه إلى يثرب، التى أصـبحت المدينة المنورة بوجوده فى ربوعها.

ولابـد لأبنائنـا أن يعرفوا أنه (ص) أولى بالمؤمنين من أنفسـهم، وهـذا ما قرره الله تعالى بقوله: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ولابد لأبنائنا أيضاً أن يعرفوا معنى هذه الآيات، فاشـرحوها لهم، وبينوا لهم كيف كان حريصاً على صالح الإنسانية، مضـحياً فى سبيل نصحها ونجاتها من عذاب الدنيا والآخرة، واذكروا لهم ذلك الحديث الشـريف الذى يصوّر فيه موقفه من قومه إذ يقول: «مَثَلى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبّهن عنها، وأنا آخذ بحُجزكم عن النار، وأنتم تفلتون من يدى».

ص: ۲۵۲

دعوا هذه الصورة المعبرة غاية التعبير تستقر فى أذهان الناشئين والناشئات، فإنّ لهم فيها وقاية وحماية، وهى حصنهم الحصين إذا ما اقترب أحدهم من هاوية فساد، أو همّ بأن يقترف ما يعاقب الله عليه فى الدنيا والآخرة.

اغرسوا فى قلوب الأبناء والبنات محبة رسول الله (ص) ومحبة آل بيته الطاهرين الطيبين واذكروا لهم قوله: «من أحبنى فقد أحب الله، ومن أطاعنى فقد أطاع الله».

وذكّروهم أن كل ما تنعم به البشرية اليوم من عقيدة صحيحة سليمة، وشريعة كاملة شاملة عادلة، تحقّق للإنسان الأمن والسلام والحياة الكريمة يرجع الفضل فيها إلى الله سبحانه وتعالى، ثم إليه».

وختاماً .. فقد كانت ولادته (ص) نوراً وهدًى ورحمة أضاءت الكون إلى يوم القيامة، فهو خاتم الأنبياء وسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ما الذى نستفيده من ذكرى

مولد خاتم النبيين؟! (۱)

د. زيد على الفضيل

۱- جريدة المدينة، الأحد، ۷ مارس، ۲۰۱۰ م.

ص: ۲۵۳

مع إطلالة شهر ربيع الأول من كل سنة، تعم الفرحة كل الوجوه استبشاراً بذكرى مولد خاتم الأنبياء والمرسلين، المنزّل رحمةً للعالمين، سيدنا محمد بن عبدالله الأمين، عليه وعلى آله أفضل الصلوات والتسليم، فى هذا الشهر بخاصة، وليلة الثانى عشر منه يتبادل المحبون التهانى، وتطرب الأفئدة لسماع أجمل المدائح النبوية، وينبرى الخطباء والدعاة والعلماء للحديث عن ملامح صفاته وعظائم أخلاقه (ص) وما أجمل مكان يُذكر فيه اسم الله، ويُذكر فيه حبيبه.

تلك هى حال كثير من المجالس على نطاق أفق عالمنا الإسلامى من شرقه إلى غربه، ولا شك فإنّ فى هذا الأمر مندوحة كبيرة إذا جانب أصحابها فعل المنكرات من الأفعال والأقوال التى تخرج صاحبها عن طريق الصواب.

والسؤال الجوهرى: ما الذى نستفيده كمسلمين من الاحتفال بذكرى مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام؟ وكيف نعمل على ترجمة تعاليمه السامية، وسلوكه النورانى بين أظهرنا فعلًا لا قولًا؟ وما الوسيلة الأمثل لتعريف العالم أجمع بحقيقة عظمة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين؟

و واقع الحال فلست هنا فى مكان الداعية أو المرشد الدّينى حتى أجيب عما سبق تفصيلًا، لكننى أحسب نفسى أحد العاملين على تدبر فقه التاريخ وسماته الروحية، الراغبين فى سبر أغواره، وبالتالى وبحسب تصوّرى فإنّ من أكبر إشكالاتنا كأمة إسلامية كامن فى عدم معرفتنا بشكل دقيق لجوهر حقيقة عظمة نبينا الذى أرسله الله رحمة للعالمين، لينقل الناس من

ص: ۲۵۴

غياهب الجهل إلى عوالم النور والمعرفة، ويحرر العباد من عبادة المخلوق إلى عبادة الخالق، فتتحقق العدالة المفقودة، وتتجلّى الغايات الربانية من الخلق، الهادفة إلى تعزيز التكافل والتراحم والمحبة بين جميع خلقه، القائمة على أساس من التساوى وفق ما تقتضيه لائحة الحقوق وقوانين السنن الكونية.

لأجل ذلك كان حرصه (ص) وطوال مسيرته النورانية خلال العهدين المكى والمدنى، على تعزيز قيم الحرية والعدالة والمساواة، وهى الثالوث المقدس لكل طالب حق على هذه البسيطة، وكل حارس للقيم ضمن جنبات مجتمعاتنا، فلم يعمد عليه الصلاة والسلام على فرض قناعاته الإيمانية على أى أحد كائناً مَن كان، كما لم يعمل على إلغاء ونزع شخصية الآخر المخالف له بأى صورة من الصور، أو فرض تغييرها حال اتباعه والإيمان به، كما هو الحال مثلًا مع أم ولده سيدنا إبراهيم السيدة ماريا القبطية، حيث لم يفرض عليها الدخول فى الإسلام بدايةً، فترك لها الخيار فى ممارسة طقوسها العبادية، بل وبنى لها صومعة لأجل ذلك، ثم وبعد إسلامها واتباعها له، لم يقم بتغيير اسمها، فظل اسمها ماريا من قبل ومن بعد، تلك هى الحرية التى مارسها النبى فعلًا وسلوكًا، وحضّ عليها الكتاب الكريم فى عديد من آياته الطاهرات كقوله جلّ وعلا: وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمن شاء فليكفر. وفيما يتعلق بالجانب العدلى فقد جاء النبى ليبدى سخطه من حالة التمايز المجحفة بين العرب قبل الإسلام، أولئك الذين إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإذا سرق فيهم الوجيه تركوه، ويعلنها مدويةً أمام الناس جميعاً بأنه لو سرقت فلذة كبده وريحانته وبضعته الشريفة فاطمة

ص: ۲۵۵

الزهراء لأقام عليها الحد، ما أجمل هذا الحسم الذی لا مراء فيه، وما أروع هذه القيمة حين تصبح حقيقةً باديةً للعيان!

فالعـدل وليس غيره أسـاس الكـون، وقيمـة وجـوده، وجـوهر رحمـة الله العـادل بين عبيـده، والعـدل فی جوهره عنوان للمسـاواة المراد تحقيقها بين بنی البشـر، فالناس جميعاً من خلق الله الواحـد الأحد، والكل نطفته الأولی من تراب، وهو ما حرص النبی علی إشاعته بين أصـحابه، وتعميقه فی نفوسـهم، فأين نحن من ذلک؟ وكيف تبـدلت أولويات قيمنا؛ لتصـبح مفاهيم الحريـة والاختيار شـيئاً من الخطإ الفـادح، والمعصـية الكبيرة، والاسـتلهام الشـيطانی، وتصـبح مفـاهيم العدالـة والمساواة من المفاهيم النسبيـة، التی يختلف فهم مـدلولها بحسب موقع وزاوية نظر الفقيه العالم؟!

أنزعوا فتيل الفتن-- ة

بين السُّنة والشيعة. (۱)

د. عائض القرنی

لا تحتاج الأمـة الإسـلامية إلی مزيـد من الشـقاق والفرقة والعداوات والمعارک، ففيها ما يكفيها، وليس من العقل ولا من الحكمة، ولا من المنطق أن يستعدی السنة الشيعة، وأن يستعدی الشيعة السنة، فلن يزيدنا هذا العداء

۱- الشرق الأوسط، العدد: ۱۱۳۸۲- ۱۰/ صفر/ ۱۴۳۱ ه-.

ص: ۲۵۶

إلّا تمزقاً وهزيمةً وإحباطاً وقلةً وذلةً، وما دام أنّ الله عزّوجل نهانا... فما المصلحة إذن فى أن يتراشق الرموز فى السنة والشيعة أو غيرها من الطوائف بالسباب والشتائم؟ ولما ذا نوقد نار الفتنة فى دائرة أهل الإسلام؟ وأمتنا الإسلامية تتعرض لحملة عدوان من الصهاينة، ومن أعداء الله فى كل مكان، بل رسولنا (ص) يُساء إليه جهاراً نهاراً برسوم مسيئة وتهم باطلة، فديناه بالآباء والأمهات والدماء والأرواح، فنترك هؤلاء الأعداء والرد عليهم ونصرة الدين والرسالة والرسول (ص) ونأتى إلى طوائف أهل الإسلام فنستثير رموزهم ونقلل من شأنهم وننشر معايبهم دون تذكر للنتائج المؤلمة.

لماذا لا يكون الحوار والتواصل والجدل بالتى هى أحسن والتعارف مكان التكفير والتبديع والتضليل والتفسيق، لقد شكونا وبكينا وتظلّمنا واعترضنا على سب أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأن الله رضى عنهم وزكاهم وأثنى عليهم، فهل نأتى لنأخذ السب سلماً والشتم طريقاً والقذف منهجاً لنصلح ما أفسده الدهر، والله إن مَنْ أراد الانتقام بالسب والشتم من إحدى الطائفتين أو غيرهما من طوائف الإسلام لا حقاً نصروا، ولا باطلًا كسروا، ولمصلحة من يُنشر الخلاف والسب والشتم والتجريح فى الفضائيات ومواقع الإنترنت؟ وكل مَنْ كتب سطراً واحداً أو قال كلمة واحدة فيها تكفير وتبديع وتضليل إنما صب الزيت على النار، وأضاف عود حطب إلى فرن العداوة، وعجبى من أتباع الطائفتين كيف يتحمّسون للخصومة والعداوة ويزرعون الكراهية فى القلوب ويغرسون البغضاء فى النفوس، لقد مرت بنا مئات الأعوام من السب والشتائم، فهل أصلحنا بذلك فساد ذات

ص: ۲۵۷

البين؟ وهل أنهينا بهذا المسلك الخلاف؟ وهل داوينا الجراح؟ بل والله زادنا وهناً على وهن، وخلافاً على خلاف، إنّ الخطاب الجميل والكلمة اللينة والذوق العالى منهج الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وقد أرشدنا الله عزّوجل إلى الحكمة والرفق واللين حتى مع فرعون ومع عبّاد الأصنام ومع اليهود والنصارى؛ لأن الرفق لا يكون فى شىء إلّا زانه، ولا يُنزع من شىء إلّا شانه، كما فى الحديث الصحيح، أما قال الله عزّوجل: ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَکَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ فأين نحن من هذا المنهج القويم والصراط المستقيم؟ لماذا نُخرج الحيات من جحورها والثعابين من بيوتها؟ لماذا نحوّل منابر الدعوة والحكمة والحوار والتربية والإقناع إلى منابر للسب والشتم والتكفير والتضليل والتجريح؟ ماذا ينتظر ممن أغضبناه وجرحنا مشاعره وآذيناه فى عرضه ومعتقده أن يقابلنا به؟ سوف يحاربنا بالسلاح نفسه والطريقة بعينها، مثلًا بمثل سواء بسواء، فلا نحن أقنعناه وأرشدناه، ولا نحن تركناه وحيّدناه، وإنما عاديناه وحاربناه واستثرناه وأيقظناه.

أيها الناس من السنة والشيعة وغيرهم من الطوائف أمسكوا ألسنتكم، وأغمدوا أقلامكم، والسكينة السكينة، والهدوء الهدوء، فأمتنا الإسلامية بها من الجراح والمآسى والصدمات واللكمات ما يعجز عن علاجه أطباء العالم وحكماء الدنيا حتى صرنا كما قال المتنبى:

فَصِرتُ إِذا أَصابَتنى سِهامٌ تَكَسَّرَتِ النِصالُ عَلى النِصالِ

ص: ۲۵۸

إنّ هذه المعارك المفتعلة هی نتيجة لإعراضنا عن اتباع الرسول (ص) وأهل بيته وأصحابه، وقد حذرنا الله من التفرق والاختلاف وذم من وقع فی ذلك من أعدائه، فقال: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

علماء: لا اختلاف بين المذاهب فی المشتركات. (۱)

احمد رافد- جدة

أجمعت آراء علماء على ضرورة نبذ الخلافات التی لا علاقة لها بالمشتركات الأساسية كالخلافات الطائفية بين افراد الأمة الإسلامية والتركيز على المشتركات فيما بينها والبعد عن المساس بالمعتقدات واتفقت الآراء على ضرورة الحوار بين المسلمين وتحريم الانتقاص من الصحابة أو شتمهم، وأشاروا إلى أنّ الأمة كانت قوية عندما كانت بعيدة عن التفرق والاختلاف ولم يدب الضعف فيها إلّا عندما اختلفت فيما بينها.

الدكتور محمد النجيمی، الأستاذ بالمعهد العالی للقضاء قال: إنه من المعلوم شرعاً أنه لا يكره أحد على أن ينتمی لعقيدة أو مذهب لا يريده قال تعالی: لَا إِكْرَاهَ فِی الدِّينِ وهذا مذهب عظيم فی الإسلام سواء مع المسلمين

۱- جريدة المدينة/ السبت، ۲۳ يناير ۲۰۱۰ م.

ص: ۲۵۹

أو غیرهم؛ أما بالنسبة للطوائف الإسلامیة فهناک مشترکات لا یجوز لأی طائفة أنها تقوم بمخالفتها، وهذه المشترکات أولها توحید الله وأنه المعبود بحق، وثانی هذه المشترکات القرآن الکریم، وسنة نبیه (ص).

.. وأضاف النجیمی من الطبیعی أن تکون هناک اختلافات فی الأمور التی یصوغ الاختلاف فیها شرعاً مؤکداً أنه لا یجوز أن یسب أو یشتم أحد حتی لو کان صاحب بدعة أو کان غیر مسلم، ولا یجوز أیضاً الاعتداء علی معبوداتهم وما یرونه؛ وذلک لأن الله تعالی قال: وَلَا تَسُبُّواْ الَّذِینَ یَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَیَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا؛ فالإسلام ینهی المسلمین عن سب معبودات الآخرین وما یقدسونه حتی لا یکون ذلک سبباً فی تبادل الشتائم، فمن باب أولی فإنه یجب علی المسلمین أن یتمسکوا بالمشترکات، وإن کان عند طائفة مخالفة فیتم مناقشتها بالحوار والدعوة إلی الله بالحکمة والموعظة الحسنة، ولیس بالسباب والشتائم أو بالتکفیر کما نلاحظ فی بعض المواقع؛ وأضاف النجیمی قائلًا بأنه لایمکن أن تجد عالماً سنیاً معتبراً فی العالم الإسلامی ویصدر منه سب أو تکفیر علی موقعه، بینما نجد فی بعض المواقع لدی بعض الطوائف تکفیر للناس ولمن لا یؤمن بما یؤمنون به، وأشار النجیمی إلی أنّ مبدأ الکراهیة والسب والشتائم مبدأ یجب أن یبعد من حیاتنا ومن تعاملنا.

و قال الدکتور حامد الرفاعی رئیس اللجنة الإسلامیة العالمیة للحوار إنه لاخلاف بین أهل السنة ولله الحمد وهناک انسجام کامل، مشیراً إلی أنّ المجمع الفقهی الاسلامی یضم کل المذاهب، وکلها معتمدة، لکن أشار

ص: ۲۶۰

إلی أنّ هناک خلافاً بین الطوائف وهی نوعان، منهم من جنح فی خلافه مع أهل السنة إلی أمور عقدیة وطبعاً هذه قضایا محسوم الأمر بها، والنوع الثانی ما یکون فی الخلاف المعقول فی القضایا العادیة.

وأضاف الدکتور الرفاعی قائلًا: أنا أری أن لا یدخل أهل السنة مع مماحکات بینهم وبین الطوائف الأخری، وقد سألنی الشیخ محمد مهدی شمس‌الدین وهو من أئمة الشیعة فی لبنان عن رأیی فی التقریب بین المذاهب؟

فأجبته إننی لست مع المهتمین بهذا الأمر، ولکن أنا مع تنقیح المذاهب بحیث یتم تنقیحها من کل ما یمس العقائد والبعد عنه، لافتاً إلی أنّ ما فی المذاهب من اجتهاد فی الرأی والاحکام فیه إثراء لشریعة الإسلام، أما الرأی إذا دخل فی دائرة العقائد، ودخل فی جوهرها، لم یصبح خلافاً مذهبیاً، بل خلاف اعتقادی ونحن کمسلمین خلافنا مع النصاری والیهود هو فی الجانب العقدی، أما من حیث الأصل نحن أهل کتاب وهم أهل کتاب، ولکن الذی یفرقنا هو الجوهرالعقدی، أی المسألة العقدیة؛ أما عن کیفیة التعامل، فأننا نصاحبهم فی الدنیا معروفاً والإسلام طرح قاعدة: لَکُمْ دِینُکُمْ وَلِیَ دِینٌ أی بمعنی لنا عقیدتنا ولکم عقیدتکم، أما مصالح الحیاة فتبقی مشترکة ویبقی الأخوة والتعامل الانسانی بیننا.

من جانبه قال الشیخ خالد الرمیح أمین هیئة المسلمین الجدد: إنّ التعصب المذهبی والعرقی والقبلی مرفوض فی الإسلام وأمة محمد (ص) ارتفعت عندما کانت متفقة فیما بینها وبعیدة عن التفرق، لکنها ضعفت عندما

ص: ۲۶۱

دب التفرق والخلاف والتعصب المذهبی والعرقی والقبلی، مضـيفاً أنه ينبغی أن يكون هناك احترام بين الطوائف والمذاهب، واحترام كامل بكل ما تعنيـة هـذه الكلمـة فلا يكون هناك اعتـداء من جهة ما علی أخری فی العالم ككل، ولا يمكن لمسـلم أن يسـكت علی الإسـاءة للرمـوز الإسـلامية، واسـتحلال الـدماء، فمن غير المعقول أن يعتـدی طرف علی الأـخری، ثم تكون هنـاك مطالبـة بالاـحترام، فالأولی أن تعصم الدماء، فهی أعظم من مجرد الاعتداء اللفظی أو فی المعتقد.

مصلون يشتكون ضعف قدراتهم .. والوزارة تدافع عنهم

جريدة العكاظ/ الخميس ۲۱/ ۱/ ۱۴۳۱ ه-

خطباء لا يملكون القـدرة علی الخطابـة، سواء فی قلـة ثقافتهم الشـرعية، أو لا يملكون فن الخطابـة والإلقاء وإقناع الآخرين، كما يشـير أحـد المصـلين بلال بن حسن، مبيناً إلی أنه يقطع مسافات طويلـة ليحضـر خطبـة جمعة لأحد البارزين فی الخطابة، من أجل الاسـتماع لخطبـة تتلمس حاجات الناس؛ وأوضـح بلال إلی أن كثيراً من خطباء مساجـدنا يميلون لرفع الأصوات، والبكاء والعويل، حتی تحولت الخطبة من أسلوب تذكيری إلی مشاعر جياشة، ليس بها جديد أو مفيد.

دفاع وآمال

ص: ۲۶۲

یـدافع إمام وخطیب جامع اللامی فی جـدة توفیق الصائغ عن خطباء المساجد، بتوضـیحه أنه مع وجود قلة من الخطباء ممن لا یملكون المقـدرة الخطابیـة المنبریـة، إلّا أنّ هناك الكثیر من خطبائنا المتمیزین، وفی كثیر من الأحیاء، مطالباً الخطباء بتطویر قدراتهم الخطابیة، لیصلوا إلی مستوی عال من التأهیل الخطابی.

ویشیر مـدیر عـام الأوقـاف والمساجـد فی محافظـة جـدة فهیـد البرقی إلی أنّ الخطبـاء قبیـل تعیینهم یخضـعون لآلیـة منظمـة وضوابط وتعلیمات، لضـمان الوصول إلی مسـتویات راقیـة من الخطب، مثل: التأهیل الجامعی فی أحـد التخصـصات الشـرعیة، واجتیازه الاختبار الذی تقیمه اللجنة الفرعیة لشؤون المساجد. وأشار إلی أنّ إداراته تقیم عدة دورات للخطباء والأئمة والمؤذنین بین الحین والآخر.

ومع تأكید مدیر أوقاف ومساجد جدة أنّ الخطباء یعتنون بخطبهم ویهتمون بها، فإنه یوضح استحالة الوصول إلی الكمال المطلق الذی ینتظره الناس..

آثار البقیع.. تراث إسلامی تهدده آراء فقهیة شاذة

شبكة التوافق- ۲۵/ ۱/ ۲۰۱۰ م

ص: ۲۶۳

إنّ الاعتـداء على آثار الأمـة التاريخيـة ضـرب من العنف الفكرى الـذى لا يختلف كثيراً عن العنف الجسـدى الذى تمارسه الجماعات الإرهابية، فهو إرهاب فكرى لا يقل فی خطورته وضرره عن الإرهاب المسلح.

كانت حجـة من سـعى ويسـعى هـدم تلك الآثار التاريخيـة الخوف من الشـركيات والبـدع والتبرك بها، وبحجـة عـدم وجود نصوص توجب الحفاظ عليها.

وفی هذا التحقيق الذی أعدته (شبكة التوافق الإخبارية) سيتناول الظروف والأسباب التی حثت على تدمير وتخريب الآثار الإسلامية فی مقبرة البقيع بالمدينـة المنورة، حتى نسـتطيع أن نتحرك بعـد ذلك بصورة واضـحة وجليـة على أبعاد هـذه القضـية، ولك أن تتساءل: لماذا- يا ترى- تصـرفت فئة قليلة من المسلمين باجتهادها المتطرف، ونظرتها الضيقة فی حق يملكه دين بأكمله، ويمثله السواد الأعظم من المسـلمين المنتشـرين فی مختلف بقاع الأرض هُدِّمَت وسُوِّيت آثار الإسـلام الأولى؛ لتخفى معالم تلك الحضارة وأضرحة رجالها ونسائها العظماء؟!

آثار البقيع قبل تدميرها

تشير المصادر التاريخيـة أن هنالك قباباً كانت تعلو قبور أئمّة أهل‌البيت (هم) كالقبّة الموجودة على قبر رسول الله (ص) لكنها هُدِمت سنة ۱۳۴۳ هجرية.

ص: ۲۶۴

وكان السلطان عبد المجيد أمر سنة: ۱۲۷۰ هجرية، بتجديد عمارة المسجد النبوىّ والقبّة النبويّة الشريفة، واستمرّ البناء نحو أربع سنين، وكذلک أمر ببناء قبّة أئمّة البقيع بعينِ البناء الذى بنى به قبر رسول الله (ص).

و كتب السيّد محسن الأمين: لمّا عُمِل فى زماننا شبّاک لضريحهم الشريف (أى لضريح أئمّة البقيع (هم)) بأصفهان من الفولاذ الدقيق الصنع، وبأعاليه الأسماء الحسنى لله تعالى بالخطّ الجميل المذهَّب، واستأذنت الدولة الإيرانية من الدولة العثمانيّة فى وضع الشبّاک على ضريحهم المقدّس، أذِنتْ لها .. ولمّا جاء به السيّد على القطب رحمه الله إلى جَدّة عارَضَ أهلُ المدينة (المتعنّتون منهم) فى وضعه على القبور المقدّسة، فبقى الشباک فى جدّة ثلاثة أعوام حتّى بذل الإيرانيون مبلغاً عظيماً من المال لأهل المدينة، فرضُوا بنقله ووضعه. ولمّا حُمل إلى المدينة المنوّرة، وأرادوا إزالة الصندوق الخشب الموضوع على القبور الشريفة، ووضع الشبّاک الجديد مكانه، منع أهل المدينة من ذلک، بحجّة أنّ الصندوق الخشبى وقفٌ لا يجوز تغييره! فاضطُرّوا إلى وضع الشبّاک (جانباً) خارج الصندوق، فنقصت ألواحه الفولاذية بسبب ذلک، فاضطُرّوا إلى إكماله بقطعة من الخشب بعد دهنها بما يقرب من لونه والكتابة عليها.

ورأيتُ القطعة الخشبية ظاهرة فيه مقصّرة عنه فى الرونق عند تشرّفى بزيارة المدينة المنوّرة بعد الحجّ عام ۱۳۲۱ ه-، وبعد ذلک عند تشرّفى بزيارتها من دمشق عام ۱۳۳۰ ه-، وبقى هذا الشبّاک حتّى أزاله

ص: ۲۶۵

الوهابيّون عام ۱۳۴۳ ه- حين دخلوا المدينة المنوّرة وهدمهم لقبّة أئمّة البقيع (هم) وقبورهم المقدّسة.

مراحل هدم آثار البقيع

الهدم الأول: (۱۲۲۰ ه-/ ۱۸۰۵ م) يقول الجبرتی- فی تاريخه عن أحداث يوم ۱۵ رجب ۱۲۲۰ ه- (۹ تشرين الأول أكتوبر ۱۸۰۵)-: وردت الأخبار بأن الوهابيين استولوا على المدينة المنورة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، بعد حصارها نحو سنة ونصف. ويشير فی موضع آخر إلی (هدم القباب).

الهدم الثانی (۱۳۴۴ ه-/ ۱۹۲۵ م) لعل أصدق وصف لهذه القضية هی تلك الرسالة التی أرسلها أحد الحجاج العراقيين لأحد علماء الشيعة فی العراق والتی نصها: صدر الأمر بهدم وتخريب المراقد الشريفة، فشرع الجند أولًا بنهب جميع ما تحتويه تلك البنايات المقدسة فی البقيع من الفرش والستائر والمعلقات والسرج وغير ذلك، ثم بدأوا يخربون تلك المشاهد المقدسة وفرضوا على جميع بنائی المدينة الاشتراك فی التخريب والهدم.

وهذا الجانب من التهديم اعتبر أساساً لكل أعمال التهديم والتدمير التی تعرضت لها الآثار الإسلامية بعد هذا التاريخ، خاصة أنّ كل هذه الأعمال تم دعمها بالفتاوی والأحكام السياسية فی ذات الوقت.

حفظ آثار البقيع وإعادة بنائها مهمة المسلمين

ص: ۲۶۶

وإذا كـان كـل هـذا الحفـظ التـاريخى لحضـارة الفراعنـة المصـريين عبر مقـابرهم وآثارهم، فلك أن تتألم على ضـياع الكثير من آثار الإسـلام فى مكـة المكرمـة، والمدينـة المنورة، وغيرهما، وتقدر حجم الخسارة الحضارية والتاريخية والدينية والنفسـية على المسـلمين ككل.

قال السـيد الشـهيد الصـدر (قـده): «إنّ المنطقة التى بقيت معروفة إلى الآن من البقيع هو المقدار الذى نراه بالصورة المعروفة التى تباع فى الأسواق، والتى فيها قبور المعصومين الأربعـة (هم) المـدفونين هناك، و قبر العباس بن عبدالمطلب، و اسـتمرت محفوظة و معروفة بفضل الله القادر القاهر جل جلاله، ومن ذلك نعرف أننا نسـتطيع بالدقـة معرفـة محل قبـة أهل البيت المهدومـة، فإنها كانت على هذه القبور أنفسـها، مع وجود مـا سـمعناه فى داخلهـا من الأضـرحة و الزينـة و الزخارف التى سـرقت كلها من قبل القائمين بالهـدم كما هو واضـح، و بطبيعـة الحال فإنّ كل الشـيعة بما فيهم شـيعة العراق وإيران و لبنان و باكسـتان و غيرهـم، مسـتعدون لإعادة البناء على القبور المهدومة، و هى أمنية كانت و لاتزال، و ستبقى فى قلوبنا حتى يقضى الله ما هو قاض».

ويقول الـدكتور يمانى شـهدت فترات ماضـية هـدماً فى بعض الآثار فى المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة والمشاعر المقدسـة، كمـا شـهدت أخرى اهتماماً بترميمها والحرص على المحافظـة عليها، واحـدة من تلك الآثار التى سُوِّيت بالأرض، هى قبور البقيع بالمدينـة المنورة، وبالرغم من أن محاولـة درسـها وإخفائها للأبـد لم تنجـح، إلّا أنّ هـدم أضـرحتها وتخريب معالمها قد حصـل للأسف الشديد.

ص: ۲۶۷

ويضيف: إنّ الآثار التى تمتلئ بها جنبات مكة المكرمة، والمدينة المنورة، تستحق منّا صيانتها ورعايتها كأمانة لدينا؛ لأنها تخصّ العالم الإسلامى، مؤكداً أنه من المهمّ أن لا نسمح لأى إنسان بالعبث فيها.

ورأى الدكتور أنور البكرى أنّ الكثير من الآثار بحاجة إلى الاهتمام.

وعلق الدكتور عمر فلاته فى هذا الشأن وقال: تحوى المدينة المنورة الكثير من الآثار، وبعض هذه الآثار لها ارتباط بالعبادة، والبعض ليس له ارتباط بها، ومع الأسف الشديد أنّ بعض القضايا مثل مسجد بنى قريظة الذى هدم.. هذا مسجد صلى الرسول (ص) به، وأنا فى تصوّرى أنّ هناك إهمالًا فى هذا المسجد.

المرجع الدينى السيد محمد الحسينى الشيرازى يقول فى هذا الصدد عن آثار البقيع الغرقد: إنّ لتلك الآثار دلالات للبشرية ومقومات للهداية، بالإضافة إلى أنها من أحسن الذكريات لا الذكرى فقط.. والدنيا بأجمعها تحتفظ بالآثار بكل أنواعها، حيث إنّ العقل والعرف يدلان على حفظها، ولا يكون ذلك خلاف الشرع الذى يصرح بالمرور فى ديارهم والنظر إلى آثارهم، وقد قال القرآن الحكيم: وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ* وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ. (۱) وقال تعالى: وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ. (۲)

۱- سورة الصافات: ۱۳۷- ۱۳۸.

۲- سورة الحجر: ۷۶.

ص: ۲۶۸

مشيراً أنّ حفظ آثار العذاب عبرة فكيف بآثار الصالحين؟! وكيف بالنبى العظيم (ص) والأئمة الطاهرين (هم) والأصحاب المكرمين، وهكذا بالنسبة إلى المؤمنات الطاهرات؟!

هذا بالإضافة إلى وجود المعنوية فى تلك الأماكن، كيف لا وقد قال سبحانه: فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ. (۱)

مخاوف من طمس ماتبقى من آثار

يقول الدكتور عبدالوهاب أبوسليمان عضو هيئة كبار العلماء فى هذا الشأن: «إنّ إزالة الآثار الإسلامية فيما لو حصلت ستحول التاريخ الإسلامى عند الأجيال القادمة إلى ما يشبه الأسطورة».

فالذى يتأمل فى كلام الدكتور عبد الوهاب يجد أن المحاولة التى نادت ولا تزال تنادى بإزالة آثار البقيع هى تهدف إلى محو التراث الإسلامى، وتحاول تشويه الصورة للأجيال المقبلة.

ويضيف الدكتور عبدالوهاب: أنّ زيارة أماكن الآثار الإسلامية فى الأصل مباحة، بل تصل إلى السنية لما تحدثه من طاقة إيمانية نتيجة الربط بالمكان.

ويرى أن عدم حفاظ الأمة الإسلامية على آثارها، وبالأخصّ أماكن إقامة النبى محمد (ص) لا يمكن وصفه إلّا بالعار عليها.

۱- سورة طه: ۹۶.

ص: ۲۶۹

ورفض الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان قبول بعض الآراء الفقهية، التى ترى أنّ هذه الأماكن والمواقع التاريخية الإسلامية ستؤدى إلى تصرفات شركية، قائلًا: حتى لو أزيلت فإنّ الاعتقادات الخاطئة ستظل موجودة».

و دعا الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان إلى المحافظة على الأماكن التاريخية وحمايتها من الطمس؛ لأن الإزالة لم تكن فى منهج السلف الصالح، وليست الأسلوب الصحيح لمنع الممارسات المخالفة للعقيدة بل هى تؤثر عكساً على إضعاف جذوة الإيمان فى نفوس الشباب، وذلك وفقاً لما نشرته صحيفة "عكاظ."

وانتقد عدد من المهتمين بالآثار، حسب ما أفادت به (صحيفة الشرقالأوسط) اللندنية ۴/ ۹/ ۲۰۰۵ م، ومنهم الدكتور عبد الله نصيف والدكتور عايض الردادى عضو مجلس الشورى، والدكتور أنور عشقى، التسرع فى اتخاذ خطوات الهدم والإزالة، ودعوا للحفاظ على ما تبقى من آثار إسلامية، ونادوا بالتريث فى إزالتها باعتبارها وسيلة للاعتبار والاستذكار.

وأكدوا أنه بضياعها يضيع إحياء سنة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتقديم النصح والإرشاد، ومشيرين إلى أهمية تصحيح الأخطاء الشرعية؛ لكى يتحقق الأجر، خاصة مع تنامى دور هذه المواقع الدينية كعامل جذب سياحى.

وجاء تصريح وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد صالح بن عبد العزيز آل الشيخ حاسماً لقضية المساجد السبعة، وما

ص: ۲۷۰

طرح حولها من آراء متباینـة تتجاذبها بین المناداة بإزالتها والإبقاء علیها، وفق أسـباب وحجـج تحکم قناعات کل طرف بتأکیـده (بعدم التعرض لها بإزالـة أو تغییر لمعالمها وطالب بالاهتمام بها وتزویدها بکافة الخدمات أسوةً بالمساجد الأخری رغم أنه قد تم إزالة بعض منه) وأصدرت الهیئة العلیا للسـیاحة قرارات حاسمة بعدم إزالة الآثار والعبث بها فی المدینة المنورة، وأکد الأمیر سلطان أنه صدر قرار من ولی العهـد بعـدم إزالـة أیة مبان أو آثار إلّا بعد معاینتها من وکالة الآثار، حتی نتمکن من تقییمها؛ لأنّ وکالة الآثار وهیئة السـیاحة هما الأقدر علی تقدیر أهمیة ذلک الأثر حضاریاً وإنسانیاً.

وطالب وزیر الداخلیـة أمراء المناطق المسانـدة فی هـذا الخصوص، إضافـةً إلی مطالبـة الأمیر متعب بن عبد العزیز وزیر الشؤون البلدیة والقرویة، أمانات وبلدیات المدن بعدم المساس بالآثار أو التعرض لها بأیة حجة کانت.

عضو هیئة کبار العلماء فی السعودیة یقول:

إنّ من العار إزالة الآثار النبویة

شبکة راصد الإخباریة/ ۵/ ۱/ ۲۰۱۰ م

ص: ۲۷۱

قال عضو هيئة كبار العلماء فى السعودية الدكتور عبدالوهاب أبوسليمان: إنّ من "العار "إزالة الآثار الإسلامية فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ورفض أبوسليمان الآراء الفقهية التى ترى أنّ هذه الأماكن والمواقع التاريخية الإسلامية ستؤدى إلى تصرفات شركية.

مبيناً أنّ زيارة هذه الأماكن فى الأصل مباحة بل تصل إلى السنية لما تحدثه من طاقة إيمانية نتيجة الربط بالمكان.

وأضاف فى تقرير لصحيفة عكاظ أنه حتى لو أزيلت فإنّ الاعتقادات الخاطئة ستظل موجودة.

وقال: إنّ عدم حفاظ الأمة الإسلامية على آثارها، وبالأخص أماكن إقامة النبى محمد لا يمكن وصفه إلّا بالعار عليها.

موضحاً بأن زيارة هذه الأماكن فى الأصل مباحة بل تصل إلى السنية؛ لما تحدثه من طاقة إيمانية نتيجة الربط بالمكان.

ودعا عضو هيئة كبار العلماء لدى تكريمه فى نادى مكة الأدبى يوم الاثنين إلى توظيف الآثار الباقية من أماكن ومواقع فى خدمة الدعوة الإسلامية وربط الأجيال القادمة بدينهم.

وتابع بأن إزالة الآثار الإسلامية فيما لو حصلت ستحيل التاريخ الإسلامى عند الأجيال القادمة بما يشبه الأسطورة على حد وصفه.

واعتبر متابعون أنّ كلام أبوسليمان يعد سابقة فى تاريخ هيئة كبار العلماء، أرفع هيئة إفتاء فى المملكة، والتى عرف أعضاؤها بالتشدد الدينى،

ص: ۲۷۲

خصوصاً تجاه الإبقاء على الآثار النبوية التی تعرض أغلبها للطمس والإزالة على يد الوهابيين طيلة ۱۰۰ عام الماضية.

علماء «البحوث الإسلامية» يشدّدون على التقارب بين السُنة والشيعة

شبكة الملتقی ۲۷/ ۲/ ۲۰۱۰ م

شدّد مؤتمر علماء مجمع البحوث الإسلامية المنعقد فی القاهرة اليوم (السبت) بعنوان (صحابة رسول الله) على مبدأ التقارب بين السُنة والشيعة، فی الوقت الذی اتهم فيه علماء مشاركون ما أسموه (الإعلام غير المسؤول) بتهويل الخلاف بين الجانبين.

فقد شدد شيخ الأزهر، الدكتور محمد سيد طنطاوی، فی كلمته أمام المؤتمر ال- ۱۴ لمجمع البحوث الإسلامية، والذی بدأت أعماله فی مقر لأزهر الشريف، على أهمية التقارب بين السُنة والشيعة، لعدم وجود خلاف جوهری بينهم، وذلك من أجل وحدة الأمة الإسلامية، ودعا إلى أن يقتصر البحث فی هذا على العلماء والمختصين، محذراً فی الوقت نفسه من مغبة التهويل فی هذا الخلاف من أعداء الأمة الإسلامية، حسب قوله.

من جانبه، حذر وزير الأوقاف الأردنی، وعضو مجمع البحوث، الدكتور عبدالسلام العبادی، مما وصفه ب- (الإعلام غير المسئول) الذی يهول

ص: ۲۷۳

الخلاف بين السُنة والشيعة لأغراض سياسية أو مذهبية، مؤكداً دور أهل العلم والاختصاص فى بحث التقريب بين المذاهب الإسلامية.

وطالب العبادى، فى كلمته أمام المؤتمر، حسبما نقلت وكالة أنباء الشرق الأوسط الرسمية، بتعديل بعض المناهج الدراسية فى المؤسسات العربية، لتنقيتها من أى فكر لا يشجع على التقارب بين المذاهب، محذراً من التوترات السياسية فى العالم الإسلامى بسبب الخلافات المذهبية.

كما شدد الدكتور على الهاشمى، مستشار رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة للشؤون الدينية، وعضو المجمع، على ضرورة التقريب بين المذاهب الإسلامية، خاصة السُنة والشيعة، لدور ذلك الحيوى فى وحدة العالم الإسلامى، مشيراً إلى جهود الأزهر فى هذا الصدد، من أجل إزالة أى خلافات مذهبية فى الأمة الإسلامية.

وبدوره، أوضح المفكر الإسلامى، الدكتور محمد عمارة، عضو مجمع البحوث، ضرورة أن يتولى أهل العلم والاختصاص بحث أى خلاف مذهبى أو عقائدى، وعدم نقل ذلك الخلاف للعامة ووسائل الإعلام، خاصة غير المسؤولة، لأثر ذلك فى توسيع الخلاف وتفريق الأمة الإسلامية.

ص: ۲۷۴

وَذَكِّرْهُمْ بِأَيّامِ اللهِ

وَذَكِّرْهُمْ بِأَيّامِ اللهِ (۱)

مناسبات شهر ذى الحجة الحرام

أيوب الحائرى

تمهيد

قد اهتم الإسـلام أشد الاهتمام بالزمان والتاريخ كعامل مهم فى حياة الأمم، حيث وردت فى القرآن الكريم سور بكاملها بأسماء الزمان مثل: سورة الدهر، وسورة العصر، حيث أقسم تعالى به.

وتزداد مكانـة بعض الأيام والتواريخ فى الإسـلام، بحسب الأحداث التى وقعت فيها، أو التى سـتقع فيها، وهذا ما نلمسه من واقع حياتنا كمسـلمين، إذ وردت أحـاديث كثيرة فى فضل بعض الأيام بالخصوص؛ فليلـة القـدر فى القرآن خير من ألف شـهر، ويوم الجمعـة لها خصوصـية معينة، وحدث هجرة الرسول (ص) له مكانة عالية إذ جعل مبدءاً للتاريخ فى الإسـلام، فسميت السنة بالهجرية نسبة إلى هذه الحادثة العظيمة.

وليست هذه منحصـرة بالإسلام، بل سارت إلى غيره من الديانات، فقد اعتمد المسيحيون يوم ميلاد السيد المسيح (ع) مبدءاً لتقاويمهم تخليداً لذلك الحدث الهام.

۱- سورة إبراهيم: ۵.

ص: ۲۷۵

ومما ينبغى الإشارة إليه فى هذا المجال، هو التركيز على الاستفادة المثلى من هذه المناسبات لما فيه خير الإسلام والمسلمين، ولا يتم ذلك إلّا من خلال نشر الوعى والثقافة الإسلامية الصحيحة، والسعى لتمثل تلك التجارب الإسلامية الناجحة فى واقعنا المعاصر، ولاسيما فيما يتعلق بذكريات الشخصيات الإسلامية الخالدة، من خلال جعلهم قدوات فى حياتنا العملية، وتذكير الأمة بالقدرات العلمية والثقافية والنماذج الصالحة التى زخرت بها فى كل العصور إلى يومنا هذا.

وفيما يتعلق بشهر ذى الحجة الحرام هو من الشهور المهمة العبادية التى جعل الله تعالى فيها مواقيت بغية تعميق العلاقة والارتباط به والتفرّغ له عمّا سواه، خصوصاً العشرة الأولى منه حيث جعلها الله تعالى موعداً للقائه والتقرب منه والزلفة إليه، وهى المراد بقوله تعالى: وَاذْكُرُواْ اللَّهَ فِیَ أیّامٍ مّعْدُودَاتٍ. (۱) وهى العشرة التى أتم بها موسى (ع) ميقاته مع ربه.

و فى هذا الشهر توجد مجموعة من المناسبات المهمة، فاليوم الأول منه كان مناسبة زواج الإمام على (ع) من فاطمة الزهراء (ها)، واليوم الثالث منه كان تبليغ سورة البراءة من قبل الإمام على (ع)، وكذلك كان وصول النبى (ص) مكة لأداء حجة الوداع، وفى اليوم السابع منه كانت شهادة الإمام الباقر (ع)، وفى اليوم الثامن منه كان خروج الإمام الحسين (ع) من مكة إلى العراق، وفى التاسع منه هو يوم عرفة، اليوم الذى دعا الله تعالى عباده فيه إلى طاعته وعبادته، وبسط لهم موائد إحسانه وجوده، وكذلك يوم شهادة مسلم بن عقيل، والعاشر منه جعله الله عيداً لجميع المسلمين، وفى اليوم الثامن عشر منه أتم الله النعمة على المسلمين بتنصيب الإمام على (ع) من قبل

۱- سورة البقرة: ۲۰۳.

ص: ۲۷۶

الرسول (ص) فكان إكمالًا لدينه؛ وغيرها من المناسبات العطرة، فحرىّ بالمسلم أن يستثمر هذا الشهر، لكى يربّى نفسه تربية إلهية من خلال الاهتمام بالأعمال العبادية فى هذا الشهر المبارك ويُحيى تلك المناسبات تعظيماً لشعائر الله تعالى، وفيما يلى أقدم استعراضاً لتلك المناسبات.

مناسبات شهر ذى الحجة

الرقم اليوم المناسبة السنة

۱ ۱/ ذوالحجة زواج الإمام على (ع) من فاطمة الزهراء (ها). ۲ ه-

۳ ۲/// أمر النبى (ص) علياً (ع) تبليغ سورة البراءة فى الحج. ۹ ه-

۳ وصول النبى (ص) إلى مكة لحجة الوداع. ۱۰ ه-

۷ ۴/// استشهاد الإمام محمد الباقر (ع). ۹۵ ه-

۸ ۵/// يوم التروية- خروج الإمام الحسين (ع) من مكة العراق. ۶۰ ه-

۹ ۶/// يوم عرفة. من كل عام

۷ استشهاد مسلم بن عقيل وهانى بن عروة. ۵۹ ه-

۱۰ ۸/// عيد الأضحى المبارك (يوم النحر). من كل عام

۱۸ ۹/// يوم الغدير (نصب على (ع) وصياً من قبل النبى (ص). ۱۰ ه-

۲۲ ۱۰/// استشهاد ميثم التمار رضوان الله عليه. ۶۰ ه-

۲۴ ۱۱/// يوم المباهلة مع نصارى نجران. ۱۰ ه-

۲۴ ۱۲/// يوم تصدّق الإمام على (ع) بالخاتم للفقير. ۱۰ ه-

۲۵ ۱۳/// نزول سورة الإنسان فى فضل أهل البيت (هم). ۱۰ ه-

۲۵ ۱۴/// البيعة لعلى بن أبى طالب (ع) بالخلافة. ۳۵ ه-

ص: ۲۷۷

(۱/ ذو الحجة/ السنة ۲ ه-)

۱. زواج الإمام على (ع) من فاطمة الزهراء (ها)

كان عمر الإمام على (ع) قد بلغ أربعاً وعشرين سنة، والسيدة فاطمة الزهراء قد أكملت التاسعة من عمرها وقد تقدم إلى رسول الله (ص) الكثير من الصحابة يطلبون يدها، إلّا أنّ الرسول (ص) امتنع عن ذلك، وصرح بأنه ينتظر فيها قضاء الله. (۱) إلى أن تقدم أميرالمؤمنين (ع)؛ لخطبتها من رسول‌الله (ص)؛ فقال له (ص): «يا على قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة فى وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك».

فلما دخل النبى (ص) على فاطمة (ها)، وأخبرها بالأمر الذى جاء لأجله على (ع)، سكتت ولم تولّ وجهها، ولم يرَ فيه الكراهية التى كان يراها فى عرض غيره عليها، فقام وهو يقول (ص): «الله أكبر، سكوتها إقرارها»، فخرج إلى على (ع) وموافقة الزهراء بادية على قسائم وجهه، تحكيها ابتسامته المباركة.

فقال (ص): «يا على هل معك ما أزوّجك به؟» فقال (ع): «فداك أبى وأمى، والله لا يخفى عليك من أمرى شىء، أملك سيفى ودرعى وناضحتى».

۱- أنساب الأشراف ۳۰: ۲.

ص: ۲۷۸

فقال (ع): «يا على، أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به فى سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحتك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك فى سفرك، ولكنى قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك، بع الدرع، وائتنى بثمنه». (۱) باع الإمام على (ع) الدرع بأربعمائة وثمانين درهماً. (۲) وقيل بخمسمائة. (۳) وجاء بالدراهم وطرحها بين يدى النبى (ص)، فكان هذا فقط صداق أشرف وأعظم فتاة عرفتها دنيا الإنسان.

ثم إنّ النبى (ع) قسّم المبلغ أثلاثاً، ثلثاً لشراء الجهاز، وثلثاً لشراء الطيب، وثلثاً تركه عند أم سلمة أمانة، ثم ردّه بعد ذلك إلى على (ع) قُبيل الزفاف، إعانةً منه لوليمة الزفاف.

دفع النبى (ص) الثلث لأبى بكر وسلمان وبلال ليشتروا لفاطمة (ها) متاع بيتها، فكان ما اشتروه متواضعاً غاية التواضع، بحيث لما طرح بين يدى النبى (ص) أخذ يقلّبها بيده، ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: «أللهم بارك لقوم جُلُّ آنيتهم الخزف». (۴)

۱- الإصابة للعسقلانى ۳۶۵: ۴.

۲- كانت تسمى هذه الدرع ب- الحطيمة لأنها كانت تحطم السيوف.

۳- بحار الأنوار ۱۴۴: ۴۳.

۴- المصدر السابق ۱۳۰: ۴۳، الحديث ۳۲.

ص: ۲۷۹

ومن خلال هـذه النظرة السـريعة لهـذا الحدث الكبير فى تاريخ الإسـلام يمكن اسـتقراء جملة من الدروس التربوية العظيمة التى جعلها النبى (ص) معالم للأجيال، يمكن الإشارة إلى أهمها وهى:

أولًا: اختيـار على (ع) لفاطمـة (ها)- وإن كان من قبل السـماء بقوله (ص): «إنّ الله أمرنى بأن أزوِّج فاطمـة من على». (۱)- لكنه كان وفق ضوابـط الإيمـان وأهليـة كـل طرف للطرف الآخر، ويـدلّل ذلك بوضوح على أهميـة هـذه الضوابط واعتبارها هى الأساس الـذى يجب أن تبنى عليه أركان الأسرة المسلمة وكيانها.

ولعـلّ فى الكلاـم الـذى روى عن النـبى (ص): «يـا فاطمـة، أمـا إنى مـا آليت أن أنكحتـك خير أهلى». (۲) إشـارة إلى لزوم انتخـاب الأصلح.

ثانياً: السـنن والـدروس النبويـة التى طبعت فى معالم تشـكيل هذه الأسـرة المباركة من قلة المهر وإطعام الطعام وإقامة الفرح والسـرور، وتوصية الطرفين أحدهما بالآخر، والبساطة فى تجهيز أثاث البيت ومتطلباته.

عاش على وفاطمـة (ما) على أحسن حال، فلم يشـتك على من فاطمـة طيلة حياته معها، وكذلك فاطمة، بل كان كل منهما للآخر نِعم العون على طاعـة الله، وهناك كثير من النصوص تؤكّـد هـذه الحقيقـة، فقد قال على (ع) فى بيان العلاقة بينهما: «فوالله ما أغضـبتها ولا أكرهتها على أمر حتى

۱- ذخائر العقبى: ۷۰.

۲- الطبقات الكبرى ۲۴: ۸.

ص: ۲۸۰

قبضها الله عزّوجل، ولا أغضبتنى ولا عصت لى أمراً، لقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنى الهموم والأحزان». (۱) وجاء فى آخر كلام لها (ها) مع على (ع): «يا بن العم ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة، ولا خالفتك منذ عاشرتنى»، فقال (ع): «معاذ الله أنتِ أعلم وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله أن أوبخك بمخالفتى». (۲) لقد كان التناغم والتلاؤم بين الإمام على والسيدة فاطمة (ما) ما تعكسه هاتان العبارتان، وكيف لا يكونان كذلك وهما من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بنص كتابه العزيز: إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. (۳) (۳/ ذو الحجة/ السنة ۹ ه-)

۲. أمر النبى (ص) علياً (ع) تبليغ سورة البرائة فى الحج

۱- المناقب للخوارزمى: ۲۵۶؛ كشف الغمة ۳۶۳: ۱؛ بحار الأنوار ۱۳۴: ۴۳.

۲- أمالى الشيخ الطوسى ۳۸۴: ۱؛ بلاغات النساء، لابن‌طيفور: ۲۰؛ روضة الواعظين: ۱۵۱.

۳- سورة الأحزاب: ۳۳.

ص: ۲۸۱

وفی هذا الیوم من السنة التاسعة للهجرة أرسل النبی (ص) علیاً (ع) إلی مکة بالآیات الأولی من سورة البراءة، لیقرأها علی کفّار مکة.

قال جبریل: «إن الله یقرئک السلام ویقول لک: لا یؤدی عنک إلّا أنت أو رجل منک؛ فاستدعی رسول الله (ص) علیاً (ع)... (۱) هذه الحادثة تشیر إلی جملة من النقاط المهمة:

أولًا: الأهمیة الخاصة لهذه الآیات الشریفة وما تتضمنه من إمهال الکفار والمشرکین فترة أربعة أشهر، تبدأ من العاشر من ذی الحجة وتنتهی بالیوم العاشر من شهر ربیع الأول للسنة العاشرة.

ثانیاً: تبین الحادثة فضل أمیرالمؤمنین (ع)، وقد ورد فی بعض النصوص کما فی (مسند أحمد بن حنبل): أنّ علیاً (ع) قال: «یا رسول الله لست خطیباً، فقال النبی (ص): لا محیص عن ذلک، فإما أن أذهب بها أو تذهب بها، فقال علی (ع): إذا کان ولا بدّ فأنا أذهب بها، فقال له النبی (ص): انطلق بها فإنّ الله یثبت لسانک ویهدی قلبک». (۲) ثالثاً: مع أهمیة العهود والمواثیق فی الإسلام إلّا أن الأمر الإلهی أعلن من خلال هذه الآیات إعلاناً عاماً أمام الناس کافة: وَأَذَانٌ مّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَی النّاسِ یَوْمَ الْحَجّ الأَکْبَرِ أنّ اللهَ بَرِیَءٌ مّنَ الْمُشْرِکِینَ وَرَسُولُهُ .... (۳)

۱- الإرشاد ۶۵: ۱.

۲- مسند أحمد بن حنبل ۳۳۱: ۱ ط/ مصر.

۳- سورة التوبة: ۳.

ص: ۲۸۲

فقد تصرف الوحی والرسول (ص) معهم كما تصرف مع اليهود الذين نقضوا عهودهم ومواثيقهم من جانب واحد، وذلك بالتآمر سراً مع أعداء الإسلام، أو محاولة اغتيال النبی (ص) فتمت مواجهتهم وطردهم من المدينة، لكن بعض المعاهدات بقيت سارية المفعول، سواء أكانت ذات أجل مسمى أم لم تكن؟

إنّ القرائن والدلائل التی ظهرت من جانب المشركين تدل على أنهم كانوا على استعداد فيما لو استطاعوا أن يوجهوا ضربة قاضية للمسلمين دون أدنى اعتناء بعهودهم، ومن البديهی أنه إذا رأى الإنسان عدوه يتربص به ويستعد لنقض عهده، ولديه قرائن على ذلك وعلائم واضحة، أن ينهض لمواجهته قبل أن يستغفله، ويعلن إلغاء عهده، ويرد عليه بما يستحق.

ومن الجدير ذكره فی هذا الباب أنّ القوانين الدولية المعاصرة لاتعترف بالمعاهدات بين الدول إذا ما تم إقرارها والتوقيع عليها تحت الضغوط والقوة القاهرة.

رابعاً: إن الأديان والعقائد الفاسدة مثل عبادة الأصنام ليست عقيدة ولا فكراً، بل هی خرافة ووهم باطل خطر، فيجب القضاء عليها وإزالتها من المجتمع الإنسانی.

فإذا كانت قوة عبدة الأصنام وقدرتهم بالغة فی الجزيرة العربية آنذاك، فاضطر النبی (ص) بسبب تلك الظروف إلى معاهدتهم ومصالحتهم، فإنّ ذلك لا- يعنی أنه لا يحق له إلغاء معاهدته- إذا ما قويت شوكته- وأن ينقض عهده الذی سيعتبر مخالفاً للمنطق والعقل فيما لو استمر عليه؛ كما أنّ

ص: ۲۸۳

هذا الحكم مختص بالمشركين، أما أهل الكتاب وسائر الأقوام الذين كانوا فی أطراف الجزيرة العربية فقد بقيت المعاهدات معهم على حالها ولم ينقض النبی (ص) مواثيقهم وعهودهم حتی وفاته.

إنّ البراءة فی الآية المذكورة أعلاها لا تختصّ بمشركی الجزيرة بل إنها تشمل البراءة من مشركی العالم كله، الموجودين فی عصر الرسالة ومن بعدهم إلی يوم القيامة. وهذه الآية تعلن عن أوضح موقف سياسی تجاه المشركين وأعداء الإسلام.

وأما من تمسّک بقوله تعالی: فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِی الْحَجّ. (۱)

لتحريم المظاهرات وإعلان البراءة من المشركين، فمردود؛ لأنّ المشهور عند المفسرين فی تفسير هذه الآية أنّ الرفث هو الجماع والفسوق هو جميع المعاصی، والمراد بالجدال هو المراء والمشاجرة والمنازعة. (۲) هذا ما عند القوم، وأمّا عند أهل البيت (هم) فقد فُسّر الجدال المذكور فی الآية بقول الرجل: لا والله، وبلی والله. (۳) وأين هذا من تحريم مطلق الجدال الذی يدعيه القوم؟! وقد اتخذه الوهابيون دليلًا على حرمة المظاهرات وإظهار البراءة من الكفار والمنافقين فی موسم الحج.

ومن هذا المنطلق كان الإمام الخمينی (قده) يری بأنّ السياسة جزء من الدين، وأنّ عملية فصل السياسة عن الدين التی شاعت خلال العقود

۱- سورة البقرة: ۱۹۷.

۲- الكشاف، للزمخشری ۲۶۳: ۱.

۳- نور الثقلين ۱۶۲: ۱.

ص: ۲۸۴

الأخيرة من هذا القرن، إنما روّج لها المستعمرون، وأنّ النتائج المشؤومة لهذا الفصل واضحة فى العالم الإسلامى وبين أتباع سائر الأديان الإلهية.

وكان الإمام الخمينى (قده) يعتقد بأنّ الإسلام دين الهداية البشرية فى جميع مراحل وأبعاد وأدوار الحياة الفردية والاجتماعية، ولما كانت العلاقات الاجتماعية والسياسية جزءاً لا يتجزأ من حياة البشر، فإنّ الإمام الخمينى (قده) كان يرى أنّ الإسلام الذى يهتم بالجوانب العبادية والأخلاقية الفردية فحسب، ويصدّ المسلمين عن تقرير مصيرهم وعن المسائل الاجتماعية والسياسية، إسلام محرّف، وعلى حد تعبير سماحته "إسلام أمريكى."

لقد بادر الإمام الخمينى (قده) بعد انتصار الثورة الإسلامية فضلًا عن الحكومة الإسلامية بأسلوب يختلف تماماً عن الأنظمة السياسية المعاصرة، أوضح أركانه وأصوله دستور الجمهورية الإسلامية، إلى إحياء شعائر الإسلام الاجتماعية، وإعادة الروح السياسية للأحكام الإسلامية، وما إحياء وإقامة مراسم صلاة الجمعة، ومراسم صلاة الجماعة، ومراسم صلاة الأعياد الإسلامية الكبرى فى مختلف أنحاء البلاد، إلّا توكيد على أنّ الإسلام عقيدة عبادية سياسية، وطرح المسائل والمشكلات التى يتعرض لها المجتمع الإسلامى داخل البلاد وخارجها فى خطب صلوات الجمعة والأعياد الدينية، وتغيير أسلوب ومحتوى مراسم العزاء والرثاء، وغيرها من مضامين التغيير إلّا نماذج بارزة على ذلك.

ص: ۲۸۵

إنّ أحد أبرز إنجازات الإمام الخمينى (قده) إحياء الحج الإبراهيمى، واعتبر الحج من أبرز مظاهر التلاقى وإعلان البراءة من المشركين، إلا أنّ الناظر إلى الحج لايرى أىّ أثر من طرح لمشكلات العالم الإسلامى والبراءة من المشركين؛ وقد اعتبر رضوان الله عليه من خلال بياناته السنوية التى كان يوجّهها إلى الحجاج فى موسم الحج على وجوب اهتمام المسلمين بالأمور السياسية للعالم الإسلامى، واعتبار إعلان البراءة من المشركين ركناً من أركان الحج، وتوضيح مسؤوليات الحجيج فى هذا الخصوص.

وبالتدريج اتخذ مؤتمر الحج العظيم شكله الحقيقى وصارت مسيرة البراءة تقام سنوياً بمشاركة عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين والمسلمين الثوريين من البلدان الأخرى، يردّدون خلالها شعارات تطالب بإعلان البراءة من أمريكا والاتحاد السوفيتى آنذاك وإسرائيل باعتبارها مصاديق بارزة للشرك والكفر العالمى، وتدعو المسلمين إلى الاتحاد.

وفى هذا الصّدد يقول سماحة ولى أمر المسلمين الإمام الخامنئى حفظه الله تعالى فى ندائه لحجاج بيت الله الحرام وذلك فى موسم الحج لعام (۱۴۲۴ ه-):

إنهم (المستكبرون) يشعرون بوجود الصحوة الإسلامية، ويشعرون بالخطر من انتشار فكرة (الإسلام السياسى) وسيادة الإسلام، وترتعد فرائصهم عندما يفكرون بيوم تنهض فيه الأمة الإسلامية موحدة مليئة بالأمل، فإنّ الأمة الإسلامية بما تملكه من ثروات طبيعية، وتراث حضارى تاريخى عظيم، ورقعة جغرافية مترامية الأطراف، وكم بشرى هائل، لن تسمح فى ذلك اليوم المنشود، لقوى الهيمنة التى طفقت تمتص دم الأمة

ص: ۲۸۶

وتنتهک حرمتها وكرامتها طوال مائتى عام، أن تستمر فى هذا الطغيان والعدوان.

إنّ النخب السياسية والفكرية فى عالمنا الإسلامى تتحمل اليوم مسؤولية جسيمة فى إقامة مناسک الحج وشعائره بما جاء به الإسلام العظيم.

إننا نستشرف أفق المستقبل مشرقاً أمام شعبنا والعالم الإسلامى، و مستمرون بعزيمة راسخة فى الدرب الذى رسمه الإمام الخمينى العظيم، وواثقون من تحقق الوعد الإلهى وثوقاً يتزايد يوماً بعد يوم. (۱) (۳/ ذو الحجة/ السنة ۹ ه-)

۳. وصول النبى (ص) إلى مكة المكرمة لحجة الوداع

كان وصول النبى (ص) إلى كدى أو كداء، يوم الإثنين الرابع من ذى الحجة فى العام العاشر للهجرة، وكان فى آخر نهار ذلک اليوم. (۲) فلما أصبح فى اليوم التالى اغتسل ودخل مكة نهاراً. (۳) وذلک من العقبة، فلما انتهى إلى باب المسجد- باب شيبة- استقبل القبلة (الكعبة) فحمد الله وأثنى عليه

۱- بيان الإمام الخامنئى حفظه الله تعالى فى موسم الحج ۲۰۰۴ م.

۲- بحار الأنوار ۳۹: ۲۱؛ فروع الكافى ۲۳۳: ۱.

۳- المغازى، للواقدى ۱۰۹۷: ۲.

ص: ۲۸۷

وصلى على أبيه إبراهيم، (۱) ثم دخل بناقته العضباء واستلم الركن (الحجر الأسود) بمحجنته (عصاً قصيرة معوجة الرأس)، وقبّل الحجر، (۲) ثم طاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم (ع)، قرأ في الأولى بعد الفاتحة سورة الكافرون، وفي الثانية التوحيد، (۳) ثم دخل زمزم فشرب منه، ثم استقبل الكعبة وقال: «أللهم إني أسألك علماً نافعاً ورزقاً واسعاً، وشفاءً من كلّ داء وسقم»، ثم رجع إلى الحجر الأسود ليستلمه وقال لأصحابه: «ليكن آخر عهدكم بالكعبة استلام الحجر» ثم استلمه وخرج إلى الصفا، وقال لأصحابه: ابدؤوا بما بدأ به الله تعالى إذ قال: إِنّ الصّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللهِ، حتى صعد الصفا فقام عليه، فاستقبل القبلة فوحّد الله وكبّره قال:

«لا إله لا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده». قال مثل هذا ثلاث مرات، ودعا بين ذلك، ثم نزل إلى بطن الوادي ومشى حتى صعد المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا. (۴) لحوق علي (ع) بركب الرسول (ص)

كان علي (ع) في اليمن، وكان الرسول (ص) قد كاتب علياً (ع) بالتوجه إلى الحج من اليمن، فخرج أميرالمؤمنين (ع) بمن معه من العسكر

۱- بحار الأنوار ۳۹۶: ۲۱، وفروع الكافي ۲۳۴: ۱.

۲- فروع الكافي ۲۸۳: ۱؛ بحار الأنوار ۴۰۲: ۲۱؛ المغازي للواقدي ۱۰۹۸: ۲.

۳- صحيح مسلم ۳۶: ۴؛ بحارالأنوار ۴۰۴: ۲۱؛ المغازي ۱۰۹۸: ۲.

۴- بحار الأنوار ۴۰۴: ۲۱؛ صحيح مسلم ۳۶: ۴؛ المغازي ۱۰۹۹: ۲.

ص: ۲۸۸

الذى صحبه، وساق معه أربعاً وثلاثين بدنة هدياً، معه الحلل، ولما بلغ يلملم عقد نيته بنية النبى، وقال: «أللهم إهلالًا كإهلال نبيك».

فلما قارب رسول الله (ص) مكة من طريق المدينة قاربها أميرالمؤمنين (ع) من طريق اليمن، فلما كان بالفتق قرب الطائف خلّف على أصحابه أبا رافع القبطى، وتقدمهم للقاء النبى (ص)، فأدركه وقد أشرف على مكة، فسلم وأخبره بما صنع وأنه سارع للقائه قبل الجيش. (۱) فسرّ رسول الله (ص) بذلك وابتهج بلقاء على (ع)، وكان محرماً فسأله: «بمَ أهللت يا على؟ فقال (ع): يا رسول الله، إنك لم تكتب إلىّ بإهلالك، ولا ـ عرفتنيه، فعقدت نيتى بنيتك. وقلت: أللهم إهلالًا كإهلال نبيك، وسقت معى من البدن أربعاً وثلاثين بدنة، فقال رسول الله (ص): الله أكبر فقد سقت أنا ستاً وستين، وأنت شريكى فى حجتى ومناسكى وهديى، فأقم على إحرامك، وعد إلى جيشك، فعجّل بهم إلىّ حتى نجتمع فى مكة إن شاء الله».

خطبته (ص) فى آخر عمرته:

روى الكلينى بسنده عن الصادق (ع): أنه لما فرغ رسول الله (ص) من سعيه وهو على المروة أقبل على الناس بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنّ هذا جبرائيل- وأومأ بيده إلى خلفه- يأمرنى أن آمر من لم يسق هدياً أن يحل، ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لصنعت مثل ما أمرتكم، ولكنى سقت الهدى، ولا ينبغى لسائق الهدى أن يحل حَتّى يَبْلُغَ الْهَدْىُ مَحِلَّهُ

۱- المغازى، للواقدى ۱۰۸: ۲، وقال الواقدى: إنّ الحلل هى الغنائم، وقال المفيد: كانت جزية نصارى نجران.

ص: ۲۸۹

فقال رجل من القوم: أنخرج حجاجاً ورؤوسنا وشعورنا تقطر؟! (يعنى من غسل الجنابة).

فقال رسول الله (ص): أما إنك لن تؤمن بهذا أبداً!

فقال سراقة بن مالك الكنانى: يا رسول الله، علمنا ديننا كأننا خلقنا اليوم، فهذا الذى أمرتنا به لعامنا هذا أم لما يستقبل؟

فقال رسول الله (ص): بل هو للأبد إلى يوم القيامة، وشبک أصابعه وقال: دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة». (۱) وفى يوم التروية خرج (ص) إلى مناسک الحج...

وقد أخبر النبى (ص) الناس عند مسجد الخيف، ومن خطبته هناك: «أيها الناس، إنى تارک فيکم ما إن تمسکتم به لن تضلوا ولن تزلوا: کتاب الله وعترتى أهل بيتى، فإنه قد نبأنى اللطيف الخبير، انهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض کإصبعى هاتين»، وجمع بين سبابتين، (ولا أقول کهاتين، وجمع بين سبابته والوسطى) فتفضل هذه على هذه. (۲)

۱- بحار الأنوار ۳۹۱: ۲۱؛ فروع الكافى ۲۳۳: ۱؛ أما فى صحيح مسلم عن الصادق والباقر عن جابر: فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة.

۲- تفسير القمى ۱۷۳: ۱ و ۴۴۶: ۲- ۴۴۷، وأسنده النعمانى فى الغيبة: ۲۷- ۲۸، إلى الإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق، وأسنده الكافى للكلينى ۴۰۳: ۱ إلى الإمام الصادق، وأسنده الصدوق فى الخصال ۱۴۹: ۱ إلى الصادق أيضاً وكذا المفيد فى أماليه ۱۸۶: ۲ بطرق أخرى.

ص: ۲۹۰

(۷/ ذو الحجة/ السنة ۹۵ ه-)

۴. استشهاد الإمام محمد الباقر (ع)

أبو جعفر، محمد بن علی بن الحسین بن علی بن أبی طالب، وهو الإمام الخامس من أئمة أهل البیت (هم).

ولد بالمدینة سنة سبع وخمسین من الهجرة. وقبض فی المدینة أیضاً سنة أربع عشرة ومائة، فعمره الشریف سبع وخمسون سنة وهو أول علوی من علویین، أبوه الإمام زین العابدین (ع) وأمّه فاطمة بنت الحسن السبط (ع) وقبره فی البقیع فی مدینة الرسول (ص). (۱) کانت شهادة الإمام أبی جعفر محمد بن علی الباقر (ع) علی ید هشام بن عبدالملک؛ وفی بعض الروایات قیل: إنّ عبدالملک بن مروان بعث بسرج مسموم إلی الإمام (ع) وعندما وضعوه فوق الفرس وجلس علیه الإمام أحس بحرارة السم، فتورم جسده الشریف وظهرت علیه آثار الموت.

روی عن الإمام جعفر الصادق (ع) أنه قال: «فی أحد الأیام طلبنی أبی وقال لی: یا جعفر إذا أنا متُّ فغسلنی وکفّنی وارفع قبری أربع أصابع ورشه بالماء (وکان عنده قوم من أصحابه) فلما خرجوا قلت: یا أبت لو أمرتنی بهذا صنعته، ولم ترد أن أدخل علیک قوماً تشهدهم، فقال: یا بنی أردت أن لا تنازع (أی فی أمر الإمامة). (۲)

۱- الإرشاد ۱۵۸: ۲.

۲- الخرائج: ۱۹۷.

ص: ۲۹۱

والحادثة تشير إلى أنه (ع) أوضح للحاضرين من شيعته وأتباعه من هو الإمام من بعده؛ لأن الشيعة يعرفون من خلال أئمتهم أنّ المعصوم لا يتولى تغسيله وتجهيزه ودفنه إلّا خليفته المعصوم من بعده.

والإمام الباقر (ع) يمثل حلقة الوصل فى استكمال الخطة التى بدأها الإمام زين العابدين (ع) وذلك بالسعى الدؤوب فى بثّ علوم آل البيت (هم) ومواجهة مخططات التحريف ونشر الشبه والضلالات والأفكار الإلحادية من قبل الزنادقة والمخطط الأموى فى الطمس والتعتيم على أحقية آل البيت (هم) فى الإمامة السياسية والفكرية للأمة الإسلامية.

لقد أنشأ الإمام زين العابدين (ع) حلقات الدرس والمناظرات فى مسجد جدّه رسول الله (ص) وتوسعت هذه الحركة الفكرية فى زمن الإمام الباقر (ع) وبلغت ذروتها فى زمن ولده الإمام أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) حيث كانت الدولة الأموية قد أوشكت على الانهيار.

وقد نقلت التفاسير وكتب الحديث والتاريخ عن الإمام محمد الباقر (ع) أحاديث وحوارات كثيرة حصلت بينه وبين رجال الفكر والعلماء المعاصرين له من أمثال نافع مولى عمر بن الخطاب، حيث التقى به فى داخل البيت الحرام، وكان نافع قد ذهب إلى الحج مع الخليفة هشام بن عبد الملک، فنظر نافع إلى الإمام الباقر (ع) فى ركن البيت وقد اجتمع عليه الخلق وقال: يا أميرالمؤمنين من هذا الذى قد تكافأ عليه الناس. فقال: هذا محمد بن على، قال: لآتينه ولأسألنه عن مسائل لا يجيبنى فيها إلّا نبى أو وصى نبى، قال الخليفة هشام: فاذهب إليه لعلك تخجله؛ وذهب نافع والتقى الإمام

ص: ۲۹۲

الباقر (ع) وسأله عن مسائل كثيرة لا يتسع هذا البحث المختصر لإيرادها، ولكن نكتفى بسؤال واحد هو عن قول الله تبارك وتعالى: وَاسْئَلْ مَنْ أرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُلِنَآ أجَعَلْنَا مِن دُونِ الرّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ.

قال نافع: من الذى سأل محمداً (ص) وكان بينه وبين عيسى (ع) خمسمائة عام؟

فأجابه الإمام الباقر (ص) بأن ذلك كان من الآيات التى أراها الله عزّوجل لنبيه الكريم (ص) فى الإسراء إلى بيت المقدس؛ قال تعالى: سُبْحَانَ الّذِى أسْرَىَ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلَى الْمَسْجِدِ الأقْصَى الّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ حيث حشر الله الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم أمر جبرئيل فأذّن شفعاً وأقام شفعاً، وقال فى أذانه حى على خير العمل، ثم تقدم رسول الله (ص) فصلى بالقوم، فلما انصرف قال الله تعالى: وَاسْئَلْ مَنْ أرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رّسُلِنَآ أجَعَلْنَا مِن دُونِ الرّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ. فقال النبى (ص): على ما تشهدون وما كنتم تعبدون؟ قالوا: نشهد أن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله، أخذت على ذلك عهودنا ومواثيقنا.

قال نافع: صدقت يا أبا جعفر.

وللإمام (ع) حوارات كثيرة مع الحسن البصرى وطاووس اليمانى، ومن أراد التوسعة والاطلاع فليراجع الاحتجاج، للمرحوم الطبرسى؛ وبحارالأنوار، للعلامة المجلسى ۱۲۵: ۶؛ والارشاد، للشيخ المفيد: ۲۴۴.

وختاماً نشير إلى ما روى عنه (ع) من أنه أوصى بثمانمائة درهم تعطى لإقامة المآتم عليه بعد موته؛ روى عن الصادق (ع) أنه قال: قال لى

ص: ۲۹۳

أبی: یا جعفر أوقف لی من مالی کـذا وکـذا لنوادب یندبنی عشر سـنین بمنی أیام منی. (۱) والحکمـۀ من هذا الأمر الذی أمره الإمام البـاقر (ع) لولـده الإمـام جعفر الصادق (ع) أنه أراد أن یعرّف المسـلمین عامـۀ والشـیعۀ خاصـۀ بأهمیـۀ إقامـۀ الشـعائر وبالأخص إحیاء مجالس أهل البیت (هم)؛ لأنّ إحیاء مجالسـهم وذکرهم هو إحیاء للإسلام، والقرآن؛ فأهل البیت (هم) هم عدل القرآن ولا یفترقا أبداً کما صرح بذلک نبی الإسلام محمد (ص) فی حدیث الثقلین المعروف.

(۸/ ذو الحجۀ/ السنۀ ۶۰ ه-)

۵. یوم الترویۀ- خروج الإمام الحسین (ع) من مکۀ إلی العراق

سمی الیوم الثـامن من شـهر ذی الحجـۀ بیوم الترویـۀ؛ لأـن الحجاج یخرجون فیه من مکـۀ محرمین إلی منی وهم یتروون من الماء، أی یحملونه معهم فی الروایا إلی عرفات، لأنه لم یکن فی الزمن السابق بعرفۀ ماء.

۱- الکافی ۱۱۷: ۵.

ص: ۲۹۴

وفی هـذا اليوم من ذی الحجهٔ يوم التروية سـنهٔ ستين أعلن مسـلم بن عقيل حركته فی الكوفه قبل الأجل الذی بينه وبين الناس، وذلك بسبب استشهاد هانئ بن عروهٔ، واجتمع إليه أربعهٔ آلاف ينادون بشعار المسلمين يوم بدر: (يا منصور أمت).

وقـد نجحت حركته فی بـدايتها وأقبل الثوار نحو قصـر الإمارهٔ، فتحرز عبيد الله بن زياد، وغلّق الأبواب لعدم قدرته على المواجههٔ، لأنه لم يكن معه إلّا خمسون رجلًا من الشـرطهٔ وبعض الأشـراف والموالی، لكنه عمـد إلی حيلـهٔ اسـتطاع من خلالها تفتيت القوهٔ المجتمعهٔ حول مسـلم بن عقيل، إذ صاح الخائفون المتحصنون معه فی القصر: يا أهل الكوفهٔ اتقوا الله ولا توردوا على أنفسكم خيول الشام، فقد ذقتموهم وجربتموهم، فتفرق الأربعـهٔ آلاـف، ولم يبق منهم إلّا ثلاثمائـهٔ مقاتـل؛ و روی أنّ الرجـل كـان يأتی ابنه أو أخاه أو ابن عمه فيقول له: انصرف، والمرأهٔ تأتی زوجها فتتعلق به حتى يرجع.

وفی اليوم نفسه- الثامن من ذی الحجهٔ سـنهٔ ستين- توجه الحسين (ع) من مكهٔ إلى العراق بعد مقامه بمكهٔ من اليوم الثالث من شعبان؛ و كـان قـد اجتمع إليه مـدهٔ مقامه بمكـهٔ نفر من أهل الحجاز ونفر من أهل البصـرهٔ، وكان (ع) قـد طاف وسـعى وأحل إحرامه وجعلها عمرهٔ لمّا بلغه أن يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص فی عسكر، وأمّره على الحاج وأوصاه بالفتك بالحسين أينما وجده، فكره الإمام الحسين (ع) أن تستباح به حرمهٔ البيت.

ص: ٢٩٥

وخطب الإمام الحسين (ع) فى مكة خطبته الشهيرة التى قال فيها: «ألحمد لله وما شاء الله ولا قوة إلّا بالله وصلى الله على رسوله، خُطّ الموت على وُلد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهنى إلى أسلافى اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لى مصرع أنا لاقيه، كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلا، فيملأن منى أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً، لا محيص عن يوم خط بالقلم. رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين، لن تشذ عن رسول الله لحمته بل هى مجموعة له فى حظيرة القدس، تقر بهم عينه وينجز بهم وعده، ألا من كان فينا باذلًا مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا، فإنى راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى». (١) وروى أنه (ع) قال لعبد الله بن الزبير: «إنّ أبى حدثنى أن بمكة كبشاً به تستحل حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش، ولئن أقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إليّ من أن أقتل فيها، وأيم الله لو كنت فى ثقب هامة من هذه الهوام لاستخرجونى حتى يقضوا فىّ حاجتهم، والله ليعتدنّ عليّ كما اعتدت اليهود فى السبت!». (٢)

١- اللهوف: ٣٣.

٢- الكامل لابن الأثير ١٦: ١، عن الطبرى عن الكلبى عن أبى مخنف، وانظر وقعة الطف لأبى مخنف.

ص: ۲۹۶

(۹/ ذو الحجة/ من كل عام)

۶. يوم عرفة

اليوم التاسع من ذى الحجة من كل سنة هو يوم عرفة، وهو يوم دعا الله عباده فيه إلى طاعته وعبادته وبسط لهم موائد إحسانه وجوده. والشيطان فيه ذليل حقير طريد غضبان أكثر من أيّ وقت سواه، ولهذا اليوم عدة أعمال:

قال الكفعمى فى المصباح: يُستحب صومُ عرفة لمن لا يضعف عن الدعاء، والاغتسال قبل الزّوال، وزيارة الإمام الحسين (ع) فيه وفى ليلته، ومن أعمال هذا اليوم قراءة الأدعية المأثورة عن الأئمة (هم) وهى كثيرة والمشهور منها دعاء عرفة لأبى عبد الله الحسين (ع) وكذلك دعاء الإمام السجاد (ع) فى هذا اليوم. (۱) عرفات- جبل الرحمة:

هضبة تبعد عن الكعبة حوالى (۲۱) كيلومتر، يقصدها الحجيج لأداء حج التمتع، بعد ارتدائهم لملابس الإحرام، ويقفون فى هذه المنطقة من ظهر يوم التاسع من ذى الحجة إلى غروب الشمس، منهمكين بالدعاء والتضرع، لينزل الله تعالى عليهم رحمته، ويعطيهم الرخصة مرة أخرى للدخول إلى الحرم.

۱- مفاتيح الجنان- أعمال شهر ذى الحجة.

ص: ۲۹۷

فی روایـة عن معاویة بن عمار قال: سألت أبا عبدالله (ع) عن عرفات: لِمَ سـمیت عرفات؟ فقال: «إنّ جبرئیل (ع) خرج بإبراهیم (ع) یوم عرفـة، فلما زالت الشـمس قال جبرئیل: یا إبراهیم اعترف بذنبک، واعرف مناسـکک، فسـمیت عرفات لقول جبرئیل اعترف فاعترف».

(۱) وهناک أسباب أخری للتسمیة أعرضنا عنها لضرورة الإیجاز.

الوقوف بعرفة:

قبـل الإسـلام کانت جرهم تتأسـی بإبراهیم (ع)، فیطوفون بالبیت ویقفون علی عرفات، وجاء الإسـلام فجعل الحـج عرفـة، فمن أدرک عرفة فقد أدرک الحج.

الأزرقی: عن محمـد بن جبیر بن مطعم عن أبیه أنه قـال: أضـللت بعیراً لی یوم عرفـة، فخرجت أطلبه حتی جئت عرفـة، فـإذا رسول الله (ص) واقف بعرفـة مع النـاس، فقلت: هـذا رجـل من الحمس، فمـا له خرج من الحرم؟ یعنی قریشـاً کانت تسـمی الحمس والأحمسـی المشـدد فی دینه، فکانت قریش لا تجاوز الحرم تقول: نحن أهل الله لا نخرج من الحرم، وکان سائر الناس یقف بعرفة، وذلک قول الله عزّوجل: ثُمّ أَفِیضُواْ مِنْ حَیْثُ أَفَاضَ النّاسُ. (۲) أرض المغفرة وقبول الدعاء:

إحـدی أهم الألطـاف التی یحصل علیها الحجاج من رحلـة الحـج المعنویـة، هو غفران الـذنوب، ففی الیوم التاسع من شـهر ذی الحجة الحرام،

۱- مستدرک الوسائل ۲۶: ۱۰ الباب ۱۴، الحدیث رقم ۱۳۷۲.

۲- أخبار مکة، للأزرقی ۱۹۵: ۲، البقرة: ۱۹۹.

ص: ۲۹۸

يأتى الحجيج من كل فج عميق ويجتمعون فى عرفات، ويطلبون من الله تعالى أن يغفر لهم ما تقدم من ذنوبهم ويطهرهم من الأدران، فهم فى دعاء وبكاء وتوسل.

عن على (ع) قال: «إنّ رسول الله (ص) لما حج حجة الوداع، وقف بعرفة فأقبل الناس بوجهه فقال: مرحباً بوفد الله- ثلاث مرات- الذين إن سألوا أعطوا، وتُخلف نفقاتهم، ويجعل لهم فى الآخرة بكل درهم ألفاً من الحسنات، ثم قال: يا أيها الناس ألا أبشركم؟! قالوا: بلى يا رسول الله: قال: إنه إذا كانت هذه العشية باهى الله بأهل هذا الموقف الملائكة، فيقول: يا ملائكتى انظروا إلى عبيدى وإمائى أتونى من أطراف الأرض، شعثاً غبراً، هل تعلمون ما يسألون؟ فيقولون: ربنا يسألونك المغفرة، فيقول: أشهدكم أنى قد غفرت لهم، فانصرفوا من موقفكم مغفوراً لكم ما سلف». (۱) الصوم فى يوم عرفة:

ورد النهى عن الصوم فى يوم عرفة فى بعض الروايات من الفريقين، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى ضرورة أن يكون الفرد نشيطاً أثناء الدعاء والتضرع، لأن الفرد الصائم، يستحوذ عليه الضعف ولا يجد القدرة على الدعاء وكان رسول الله (ص) لا يصوم عرفة، وفعل ذلك الخلفاء وبعض الصحابة أيضاً تأسياً به (ص). (۲)

۱- مستدرک الوسائل ۳۶: ۸.

۲- أخبار مكة، للفاكهى ۲۴: ۵.

ص: ۲۹۹

(۹/ ذو الحجة/ السنة ۶۰ ه-)

۷. استشهاد مسلم بن عقیل و هانی بن عروة (ره)

هو مسلم بن عقيل بن أبى طالب بن عبدالمطلب، وهو ابن عم الإمام الحسين بن على بن أبى طالب، ولد مسلم فى المدينة واستشهد فى الكوفة عام ستين، وروى أنّ عمره ۳۴ أو ۳۸ سنة، وربما كان أكثر من ذلك، وقد نشأ فى بيت عمه أميرالمؤمنين (ع) وحضر معه وقائع الجمل وصفين والنهروان، وكان لنشأته مع ابنى عمه الحسن والحسين (ما) أثره البالغ فى سلوكه وتربيته الرسالية، وتحمّله مسؤولية السفارة بين الحسين (ع) وأهل الكوفة، ورفضه التخلى عنه، وأدائه الرائع لرصّ الصفوف حوله، ومواجهته الشجاعة للطاغية ابن زياد ودولة الأموية الظالمة.

وقد كانت زوجته رقية الصغرى بنت أميرالمؤمنين (ع) مع الحسين (ع) فى ركبه مع بنتها وأولادها الذين استشهدوا فى واقعة الطف وبعدها.

ولعلّ ميزاته الشخصية الفريدة جعلت الإمام (ع) يرى فيه الشخص المؤهل الوحيد القادر على القيام بالمهمة التى قام بها.

مسلم على مستوى المهمة الموكلة إليه:

ص: ۳۰۰

عندما وردت كتب أهل الكوفة إلى الحسين (ع) تستدعيه، وتعلن ولاء العراقيين له، واستعدادهم ليكونوا خلفه جنداً مجنّدة، دعا (ع) مسلم بن عقيل فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوى، وعُمارة بن عُبيد السلولى، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبى، فأمره بتقوى الله وكتمان أمره واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين، مستوثقين عجّل إليه بذلك. (۱) لقد بعثه إلى الكوفة ليكشف له حقيقة هذا الأمر والاتفاق، فإن كان متحتماً، وأمراً حازماً محكماً، بعث له ليركب فى أهله وذويه ويأتى الكوفة. (۲) أجل، أرسله الإمام الحسين (ع) إلى أهل الكوفة بعدما تواترت عليه كتبهم ورسائلهم، وأنفذ معه كتاباً إليهم: «وأنا باعث إليكم أخى وابن عمى وثقتى من أهل بيتى. (۳)

وقد أوصاه قائلًا: «إنى موجّهك إلى أهل الكوفة، وسيقضى الله من أمرك ما يحب ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت فى درجة الشهداء، فامض ببركة الله وعونه حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فانزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتى، فإن رأيتهم مجتمعين على بيعتى فعجّل علىّ بالخبر حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى».

۱- الطبرى ۱۰۸: ۶؛ وابن الأثير ۳۸۶: ۳.

۲- ابن كثير ۱۵۴: ۸؛ وبحار الأنوار، ۳۳۵: ۴۴.

۳- بحار الأنوار ۳۳۴: ۴۴.

ص: ۳۰۱

وقد مضى مسلم فى مهمته دون أن يتردّد أو يجبن، وليس كما زعم من ذكر أنه أرسل رسالة اعتذار إلى الإمام عن إنجاز المهمة، وأنه طلب إليه أن يكلف شخصاً آخر بها.

إنّ ما ورد بهذا الخبر يتناقض وما عرف عن مسلم وصلابته فى الحق، وما عرف عن مواقفه القوية، وليس أدلّ من ذلك تصديه بمفرده لأعداد كبيرة من أعدائه، وعدم استطاعتهم التغلب عليه إلّا بمكيدة غادرة، ثم موقفه الشجاع بوجه ابن زياد وهو أعزل.

كما أنه يتناقض مع ما عُرف من استعداداته الخلقية والنفسية التى جعلت الإمام (ع) يختاره من بين كل أصحابه وأهله لهذه المهمة الشاقة.

فى بيت المختار الثقفى:

ثم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار بن عبيدة، وهى التى تدعى اليوم دار مسلم فى المسيب، وأقبلت الشيعة تختلف إليه. (۱) وكان اختيار مسلم لدار المختار صائباً وموفقاً، فالمختار من الشخصيات النادرة القوية التى التزمت خط أهل البيت (هم).

وأقبلت الشيعة تختلف إليه، فكلما اجتمعت إليه جماعة منهم قرأ عليهم كتاب الحسين (ع) فيبكون، ويعدونه من أنفسهم القتال والنصرة. (۲) وقد ألقيت خطبة حماسية أمام الوفود التى جاءت لتقديم البيعة، وكان الخطباء بمستوى أقوالهم، وقد استشهد بعضهم مع الإمام (ع) فعلًا.

۱- الطبرى ۲۷۹: ۳؛ وابن الأثير ۲۶۷: ۳؛ والإرشاد: ۲۲۶.

۲- ابن الأثير ۳۸۶: ۳؛ والطبرى ۲۷۹: ۳.

ص: ٣٠٢

قال عابس بن أبی شبیب الشاکری موجهاً الخطاب لمسلم: فإنی لا أخبرک عن الناس، ولا أعلم ما فی أنفسهم، وما أغرک منهم، والله لأحدثنک عمّا أنا موطّن نفسی علیه، والله لأجیبنکم إذا دعوتم، ولأقاتلنّ معکم عدوّکم، ولأضربنّ بسیفی دونکم حتی ألقی الله، لا أرید بذلک إلا ما عند الله.

وقد اختلف المؤرخون حول عدد الذین بایعوا مسلم للإمام الحسین (ع) فذکر أغلبهم أنهم کانوا ثمانیة عشر ألفاً. (۱) وهو عدد کبیر یشکّل جیشاً قوی الشکیمة لو أنهم استمروا علی مواقفهم خلف مسلم.

لذلک کتب مسلم إلی ابن عمه الحسین (ع) فی رسالة له، وهو یقول فیها: «أما بعد، فإن الرائد لا یکذب أهله، وقد بایعنی من أهل الکوفة ثمانیة عشر ألفاً، فعجّل الإقبال حین یأتیک کتابی، فإن الناس کلهم معک، لیس لهم فی آل معاویة رأی ولا هوی، والسلام». (۲) مضت الدعوة إلی الحسین تتسع فی الکوفة وجوارها، وأصبح الناس یهتفون باسمه حتی ضاق الأمر علی النعمان بن بشیر الأنصاری والی الکوفة؛ فکتب أنصار الأمویین إلی یزید بن معاویة بالشام، وعرّفوه إقبال الناس علی مسلم ودعوته، وبیعة الحسین (ع)، وضعف الوالی النعمان.

۱- الإرشاد: ۲۰۵؛ والطبری ۲۹۰: ۳.

۲- الطبری ۲۹۰: ۳.

ص: ٣٠٣

فجمع يزيد أنصاره ومستشاريه وعلى رأسهم سرجون الرومى، وسألهم ما العمل؟ فأشاروا عليه بتولية عبيد الله بن زياد وعزل النعمان بن بشير. (١) دخول عبيد الله بن زياد إلى الكوفة:

خرج عبيد الله بن زياد من البصرة، وأقبل إلى الكوفة حيث عُيّن والياً عليها بدلًا من الوالى السابق النعمان، ولما قدم ابن زياد الكوفة انفضّ أنصار مسلم بن عقيل من حوله، لأن ابن زياد استخدم بحكم نفسيته الخبيثة الترهيب تارة والترغيب أخرى.

عظمت الرشاوى، واستمال الذين فى قلوبهم مرض، وأرهب الضعفاء، فتوارى مسلم عن الأنظار لكن ابن زياد استطاع العثور على موضع اختفائه بواسطة جواسيسه، فقبض على هانى بن عروة الذى كان يخفيه فى داره، فاضطرّ مسلم إلى إعلان ثورته قبل موعدها المقرّر، وحاصر ابن زياد فى قصر الإمارة.

وكانت الخيانة، فانقلب الأشراف والرؤساء الذين عظمت رشوتهم وملئت جيوبهم من الدرهم والدينار، فمالوا إلى جانب ابن زياد وخذلوا مسلماً.

مسلم لا يغدر:

١- أنساب الأشراف، للبلاذرى؛ أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين ٥٨٩: ١.

ص: ۳۰۴

أقام مسلم بن عقيل فی دار هانی بن عروة متكتماً لا يعلم بوجوده سوی خواص الشيعة، وتشاء الصدف أن يأتی شريک بن الأعور من البصرة فينزل ضيفاً على هانی، ويجتمع بمسلم، وتشاء الصدف أن يمرض شريک.

جاءت الأخبار لابن زياد: أنّ شريک بن الأعور مريض فی بيت هانی فسارع لعيادته، لأنّ شريكاً من كبار الأشراف والوجهاء.

لما علم شريک أنّ ابن زياد قادم لاحت بفكره خطة، فقال لمسلم بن عقيل: إنّ غايتک وغايتی هلاک الظالمين وهذا عبيد الله قادم لزيارتی فاقتله وأرح البلاد والعباد من جوره. فقال مسلم: وكيف ذلک؟ فقال شريک: أقم فی هذه الخزانة- وأشار بيده إلى خزانة فی الحائط- حتی إذا دخل ابن زياد وأخذ فی الحديث أخرج أنت إليه فاقتله وأرح الناس من شره، وضع يدک على زمام الحكم ريثما يحضر مولانا الحسين (ع).

اختبأ مسلم فی الخزانة، دخل ابن زياد منزل هانی بن عروة وجلس بالقرب من شريک وراح يستفسر عن صحته.

كانت عين شريک ترمق الخزانة بين الحين والآخر يتوقع خروج ابن عقيل شاهراً سيفه يضرب ابن زياد ضربة واحدة ويقتله. لكن مسلماً لم يخرج وطال الانتظار، ونادى بأعلى صوته:

ما الانتظار بسلمى لا تحيّوها حيّوا سليمى وحيّوا من يحيّيها

وإن تخشيت من سلمى مراقبة فلست تأمن يوماً من دواهيها.

(۱)

۱- الطبری، وابن الأثير.

ص: ۳۰۵

ثم صاح شريک بصوت رفيع ليسمع مسلماً: اسقونيها ولو كان فيها حتفى.

ولما خرج ابن زياد من دار هانى، التفت شريک إلى مسلم بن عقيل وقال له معاتباً: بالله عليک يا ابن عقيل ألا أخبرتنى لماذا لم تقتله؟ وما الذى منعک من قتله؟ فقال مسلم: لقد منعنى من قتله حديثان:

الأول: حديث أمير المؤمنين (ع) عن رسول الله (ص) حيث قال: «إن الإيمان قيد الفتک فلا يفتک مؤمن»؛ والثانى: امرأة هانى، فإنها تعلّقت بى وأقسمت علىّ بالله أن لا أفعل هذا فى دارها، وبكت فى وجهى.

فقال هانى: يا ويلها من حمقاء جاهلة، قتلتنى وقتلت نفسها، والذى فرّت منه وقعت فيه.

مسلم فى دار طوعة:

استطاع ابن زياد من السيطرة على أوضاع الكوفة بالإغراء والوعيد، وفرض عليها من الخوف والرعب، فتفرق أصحاب مسلم من حوله، وظل وحيداً غريباً بالكوفة بلا مأوى، فما زالوا يتفرقون حتى لم يبق من الأربعة آلاف الذين كانوا معه إلّا ثلاثمائة رجل، ولما أمسى المساء صلّى مسلم بن عقيل المغرب والعشاء بالمسجد فلم يبق معه سوى ثلاثين رجلًا، ولما خرج من المسجد لم يبق معه غير عشرة نفر، وبعد برهة رأى خلفه وإذا به وحيداً ليس معه أحد يدلّه على الطريق، مشى فى أزقة الكوفة لا يدرى أين يذهب، واستبد بمسلم العطش والتعب، حتى وصل على باب دار امرأة يقال لها طوعة.

ص: ۳۰۶

شاهد مسلم طوعة واقفة على باب دارها وكان قد أعياه المسير، فاتجه نحوها وقال لها: السلام عليك يا أمة الله، فردّت طوعة بلطف وأدب: وعليك السلام يا عبد الله.

فقال مسلم: يا أمة الله هل لک أن تسقينى شربة ماء، فلسانى قد تشقق من العطش.

أجابت طوعة: حباً وكرامة، ودخلت الدار بسرعة وجاءت بالماء، شرب مسلم وأعاد إليها الإناء شاكراً، ثم جلس ليستريح واضعاً رأسه بين يديه مهموماً.

أدخلت طوعة الإناء، ثم رجعت لتجد مسلماً ما زال جالساً على بابها، فقالت له باستنكار وتعجّب: يا عبد الله ألم تشرب الماء؟ أجابها مسلم: بلى، فقالت: إذن قم فاذهب إلى أهلك.

سكت مسلم، فعادت طوعة تكرر وتقول له: يا عبد الله اذهب إلى أهلك فإنه لا يصحّ لک الجلوس على باب دارى ولا أحلّه لک.

عندها قام مسلم بتثاقل يجر رجليه ثم وقف وقال: يا أمة الله ما لى فى هذا البلد أهل ولا عشيرة فهل إلى أجر ومعروف؟ ولعلّى أكافئک به بعد هذا اليوم.

فقالت طوعة بدهشة وتعجب: يا عبد الله ما هذه المكافأة وكيف ذلک؟ ومتى بعد هذا اليوم؟ فقال: يا أمة الله أنا مسلم بن عقيل من آل بيت رسول الله وأنا سفير الحسين إلى أهل الكوفة.

ص: ٣٠٧

لكن طوعة ما إن سمعت باسمه حتى صاحت بلهفة: أحقاً أنت مسلم؟ أحقاً أنت سفير الإمام الحسين (ع)؟ أجاب مسلم: نعم، يا أمة الله؛ فقالت: سيدى يا مسلم اغفر لى خشونتى وما بدر منى أدخل بأبى أنت وأمى إلى داخل الدار.

رحبت به وامتلأـ قلبها سروراً، وأدخلته بيتاً غير الذى يأوى إليه إبنها وعرضت عليه الطعام فأبى؛ ولما وافى ابنها المنزل ورآها تكثر الدخول لذلك البيت استراب منه فاستفهمها عنه فأعرضت وألحّ عليها فلم تخبره إلّا بعد أن أخذت عليه العهود لا يعلم أحداً بمن فى البيت فبات الغلام فرحاً بجائزة ابن زياد. (١) وما كاد الصبح يتنفس حتى أسرع ولدها إلى القصر وأخبر بمكان مسلم، وفور وصول النبأ إلى ابن زياد أرسل قوة كبيرة إليه، وما أن سمع مسلم بالضجة حتى أدرك أنّ القوم يطلبونه، فخرج إليهم بسيفه وكانوا قد طوّقوا الدار من كل جهاتها فانهزموا بين يديه وهم أكثر من مائتى مقاتل، وبعد معارك ضارية بينه وبينهم فى الشوارع استعملوا فيها النار والحجارة من أعلى السطوح استسلم لهم بعد أن أمنه ابن الأشعث وأعطاه العهود.

ومضى معهم إلى القصر فأدخل على ابن زياد ولم يسلّم عليه، وجرى بينهما حوار طويل كان فيه ابن عقيل رضوان الله عليه رابط الجأش منطلقاً فى بيانه، قوى الحجة، حتى أعياه أمره وانتفخت أوداجه وجعل يشتم علياً والحسن والحسين، ثم أمر جلاوزته أن يصعدوا به إلى أعلى القصر ويقتلوه، ويرموا

١- مقاتل الطالبيين: ٤١.

ص: ٣٠٨

جسده إلى الناس، ويسحبوه في شوارع الكوفة، ثم يصلبوه إلى جانب هانئ بن عروة، هذا وأهل الكوفة وقوف في الشوارع وكأنهم لا يعرفون من أمره شيئاً، وقد صوّر الفرزدق الشاعر هذه المأساة بقوله:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى إلى هانئ في السوق وابن عقيل

إلى بطل قد غيّر الموت لونه وآخر يهوى من طمار قتيل

فإن أنتم لم تثأروا لأخيكم فكونوا نساء أرضيت بقليل.

(١) (١٠/ ذو الحجة/ من كل عام)

٨. عيد الأضحى المبارك (يوم النحر)

وهو ثاني أعياد المسلمين بعد عيد الفطر المبارك، وفيه يقوم الحجاج بالإحلال من إحرامهم في منى بعد الإفاضة من المزدلفة وأعمال هذا اليوم هي على الترتيب: رمي جمرة العقبة الكبرى، وذبح الهدى، والحلق أو التقصير.

ويحرم في عيد الفطر والأضحى الصيام، ويستحب فيهما صلاة العيد، ويستحب لغير الحاج الأضحية في يوم عيد الأضحى المبارك.

وفي يوم الأضحى المبارك يتذكر المسلم التسليم المطلق لله من قبل النبي إبراهيم وولده إسماعيل (ما)، فالأب يصارح ولده البالغ من العمر ١٣ عاماً بالرؤيا التي رآها بأن يذبحه قرباناً لله تعالى، والولد يسلم لأمر الله بإخلاص، والقرآن الكريم ينقل لنا هذا التخاطب الجميل بينهما بقوله تعالى:

١- سيرة الأئمة الاثني عشر ٦٢: ٢.

ص: ۳۰۹

فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْیَ قالَ یَبُنَیَّ إِنّی أَرَی فِی الْمَنامِ أَنّی أَذْبَحُکَ فَانظُرْ ماذا تَرَی قالَ یَأَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِی إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصّابِرِینَ. (۱) وبهذا یقدم إبراهیم وابنه إسماعیل أعظم درجة فی الحب والعشق الإلهی والتضحیة والفداء فی سبیل الله وإعلاء کلمة لا إله إلا الله.

(۱۸/ ذو الحجة/ السنة ۱۰ ه-)

۹. یوم الغدیر (نصب الإمام علی (ع) وصیاً من قبل النبی (ص))

أجمع رسول الله (ص) الخروج إلی الحجّ فی سنة عشرٍ من الهجرة، وأذّن فی الناس بذلک، فقدم المدینة خلق کثیر یأتمّون به فی حجّته تلک التی یطلق علیها حجّة الوداع، وحجّة الإسلام، وحجّة البلاغ، وحجّة الکمال، وحجّة التمام. (۲) ولم یحجّ غیرها منذ هاجر إلی أن توفّاه الله سبحانه.

فلما قضی مناسکه، وانصرف راجعاً نحو المدینة ومعه من کان من الجموع المذکورات، وصل إلی غدیر خُم من الجحفة التی تتشعّب فیها طرق المدنیّین والمصریّین والعراقیّین، وذلک یوم الخمیس الثامن عشر من ذی

۱- سورة إبراهیم: ۱۰۲.

۲- الغدیر، للأمینی ۹: ۱، إنّ الوجه فی تسمیة حجة الوداع بالبلاغ هو نزول الآیة ۶۷ من سورة المائدة، کما أنّ الوجه فی تسمیتها بالتمام والکمال هو نزول الآیة الثالثة من سورة المائدة.

ص: ۳۱۰

الحجّة، نزل إليه جبرئيل (ع) عن الله تعالى: يا أيّها الرَّسُولُ بَلغ ما انزل إليك من ربّك .... (۱) وأمره أن يقيم عليّاً عَلَماً للناس، ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كلّ أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يردّ من تقدّم منهم، ويحبس من تأخّر عنهم فى ذلك المكان، ونهى عن سَـمُرات. (۲) خمس متقاربات دَوْحات عظام أن لا ينزل تحتهنّ أحـد، حتى إذا أخذ القوم منازلهم، فقمّ ما تحتهنّ، حتى إذا نودى بالصلاة- صلاة الظهر- عمد إليهنّ، فصلى بالناس تحتهنّ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض ردائه على رأسه، وبعضه تحت قـدميه، من شـدّة الرمضاء؛ وظُلّل لرسول الله (ص) بثوب على شـجرة سـمرة من الشـمس، فلما انصـرف (ص) من صلاته، قام خطيباً وسط القوم. (۳) على أقتاب الإبل. (۴) وأسمع الجميع، رافعاً عقيرته، فقال (ص):

«ألحمـد لله ونسـتعينه ونؤمن به، ونتوكّل عليه، ونعوذ بالله من شـرور أنفسـنا، ومن سـيئات أعمالنا، الذى لا هادى لمن أضلّ، ولا مُضـلّ لمن هدى، وأشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعـد: أيّهـا النـاس قـد نبّأنى اللطيف الخبير: أنه لم يُعمّر نبىّ إلاـ مثـل نصف عمر الـذى قبله. وإنّى أوشك أن أدعى فأجيب، وإنى مسؤول، وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

۱- سورة المائدة: ۶۷.

۲- سَمُرات، جمع سمرة: شجرة الطلح.

۳- الهيثمى، مجمع الزوائد ۱۰۶: ۹؛ تاريخ آل زرارة، ابن غالب الزرارى ۸۴: ۲.

۴- ثمار القلوب ۵۱۱- ۶۳۶ رقم ۱۰۶۸؛ المستدرك، للحاكم ۵۳۳: ۳.

ص: ۳۱۱

قالوا: نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، وأن جنّته حق وناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث مَن فی القبور؟

قالوا: بلی نشهد بذلك. قال: أللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فإنّی فرط. (۱) علی الحوض، وأنتم واردون علیّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبُصری. (۲) فيه أقداح عدد النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفونی فی الثقلين. (۳) فنادی مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقَل الأكبر كتاب الله طرفٌ بيد الله عزّوجل وطرفٌ بأيديكم، فتمسّكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتی، وإنّ اللطيف الخبير نبّأنی أنّهما لن يفترقا حتی يردا علیّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّی، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا.

ثم أخذ بيد علیّ (ع) فرفعها حتی.. عرفه القوم أجمعون، فقال: أيّها الناس من أولی الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: إنّ الله مولای، وأنا مولی المؤمنين، وأنا أولی بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فعلیّ مولاه، يقولها ثلاث مرات- وفی لفظ أحمد أربع مرات- ثم قال: أللهمّ والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من

۱- الفَرَط: المتقدم قومه إلی الماء، راجع غريب الحديث، لابن سالم ۴۵: ۱.

۲- صنعاء: عاصمة اليمن اليوم، وبُصری: قصبة كورة حوران من أعمال دمشق.

۳- الثقل: كل شیء خطير نفيس، تاج العروس، للزبيدی ۲۴۵: ۷.

ص: ۳۱۲

أبغضه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشاهد الغائب.

ثم لم يتفرقوا حتى نزل أمين وحى الله بقوله: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى. (۱) فقال رسول الله (ص): الله أكبر على إكمال الدين، وإتمام النعمة، ورضا الربّ برسالتى، والولاية لعلىّ من بعدى».

ثم طفق القوم يهنّئون أميرالمؤمنين (ع)، وممّن هنّأه فى مُقدّمة الصحابة الشيخان: أبو بكر وعمر كلّ يقول: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولاى ومولى كل مؤمن ومؤمنة. قال ابن عباس: وجبت واللهِ فى أعناق القوم.

فقال حسان: ائذن لى يا رسول الله أن أقول فى علىٍّ أبياتاً تسمعهنّ، فقال (ص): قل على بركة الله.

فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش أتبعها قولى بشهادةٍ من رسول الله (ص) فى الولاية ماضية، ثم قال:

۱- سورة المائدة: ۳.

ص: ٣١٣

يناديهم يوم الغدير نبيهم بخمّ وأسمع بالرسول مناديا

وقال: فمن مولاكم ووليّكم؟ فقالوا: ولم يبدوا هناك التعاديا

إلهک مولانا وأنت ولينا ولن تجدن منا لک اليوم عاصيا

فقال له: قم يا على فإننى رضيتک من بعدى إماماً وهاديا

فمن كنت مولاه فهذا وليه فكونوا له أنصار صدق مواليا

هناک دعا: اللهم وال وليه وكن للذى عادى علياً معاديا

فقال له رسول الله (ص): «لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانک».

هذا مجمل القول فى واقعة الغدير. (١) عيد الغدير فى التاريخ الإسلامى

١- الغدير، العلامة الأمينى المجلد الأول.

ص: ۳۱۴

إنّ أبنـاء المجتمع الإسـلامی فی العصور السالفـة، لاسیّما أتبـاع أهل البیت (هم)، کانوا یعتبرون هـذا الیوم عیـداً من الأعیاد الإسـلامیة الکبری.

وقـد عدّه أبو ریحان البیرونی فی کتابه (الآثار الباقیة) ممّا استعمله أهل الإسـلام من الأعیاد. (۱) وقـد روی عن أبی هریرة أنه قال: من صام یوم الثامن عشـر من ذی الحجـة؛ کتب الله له صـیام ستین شـهراً (أو سـنةً)، وهو یوم غـدیر خم؛ لمّا أخذ النبی (ص) بید علی (ع) فقال: «مَن کنت مولاه فعلی مولاه، أللّهمّ والِ من والاه وعاد من عاداه وانصـر من نصـره»؛ فقال عمربن الخطاب: بـخٍ بـخٍ لک یابن أبی طالب! أصبحت مولای ومولی کل مسلم ومسلمة. (۲) والثعالبی أیضاً قد اعتبر لیلة الغدیر من اللیالی المعروفة بین المسلمین. (۳) یقول زیـد بن أرقم: کـان أول من صـافق النبی (ص) وعلیاً (ع)، أبوبکر وعمر وعثمان وطلحـة والزبیر ثم باقی المهاجرین والأنصار، ثم باقی الناس. (۴) ویکفی لأهمیّة هذا الحدث التاریخی أنّ هذه الواقعة التاریخیة رواها مائة وعشرة من الصحابة. (۵)

۱- ترجمة الآثار الباقیة: ۳۹۵؛ الغدیر ۲۶۷: ۱.

۲- تاریخ دمشق ۷۵: ۲ و ۵۷۵- ۵۷۷؛ تاریخ بغداد ۲۹۰: ۸.

۳- ثمار القلوب: ۵۱۱.

۴- الغدیر ۲۷۰: ۱، رواه عن أحمد بن محمد الطبری الشهیر بالخلیلی.

۵- الغدیر ۶۱: ۱ و ۳۱۴.

ص: ۳۱۵

(۲۲/ ذو الحجة/ السنة ۶۰ ه-)

۱۰. استشهاد میثم التمار (رضوان الله علیه)

وهو من خلّص أصحاب أمیر المؤمنین (ع)، وکان الإمام (ع) یخرج من جامع الکوفة ویجلس عند میثم فیحادثه؛ وروی أنه کان عبداً لامرأة من بنی أسد، فاشتراه أمیر المؤمنین (ع) وأعتقه، وقال له: ما اسمک، قال: سالم، قال: أخبرنی رسول الله (ص) أنّ اسمک الذی سماک به أبوک فی العجم میثم، قال: صدق الله وصدق رسوله وصدقت یا أمیر المؤمنین، والله إنه لاسمی، قال فارجع إلی اسمک الذی سماک به رسول الله (ص) ودع سالماً، فرجع إلی میثم و اکتنی بأبی سالم.

قال له علی (ع) ذات یوم: ألا أبشرک یا میثم؟ قال: بماذا یا مولای؟ قال: بأنک تموت مصلوباً، قال: یا مولای وأنا علی فطرة الإسلام؟ فقال: نعم یا میثم، فقال له: ترید أریک الموضع الذی تصلب فیه، والنخلة التی تعلّق علیها وعلی جذعها؟ قال: نعم یا علی، فجاء به إلی رحبة الصیارفة فقال له: هاهنا؛ ثم أراه النخلة فکان یتعاهدها ویصلی عندها حتی قطعت وشقت

ص: ٣١۶

نصفين فنصف تنصف منها وبقى النصف الآخر، فما زال يتعاهد هذا النصف ويصلى فى الموضع ويقول لبعض جوار الموضع: يا فلان إنى أجاورك عن قريب فأحسن جوارى؛ فيقول ذلك الرجل فى نفسه يريد ميثم: يشترى داراً فى جواره.

وحج فى السنة التى قتل فيها فدخل على أمّ المؤمنين أمّ سلمة فقالت: من أنت؟ قال: أنا ميثم، قالت: والله لربما سمعت رسول الله (ص) يوصى بك علياً (ع) فى جوف الليل، فسألها عن الحسين (ع)، قالت هو فى حائط له، قال: أخبريه أنى قد أحببت السلام عليه، ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، فدعت له بطيب فطيب لحيته، وقالت له: أما إنها ستخضب بدم.

فقدم الكوفة فأخذه جلاوزة عبيد الله بن زياد فأدخل عليه فقيل: هذا كان من آثر الناس عند على (ع)، قال: ويحكم، هذا الأعجمى! قيل له: نعم، قال له عبيد الله: أين ربك؟ قال: بالمرصاد لكل ظالم وأنت أحد الظلمة؛ قال: إنك على عجمتك لتبلغ الذى تريد، ما أخبرك صاحبك أنى فاعل بك؟ قال: أخبرنى أنك تصلبنى عاشر عشرة، أنا أقصرهم خشبة وأقربهم من المطهرة، قال: لنخالفنه، قال: كيف تخالفه؟ فوالله ما أخبرنى إلّا عن النبى (ص) عن جبريل عن الله تعالى، فكيف تخالف هؤلاء؟! ولقد عرفت الموضع الذى أصلب عليه أين هو من الكوفة، وأنا أول خلق الله ألجم فى الإسلام، فحبسه وحبس معه المختار بن أبى عبيد، فقال ميثم للمختار: إنك تفلت، وتخرج ثائراً بدم الحسين (ع) فتقتل هذا الذى يقتلنا.

ص: ۳۱۷

فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله، طلع بريد بكتاب يزيد إلى عبيد الله يأمره بتخلية سبيله، فخلاه وأمر بميثم أن يصلب، فأخرج.

فقال له رجل لقيه: ما كان أغناك عن هذا يا ميثم! فتبسم وقال وهو يؤمى إلى النخلة: لها خلقتُ ولى غُذِيَتْ.

وكان مقتل ميثم رضوان الله عليه قبل قدوم الحسين (ع) العراق بعشرة أيام، فلما كان اليوم الثالث من صلبه، طُعن ميثم بالحربة، فكبر ثم انبعث فى آخر النهار فمه وأنفه دماً.

فسلام عليك يا ميثم فى الخالدين.

(۲۴/ ذو الحجة/ السنة ۱۰ ه-)

۱۱. يوم المباهلة مع نصارى نجران

إنّ يوم ۲۴ من شهر ذى الحجة السنة العاشرة هو يوم المباهلة على الأشهر. (۱) والقضية كما يلى:

۱- المشهور أنَّ يوم المباهلة كان بعد فتح مكة واختلف العلماء فى سنة الواقعة ويومها.

ص: ٣١٨

لما انتشر الإسلام بعد فتح مكة وقوى سلطانه، وفد إلى النبى (ص) الوفود، فمنهم من أسلم ومنهم من استأمن ليعود إلى قومه برأيه (ص)، وكان ممن وفد عليه أبو حارثة أسقف نجران فى ثلاثين رجلًا من النصارى، منهم العاقب والسيد وعبد المسيح، فقدموا المدينة وقت صلاة العصر، وعليهم لباس الديباج والصلب، فلما صلى النبى (ص) العصر توجهوا إليه يقدمهم الأسقف، فقال له: يا محمد ما تقول فى السيد المسيح؟ فقال النبى (ص): «عبد الله اصطفاه وانتجبه» فقال الأسقف: أتعرف له- يا محمد- أباً ولده؟ فقال النبى (ص): «لم يكن عن نكاح فيكون له والد» قال: فكيف قلت: إنه عبد مخلوق، وأنت لم تر عبداً مخلوقاً إلّا عن نكاح وله والد؟ فأنزل الله تعالى الآيات من سورة آل عمران إلى قوله: إنّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ* الْحَقّ مِن رّبّكَ فَلَا تَكُنْ مّن الْمُمْتَرِينَ* فَمَنْ حَآجّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لّعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ. (١) فتلاها النبى (ص) على النصارى، ودعاهم إلى المباهلة.

وقال (ص): «إنّ الله عز اسمه أخبرنى أنّ العذاب ينزل على المبطل عقيب المباهلة، ويبين الحق من الباطل بذلك». (٢)

فاجتمع الأسقف مع عبدالمسيح والعاقب على المشورة، فاتفق رأيهم على استنظاره إلى صبيحة غد من يومهم ذاك، فلما رجعوا إلى رحالهم قال لهم الأسقف: انظروا محمداً

١- سورة آل عمران: ٥٩- ٦١.

٢- الإرشاد ١٦٦: ١.

ص: ٣١٩

فی غـد، فإن غدا بولده وأهله فاحذروا مباهلته، وإن غدا بأصـحابه فباهلوه، فإنه علی غیر شـیء، فلما کان من الغد جاء النبی (ص) وقد اکتسـی بعباءة، وأدخل معه تحت الکساء علیاً وفاطمة والحسن والحسین (هم)، وقال: «أللهم إنه قد کان لکل نبی من الأنبیاء، أهل بیت هم أخص الخلق إلیه، أللهم وهؤلاـء أهل بیتی، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهیراً»، فهبط جبرئیل بآیـة التطهیر فی شأنهم، ثم خرج النبی (ص) بهم للمباهلـة، فلمـا بصـر بهم النصـاری، ورأوا منهم الصـدق، وشاهـدوا أمارات العـذاب، لم یجرؤوا علی المباهلـة، فطلبوا المصالحة، وقبلوا الجزیة علیهم.

فصالحهم النبی (ص) علی ألفی حلة من حلل الأواقی قیمة کل حلة أربعون درهماً جیاداً، فما زاد أو نقص کان بحساب ذلک، وکتب لهم النبی (ص) کتاباً بما صالحهم علیه.

والخلاصـة: إنّ هـذا الیوم یوم شـریف، وفیه عدة أعمال: الأول الغسل، الثانی الصـیام، الثالث الصـلاة رکعتان کصـلاة عید الغدیر، وقتاً وصفة وأجراً، ولکن فیها تقرأ آیة الکرسی إلی هُمْ فِیهَا خَالِدُونَ، والرابع أن یدعو بدعاء المباهلة. (۱)

۱- مفاتیح الجنان: أعمال شهر ذی الحجة، أعمال یوم المباهلة.

ص: ۳۲۰

(۲۴/ ذو الحجة/ السنة ۱۰ ه-)

۱۲. يوم تصدق الإمام على (ع) بالخاتم

هذا يوم تصدق أميرالمؤمنين (ع) بالخاتم فى حال الركوع ونزول قوله تعالى: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ. (۱)

لقد نقل هذه الواقعة الكثير من الرواة ومصادر أهل السنة، وقد صرح البعض بقصة التصدق بالخاتم واكتفى آخرون بتأييد نزول الآية فى حق أمير المؤمنين (ع) ونقل صاحب «غاية المرام» ۲۴ حديثاً عن طريق أهل السنة و ۱۹ حديثاً عن طريق الشيعة. (۲) والقضية بدرجة من الوضوح بحيث أنّ حسّان بن ثابت جاء بمضمون آية الولاية فى قالب شعرى من نظمه قاله فى حق أمير المؤمنين (ع) حيث يقول:

فأنت الذى أعطيت إذ كنت راكعاً زكاة فدتك النفس يا خير راكع

فأنزل فيك الله خير ولاية وبيّنها فى محكمات الشرائع

۱- سورة المائدة: ۵۵.

۲- التفسير الأمثل ۴: فى تفسير الآية ۵۵ من سورة المائدة.

ص: ۳۲۱

(۲۵/ ذو الحجة/ السنة ۱۰ ه-)

۱۳. نزول سورة الإنسان (الدهر) فی فضل أهل البیت (هم)

یوم شریف، وهو الیوم الذی نزلت فیه سورة هَلْ أتَیَ فی شأن أهل البیت (هم)؛ لأنهم کانوا قد صاموا ثلاثة أیام، وأعطوا فطورهم مسکیناً، ویتیماً وأسیراً، وأفطروا علی الماء، وینبغی علی شیعة أهل البیت (هم) فی هذه‌الأیام، ولا سیما فی اللیلة الخامسة والعشرین، أن یتأسوا بمولاهم فی التصدق علی المساکین والأیتام، وأن یجتهدوا فی إطعامهم، وأن یصوموا هذا الیوم. (۱) وفی هذه الآیات المبارکة من سورة الإنسان یتحدث القرآن عن أهل البیت (هم) ویضعهم فی قمة الإیثار والتقوی، ویعرضهم نماذج وقدوة للبشریة لتقتدی بهم الأجیال وتسیر علی نهجهم.. فالحادثة التاریخیة التی نزلت بسببها الآیات المبارکة تشیر إلی مقام أهل البیت (هم)، وتسامیهم فی التطبیق والالتزام الشرعی والتجرد الکامل لله تعالی، وأنهم هم الأبرار المبشرون بالجنة، فمن اقتدی بهم وسار علی نهجهم حشر معهم.

۱- مفاتیح الجنان، أعمال الیوم الخامس والعشرین.

ص: ۳۲۲

وقد أورد الزمخشری وغیره من المفسرین فی تفسیر هذه الآیة روایة الإطعام بکاملها. (۱) (۲۵/ ذو الحجة/ السنة ۳۵ ه-)

۱۴. البیعة لعلی أمیر المؤمنین (ع) بالخلافة

بقیت المدینة أیاماً بعد قتل عثمان والناس یلتمسون علیاً (ع) للقیام بالأمر، حتی ازدحم الناس وألحّوا علیه، وقالوا له: لا نجد غیرک ولا نرضی إلّا بک فبایعنا لا نفترق ولا نختلف؛ ثم أخذ الأشتر النخعی بیده فبایعه وبایعه الناس وکلهم یقول: لا یصلح لها إلّا علی.

وهتف الناس باسم علی (ع) علی عادة الناس إذ یولون علیهم خبیراً بحاجاتهم، مؤمناً بحقهم، خالصاً لهم، عالماً حکیماً أباً کریماً.

۱- الکشاف، الزمخشری تفسیر سورة الإنسان، وأورد الفخر الرازی فی التفسیر الکبیر نفس الروایة عن الکشاف، کما أوردها عن الواحدی، وروی الطبرسی فی مجمع البیان نفس الروایة.

ص: ۳۲۳

وقـد وصف هو نفسه بيعته بالخلافـة وصـفاً جميلًا قال: «وبلغ من سـرور الناس ببيعتهم إياى أن ابتهـج بها الصـغير، وهـدج إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسـرت إليها الكعاب». (۱) وأعلن الإمـام على (ع) عن موقفه قائلًا: «ما لى ولقريش! والله لقـد قاتلتهم كافرين ولأقاتلنّهم مفتونين! وإنى لصاحبهم بالأمس كما أنا صاحبهم اليوم!». (۲)

أجل .. إنّ أميرالمؤمنين (ع) قـد واجه المشاكل التى اعترضت خلافته بمنتهى الحكمة والسـياسة الرشـيدة، وإذا لم يكتب له النجاح فى خلافته فمردّ ذلك إلى عـدّة أسـباب، أهمها أنه تولى الخلافـة من المسـلمين ولكنهم لم يجتمعوا على هدف واحد وغاية واحدة، وفى هـذا الجوّ المحموم، ووسـط تمرّد وتحـد وكره من أكـثر القريشـيين ومن الأمويين، وفى منـاخ سـادت فيه المصالـح على جميع القيم، واستعملت فيه الأموال لشراء الضمائر والأنصار.

لـذلك كله كـان قتال الناكثين والقاسـطين والمارقين؛ ولا يخفى أنّ علياً (ع) لم يهادن أحـداً على حساب الإسـلام، أو يسـتعمل قرشـاً واحـداً من بيت المال فى غير موضـعه، فكان من الطبيعى أن تعترضه المشاكل من هنا إننا نقرأ فى موقفه العظيم الشـجاع هذا ما يوازى مواقفه البطولية الكبيرة فى الذود

۱- نهج البلاغة: ۲۲۹ من كلام له فى وصف بيعته بالخلافة.

۲- الإمام على صوت العدالة الإنسانية ۱۹۴: ۴ بتصرف.

هدج: مشى مشية الضعيف، والكعاب جميع كاعب وهى: الجارية إذا بلغت ونهد صدرها. حسرت: كشفت عن وجهها.

ص: ۳۲۴

عن الدين بين يدى الرسول (ص)، فليس الصبر فى مثل هذه المواقف المصيرية الصعبة بأقل مقاماً ومنزلة من مواقفه (ع) مع عمرو بن عبد ودّ المشرك، ومرحب اليهود.

وهناك، وهو يحاول أن يحمل الناس على كتاب الله وسنّة رسوله (ص) وتأسيس خلافة جديدة لم يعهد المسلمون نظيراً لها من قبل.

إنّ الإمام علياً (ع) كان يرى أنّ أقل ما يطلب من خليفة رسول‌الله (ص) أن يحمى شريعة الله من التلاعب و الفساد، ويحتفظ بخيرات الأرض لا لفئة من الحاكمين، ولا لفريق دون فريق، وقد عمل على ترسيخ هذه المبادئ وتنفيذها بدون هوادة ولم ينحرف عن سيرة رسول الله (ص).

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، علی أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَی.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشاركين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسيّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِي الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – في حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليّ التوفيق.